الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية: أحمد دراية - أدرار -
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

أعلام العائلة التنلانية ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين (11-12هـ / 17-18م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي عبر العصور

إعداد الطالبة
مريم بخدا

إشراف الأستاذ الدكتور
خير الدين شترة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة الأصلية
أ.د/ محمد حوتية	رئيساً	أستاذ	جامعة أدرار
أ/ خير الدين شترة	مشرفاً ومقرراً	أستاذ محاضر	جامعة أدرار
أ.د/ عبد القادر بوباية	عضوا	أستاذ	جامعة وهران
د/ أحمد جعفري	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة أدرار

السنة الجامعية: 1432هـ-1433هـ/ 2012-2013م

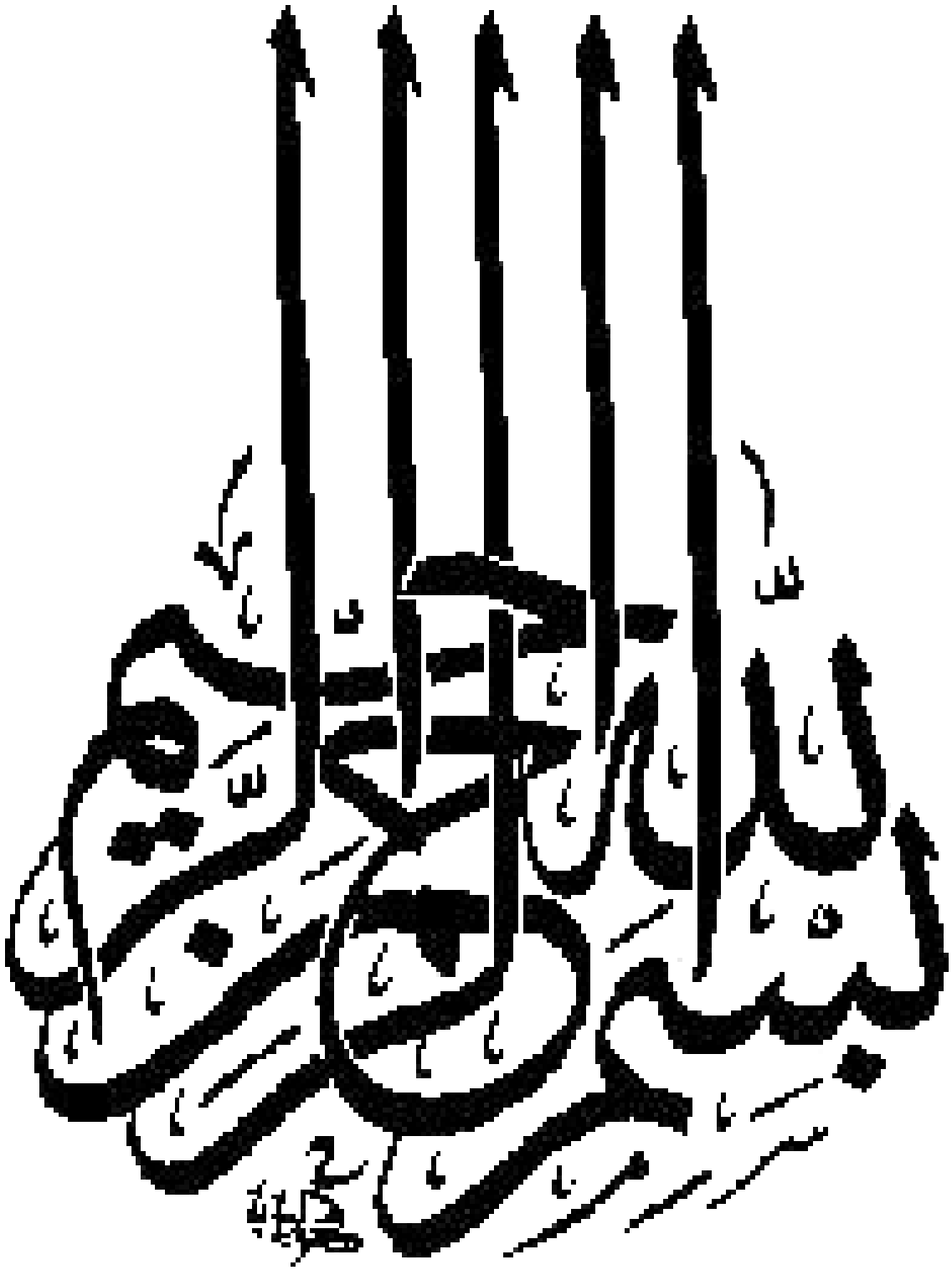

إهـــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

- إلى التي وهبت نفسها وجادت بحنانها لأثبت ذاتي والدتي الحنون أطال الله في عمره
- إلى الذي رباني ورعاني وسدّد خُطاي والدي العزيز أطال الله في عمره وجزاه الله عني خير الجزاء.
- إلى أساتذتي ومشائخي حاملي مشعل العلم المخلصين.
- إلى إخوتي: عبد الله-يوسف-محمد-سالم-عبد الحميد- ابتسام- هاجر-وإلى البرعم الصغير ياسين.
- إلى صحبة الأحباب والأصدقاء بالخصوص طلبة الماجستير شعبة التاريخ المغاربي عبر العصور.
- أهدي باكورة هذا الجهد المتواضع.

مـريـم

شكر وامتنان

أتوجه بالشكر والتقدير والاحترام إلى أستاذي المشرف خير الدين شترة الذي ساعدني بتوجيهاته العلمية الرصينة التي سهّلت لي طريق البحث فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر والثناء وخالص التقدير والعرفان إلى كل الذين ساعدوني ولم يبخلوا علي بنصائحهم وتوجيهاتهم القيّمة، أخص بالذكر أرباب الخزائن بمنطقة توات منهم الشاري الطيب- سليماني علي- بن الوليد عبد القادر- نيكلو عبد القادر.

والشكر موصول إلى الأساتذة الكرام أحمد الحمدي- أحمد جعفري- الصديق الحاج أحمد- عبد الكريم بوصفصاف- محمد حوتية- مبروك مقدم- محمد مرغيث.

الشكر للجميع

مريم

المقدمة

التعريف بمجال البحث:

إنَّ الكثير من حلقات التاريخ الثقافي والاجتماعي تعتريها بعض الصعوبات، حيث انصبَّ اهتمام بعض المؤرخين في فترات سابقة على أصحاب العروش والتيجان، وغيِّبت شرائح وطبقات المجتمع الأخرى مكتفية بتسجيل أحداث الجيوش غازية أو مغزوَّة، ومع تطوُّر حقول المعرفة التاريخية بلجوء الباحثين إلى مصادر جديدة منها كتب الفقه والأحكام والنوازل والمخطوطات التي لا يمكن تجاهل إسهامها في إغناء المعرفة التاريخية، بدأت تظهر تغيرات حاسمة في الدراسات الاجتماعية سواء على مستوى الأحداث أو المناهج وتزَايد البحث في الطبقة الفاعلة في المجتمعات ألا وهي طبقة العلماء التي ساهمت في بناء المجتمعات من الناحية الفكرية، وبما أنتجته من علوم ولذلك حاولنا تسليط الضوء على الحركة العلمية بإقليم توات هذا الإقليم الذي يعتبر مثالا للمجتمعات العربية القليلة التي استطاعت أن تقيم حياة متميزةً في اتصالها الإنساني المتنوع مع المجتمعات الإفريقية والعلاقات الفريدة التي نسجتها معها من خلال الصِّلات الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية مما أعطاها صورة فريدة وخصوصية في بناء حياتها. وتظل الصحراء في كل هذا مستودعاً أميناً للأفكار ولنُظُم الحياة التقليدية ولهذا فهي تحتفظ بالأصالة والنقاء إلى جانب الإبداع.

دوافع الدراسة وأهدافها:

إن الدارس لتاريخ المنطقة عبر العصور يلاحظ نقصاً في الدراسات المستفيضة التي تهتم بأعلام توات وتراجمهم، ولذلك جاءت فكرة اختيارنا لهذا الموضوع، وإذا كان تناول أعلام تنلان محوراً للبحث فإنَّ من خلاله سنتناول بالدراسة فترةً تاريخية مهمة من تاريخ توات وحضارتها وإسهاماتها الفكرية والعلمية، ولقد كان اختيارنا لأعلام العائلة التنلانية وأدوارهم العلمية خلال القرنين (11-12هـ/17-18م) بداعي أنَّ هذه الفترة كانت بمثابة الأساس الذي شيِّدت عليه زاوية تنلان منارة العلم والتصوف في ذلك الوقت وهي التي ترعرع ونشأ بها ثلة من العلماء على شاكلة نظرائهم الذين نبغوا فيما بعد بأقاليم توات وتيدكلت وتينجورارين خلال القرن 12هـ. وهناك عوامل متعددة دفعتني لاختيار هذا الموضوع وهي:

- محاولة نفض الغبار عن بعض المخطوطات، التي ما تزال قابعة في رفوف الخزانات والتي اشتهرت بثرائها وتعدد وثائقها وبقائها متوارية عن أنظار الباحثين وبالتالي التنقيب عن أعمال الرجال الذين برزوا في مجال العلم والأدب بإقليم توات، وتوفير المادة المعرفية عن هذه المنطقة في المكتبة الجزائرية ولو بجزء يسير.
- الرغبة في إحياء مساهمات التواتيين العلمية وتسليط الضوء على مبادراتهم الفكرية والثقافية وكلُّ هذا من أجل إنعاش الإقليم التواتي وجعله حاضرةً علميةً في عمق الصحراء الجزائرية يشع نورها في بلاد السودان وبلاد المغرب.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية هذه المذكرة في البحث والتنقيب عن الدور العلمي والأدبي والفني الذي سجله علماء وأدباء تنلان خلال القرنين11-12 الهجريين/ 17-18 الميلاديين لمعرفة نمط الحياة الاجتماعية والثقافية التي كان يعيشها سكان المنطقة ولتوضيح الإشكالية أكثر يمكن طرح التساؤلات التالية:

- من هم علماء وأدباء تنلان ممن اشتهروا في الفكر والثقافة والفن وكان لهم الدور البارز في المجتمع الذي عايشوه؟.
- ما هي إسهاماتهم الاجتماعية والثقافية في الحضارة الإسلامية خاصة والإنسانية عامة؟.
- ما نوع هذه الثقافة وما أثرها على المجتمع التواتي وغيره من المجتمعات الأخرى؟.
- هل يمكن لهذه العلوم و الآداب والفنون التي اشتهروا بها في ذلك الوقت أن تكون مفيدة لعصرنا؟.

إطار البحث:

تقع أحداث موضوع هذه المذكرة في المنطقة المعروفة باسم توات الوسطى خلال الفترة الواقعة ما بين بداية القرن السابع عشر ونهاية القرن الثامن عشر الميلاديين، وهي فترة تاريخية تشكل لحظة الانتقال الفارقة للعالم الإسلامي عموماً ولتوات الكبرى خصوصاً، أي الانتقال من سمات العصور الوسطى المتميزة بالنسبة للعالم الإسلامي بالتطور والازدهار إلى سمات العصر الحديث المتميزة في ذات العالم بالانحطاط والتردي، غير أنها خلال هذه الفترة كانت تمثل في إقليم توات بداية انتشار العلوم والمعارف والآداب وتطور النظم المجتمعية والثقافية والدينية في الإقليم التواتي.

خطة البحث:

وللبحث في هذا الموضوع قسَّمْتُه إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول تناولتُ فيه إقليم توات من الناحية الجغرافية والتاريخية والحضارية، وتعرضت فيه بالخصوص إلى البحث في معنى اسم توات وموقعها الجغرافي وخصائصها العامة. وكذلك الدراسة السُّكانية التي تعنَى بذكر الشرائح الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع التواتي بالإضافة إلى البنية القبلية التي تتكون منها القصور التواتية، والجزء الأخير منه تناولت فيه الحركة العلمية والثقافية وركزت على أهم الأنشطة العلمية التي كانت سائدة بإقليم توات.

وفي الفصل الثاني بحثت في تراجم وسير أعلام تنلان، وهذا بذكر أنسابهم وأهم مواطن العائلة التنلانية وأشهر أعلامها وشيوخها وتلاميذها فمن العلماء من وجدت عنه تراجم وافية من خلال ما توفر لي من مصادر ومخطوطات، ومنهم من شحت عليه ذات المصادر فلم أعثر لهم عن أي نشاط داخل توات غير أن إسهاماتهم ونشاطاتهم الفكرية والأدبية كانت بارزة ومؤثرة في حواضر أخرى غير الإقليم التواتي كبلاد المغرب الأقصى والمغرب الأوسط و بلاد السودان الغربي، كما تناولت أشهر زوايا التنلانيين داخل منطقة توات معرِّفة بمؤسسها وأهم شيوخها وكيفية نشأتها وتطورها.

أما الفصل الثالث فقد عالجت فيه مختلف مساهمات العائلة التنلانية في المجال العلمي بإقليم توات وذلك بالتطرق إلى مساهمتهم في العلوم الشرعية وتعرضت بالتحليل لبعض الفتاوى التي كانت تَرِدُ على علماء تنلان والمواضيع التي تناولتها، كما تطرقت إلى إسهاماتهم في مجال الدراسات اللغوية وهذا بالحديث عن إبداعاتهم ومؤلفاتهم اللغوية، ناهيك عن إسهاماتهم المتميزة في الدراسات التاريخية والجغرافية التي تجسدت أكثر في مجال الرحلات ذلك أن معظم أبناء العائلة التنلانية كانوا رحَّالة وهذا الأمر جعلهم يدوِّنون رِحْلاتهم التي قاموا بها وعند التعرض لرحلاتهم نكتشف أهميتها بالنسبة للمؤرخ المهتم بهذه الفترة من تاريخ المنطقة.

مصادر البحث:

ولقد اعتمدت على مصادر عديدة اهتمت بتاريخ العائلة التنلانية وذكر أدوارها لعل أهمها وثيقة حبوس تنلان وهي المصدر الوحيد الذي أرَّخ لتأسيس الزاوية ومؤسسها وموقعها. ثم رحلة عمر بن عبد القادر التنلاني في طلب العلم حيث ذكر في رحلته العلماء الذين درَّسوه و العلوم التي أخذها عنهم مثل: اللغة العربية وعلم المعاني والبيان، وأصول الفقه وغيرها وفي ثناياها ترجم للعديد من علماء فاس وتكمن أهمية هذه الرحلة في رصدها للنشاط العلمي بتوات وحاضرة فاس خلال القرن الثاني عشر الهجري .

بالإضافة إلى فهرسة شيوخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني وقد حققه مؤخراً الأستاذ بعثمان عبد الرحمان في أطروحته التي أعدها لنيل شهادة الماجستير بجامعة بشار، وتكمن أهمية هذا المخطوطة في كونها تؤرخ للزاوية التنلانية ونشاطها العلمي خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وتعتبر الفهرسة أهم ما كتب في هذا المجال بإقليم توات فهي تجسد صورة التواصل الثقافي بين إقليم توات وحواضر المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي، وفي ثنايا ذَكَر الأسانيد و الإجازات التي تحصَّل عليها، ومن خلالها ترجم للشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم، كما نقف من خلالها أيضاً على الرحلات العلمية لهذا العالم الذي زار سجلماسة وبلاد التكرور.

ومن المصادر الأخرى التي أعانتنا في هذا البحث الغنية البلبالية التي تعتبر من أهم كتب النوازل بإقليم توات وتعتمد بالدرجة الأولى على فتوى عبد الرحمان بن عمر التنلاني وابنه محمد بن عبد الرحمان وعمر بن عبد القادر التنلاني، ومن خلالها نستطيع رصد مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بإقليم توات.

كما تُعد رحلة عبد الرحمان بن عمر التنلاني إلى الحج من أهم الرحلات الحجازية بإقليم توات، حيث ورد فيها ذكر للمسالك والطرق التي مر بها والأشخاص الذين التقى بهم، كما تضمنت وصفاً جغرافياً نادراً للمناطق التي مرَّ بها وهي بذلك من أجلِّ ما كُتِبَ في مجال أدب الرحلات بإقليم توات.

وكذلك رحلة عبد الرحمان بن إدريس التنلاني إلى الجزائر العاصمة والتي من خلالها نقف على شخصيته العلمية، وأهميتها تكمن في تأريخها لواقعة مهمة في تاريخ الجزائر الحديث وهي حملة اللورد إكسموت 1816م (الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر)، وهي تعتبر ثاني مصدر عربي يؤرخ للحملة بعد«مذكرات الشريف الزهار».

ومن كتب التراجم التي اعتمدت عليها أيضاً مخطوط جوهرة المعاني لمحمد بن عبد الكريم التمنطيطي وهو كتاب هام يشمل فترة طويلة ويترجم لعدد كبير من الأعلام التواتية وكذلك مخطوط «الدرة الفاخرة في ذكر

المشايخ التواتية» لعبد القادر بن عمر المهداوي الذي ترجم فيه لأعلام العائلة التنلانية وأشار لمؤلفاتهم وشيوخهم وتلاميذهم.لكن هذا المخطوط مختصراً جداً.

وكذلك كتاب «درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام» لمحمد بن عبد الكريم التمنطيطي الذي يتعرَّض هو الآخر لتاريخ الإقليم التواتي والقبائل التي نزحت إليه. ولا شك أن هذه الوثائق المخطوطة تقدم للباحث الكثير من التشويق والإثارة والرغبة في مواصلة البحث والتحري.

وقد استعنت أيضاً بآراء وأبحاث المؤرخين الجادين الذين قاموا بإعداد دراسات تاريخية مختلفة حول منطقة توات، مثل الكتاب الذي ألَّفه الأستاذ فرج محمود فرج والذي يتناول فيه بالدراسة الأقاليم الثلاث توات وتيدكلت وتينكورارين، لكن أثناء عرضه للمعلومات نجده يتحدث عن توات الوسطى فقط والممتدة من عريان الرأس (تسابيت) إلى زاوية الرقاني. والشيء المهم في هذا الكتاب أنَّه دلَّنا عن وجود بعض المخطوطات المهمة بإقليم توات.

كما تناولت ما كتبه محمد حوتية في كتابه «توات والأزواد» حيث تطرق إلى الدراسة الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية لإقليم توات والتي من خلالها حاول أن يزاوج بين الإقليمين لكونهما يتشابهان في بعض الخصائص.

كما اعتمدت على كتابي «مارتان» (الواحات الصحراوية) و (أربعة قرون من تاريخ المغرب)، وأهم ما يميز هاتين الدراستين هو دقتها في الجانب الجغرافي لأن صاحبها كان يعتمد على المعاينة والمشاهدة المجردة بالنظر إلى ما أتيح له من إمكانات ومصادر محلية أضحت الآن في عداد المفقود ومع ذلك فإن هاتين الدراستين لا تخلوان من بعض العيوب كإيديولوجية صاحبها في كتاباته التاريخية بالنظر إلى انتماءه للمدرسة التاريخية الاستدمارية بالإضافة إلى جهله للغة العربية مما أثر سلباً على فهمه لبعض النصوص العربية التي اعتمد عليها.

ولاستكمال بعض نتائج الموضوع اعتمدت على المقابلات الشخصية لأفراد لهم اهتمام بتاريخ المنطقة، وبعض أعيان قصر تنلان الذين لهم إطلاع واسع حول تاريخ الزاوية التنلانية أمثال: «الحاج محمد بن حسان» المقيم بقصر تنلان، فجزاه الله خير الجزاء.

ومن المراجع المهمة في البحث كتاب محمد باي بالعالم بعنوان: (الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني). ورد في هذا الكتاب التعريف بالشيخ عبد الرحمان ونسبه بالإضافة إلى أعلام تنلان وزاويتهم ومن خلال العنوان نفهم أن الكتاب يتناول كل حياة هذا العالم. إضافة إلى كتاب آخر لباي بالعالم بعنوان: (الرحلة العلية إلى منطقة توات) أفادني في التعريف بالعائلة التنلانية وأصلهم وترجمة أعلامهم، كما يعطي وصفا دقيقا للنشاط العلمي لتوات بذكر الزوايا التواتية والعلماء الذين برزوا فيها، وفي معلوماته يعتمد على المصادر المحلية لكون هذا العالم كان يملك أكبر الخزائن بمنطقة أولف "رحمه الله".

ومن المقالات التي أفادتني كثيراً مداخلات الملتقى الوطني الرابع بعنوان: (إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية)عام2010م والتي تناولت بعض أعماله أدوار علماء تنلان وإسهاماتهم العلمية ويعتبر مقال (بعثمان عبد الرحمان) حول الدور العلمي للزاوية التنلانية أهم تلك المداخلات.

منهاج البحث:

لدراسة هذا الموضوع وظَّفتُ المنهج التاريخي الوصفي الذي يهتم بتتبُّع الأحداث وتقديم وصف شامل ودقيق عنها، إذ أن بعض الأحداث والوقائع التاريخية تتطلب اقتباس النصوص وعرضها بكل أمانة علمية. بالإضافة إلى ذلك اتكأت على المنهج الاستدلالي بقصد تحليل المعلومات العلمية والقضايا التاريخية التي هي الأخرى تحتاج إلى أدوات استنتاجية واستقرائية.

الصعوبات التي واجهت البحث:

وأثناء قيامي بالبحث واجهتني العديد من الصعوبات منها صعوبة العثور على تراجم وسير بعض أعلام العائلة التنلانية، فلا توجد مصادر تاريخية تتحدث عن علماء تنلان كلهم وإن وجدت فالمعلومة بها شحيحة ولا توفي بالغرض، لذلك لجأت في بعض الأحيان إلى اعتماد الرواية الشفوية لاستكمال بعض عناصر البحث، بالإضافة إلى ذلك فإن معظم مؤلفات التنلانيين لا زالت مخطوطة، كما يصعب قراءة وفهم العديد من الكلمات غير الواضحة، أما مؤَلف أحمد بن يوسف التنلاني الذي يطلق عليه اسم (التودد) وهو يتحدث عن الزاوية التنلانية ونشأتها وتطورها كما يتطرق للقبائل التي وفدت للأقاليم فإنَّ هذا المصدر مفقود، فلو توفر لدينا لكان كافياً لحل بعض القضايا الشائكة والزوايا الداكنة لتاريخ المنطقة، ومن صعوبات البحث أيضا صعوبة الحصول على بعض الوثائق من أصحاب الخزائن، مما يستدعي المحاولة مراراً وتكراراً للحصول على المعلومة، كما أن التنقل في معظم القصور التواتية لاستكمال الدراسة مع ظروف العمل تطلَّب مني الكثير من الصبر والمثابرة.

وتعتبر زيارتي للمكتبة الوطنية الجزائرية بقسم المخطوطات ومخبر المخطوطات بوهران آخر مرحلة من مراحل جمع المعلومات حيث تمكنت من الحصول على صور المخطوطات المتوفرة بها والتي تتعلق بالموضوع بالإضافة إلى الاتصال ببعض الشخصيات التي تهتم بالمنطقة ولديها رصيد معرفي، وفي الأخير أشكرهم على مساعدتهم لي ووقوفهم إلى جانب طلاّب العلم.

الفصل الأول:

الإطار التاريخي والجغرافي والحضاري لإقليم توات

1. الدراسة الطبيعية والجغرافية لإقليم توات.

2. الإطار الحضاري للإقليم

المبحث الأول: الدراسة الطبيعية والجغرافية لإقليم توات.

1) أصل التسمية:

لقد تعددت الروايات واختلفت الآراء حول تسمية توات بل وحتى في رسم حدودها، وهذا راجع إلى عدم وجود دلائل تاريخية تُؤرخ للمنطقة وما يتعلق بها، ورغم ذلك توجد بعض الروايات التي تبحث في أصل التسمية فمنها من يرجعها إلى أصول بربرية باعتبار أنَّ أول من سكن الإقليم هم قبيلة زناته، والبعض الآخر يؤكد على أنها عربية وهذا راجع إلى أن الإقليم عرف الدين الإسلامي وأصبح يتكلم بالعربية، وهناك من يورد حادثة تاريخية ويسقطها على مدلول اللفظ، ومن هنا سنحاول تسليط الضوء على آراء المؤرخين واجتهادات الرَّحالة واللغويين ومنها:

أ) رواية السعدي:

ذكر الشيخ عبد الرحمان السعدي أن سلطان مَالِي "كنكان موسى"[1] كان ذاهباً إلى الحج برفقة جماعة كبيرة من أهل بَلَدِهِ فلما وصلوا هاته الديار أُصيب بعضهم بمرض معروف عندهم باسم تَواتْ، فانتظرهم السلطان ومن معه، علَّهم يُشفون بسرعة، ولكن أبطأهم المرض، فتركهم السلطـــان فيها وسار بمن معه وهؤلاء الذين بقوا وجدوا هاته الأرض مخضرة ذات بساتين وواحات فمكثـــوا بها واستقروا وصاروا يسمونها بالمرض الذي أصيبوا به وهو تَواتْ[2].ويبدو من هذه الرواية أن المرض نذير شؤم فكيف يطلقون اسمه على واحة خضراء ذات بساتين وجدوا فيها الأمن والاستقرار.

ب) رواية محمد بن عومر (ت،ق 13هـــ):

تقول هذه الرواية إنَّ سبب تسمية هذا الإقليم بتَوَات على ما يحكى ! أنه لما استفتح (فتح) عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، ووصل ساحله ثم عاد لِوادِ نون ودرعة وسجلماسة[3]. وصل خيله توات، ودخل بتاريخ 62هـــ فسألهم عن هذه البلاد، وعن ما يسمعُ ويفشى عنها من الضعف هل تواتي لنفي المجرمين من عُصاة المغرب ينـــزله بها أو يجليه بها فأجابوه بأنها تواتي فتغيَّر اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف[4].

ج) رواية محمد بن عبدالكريم بن عبد الحق البكراوي [5]:

وفي هذا السياق نورد رواية أخرى وهي محلية إذ يقول صاحبُها أن سبب تسميتها بهذا الاسم (توات) إنَّما يعود لعهد الدولة الموحدية، فملوك هذه الدولة ما عرفوا هذه الأرض إلاَّ بكونها مليئة بالخيرات فلذلك فرضوا على

---

[1] -كنكان موسى، أحمد ملوك دولة مالي في غرب أفريقيا قرب نهر النيجر، قام برحلة إلى الحج عام 726هـــ/1325م .

[2]-السعدي (عبد الرحمان)، تاريخ السودان، ط04، باريس، طبعة هوداس، 1964، ص 07 .

[3]- سجلماسة مدينة بالمغرب الأقصى اشتهرت بالعمارة والبساتين والقصور والمنازل، ينظر : عبد العزيز بن عبد الله، المعجم التاريخي، الدار البيضاء مكتبة السلام ، (د،ت)، ص32 .

[4]–الجعفري (محمد بن عومر ابن المبروك) نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار، ص04 .

[5]– محمد بن عبد الكريم البكراوي بن عبد الحق التمنطيطي التواتي (ت1374هـــ/1955م).

أهلها إتاوات، وهذا الرأي انفرد به الشيخ محمد البكري الذي يقول: «إنه في سنة 518هـ عندا غلب المهدي الشيعي (ويقصد به المهدي بن تومرت) سلطان الموحدين على المغرب بعث قائديه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبضِ الإتوَات فعرف أهل هذا القطر بأهل الإتوات لأن السلطان قبله منه في المغرم»[1]. من هنا أصبح أهل هذا القطر يُعرَفُون بأهل الإتوات.

د) رواية محمد الأنصاري:

يُرجع صاحب "الفهرست"إلى أن أصل التسمية هو لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين سكان الصحراء[2].

هـ) رواية مولاي أحمد الإدريسي الطاهري:

هذه رواية أخرى لأحد المؤرخين المحلّيين الذي علَّل سبب التسمية بهذا الاسم توات لأنها تواتي العبادة[3] فهو انطلق من كونها ملائمة لها فمعظم العلماء والأولياء اتخذوها مقراً للخلوة والتَّعبُّد، وهذا ينطبق على ما قاله محمد بن مبارك صاحب مخطوط "تاريخ توات" بأنها من المواتاة [4]. فهي مواتية للعيش والاستقرار، حيث أنَّ اللمتون الذين قصدوا المنطقة في منتصف القرن السادس الهجري، عندما تغلَّب الموحدون على الحكم في المغرب الإسلامي فوجدوها أرض أمان واستقرار.

ويتبين لنا من خلال بعض الروايات أنَّ أصل الكلمة عربي بينما هناك روايات أخرى تتجه إلى تغليب الاشتقاق اللغوي فالفشتالي[5]مثلاً يرى أن الاسم "توات" أصله بربري ويعني الواحات.

- **آراء المؤرخين والرَّحالة الأوربيين:**

اقتحم الأوروبيون مجال الدراسات الإفريقية، وكانت لهم دراسات حول منطقة توات وهي ذات أبعاد اجتماعية وسياسية واقتصادية، ولهم فيها آراء مختلفة حول أصل التسمية حيث ذهب بعض الدارسين الفرنسيين إلى ربطه بالأصل الإغريقي فزعموا أن الإغريق يطلقون على الواحات اسم (وازيس OASIS)، ووازيس مصطلح اغريقي الأصل مركب من مقطعين الأول (وا. OA)، وقد توصَّل علماء الاشتقاق اللغوي إلى أن (وا. OA) هذا يتطابق مع المصطلح البربري (وا. OUA) الذي هو تعبير عن جمع مفرد (TOUAT) مثل

---

[1]– محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة أحمد ديدي، تمنطيط، ص03 .

[2] - الرصاع محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تونس، طبعة حجرية، 1967، ص127.

[3]– الطاهري (مولاي أحمد الادريسي)، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة الشاري الطيب كوسام، أدرار ص03.

[4]– محمد بن مبارك، تاريخ توات، مخطوط بخزانة المنصور أقبلي،أولف،ورقة 01 .

[5]-الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز)، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف، 1972 ص 73.

تواتن عبو (وا. Touat'n.ebbou)، ومعناه واحة الماء[1]. وهذا اللفظ يُطلق عند الجغرافيين على الواحات التي تحمل هذا الاسم بالحوض الشرقي لواد الساورة[2].

رأي المؤرخ الفرنسي "مارتان":

كان للمؤرخ مارتان(Martin) رأي مشابه للرأي الأول فذكر بأن أصل التسمية يعود إلى مفردة (وا. Oe) التي توجد في عدة لغات كالعربية والإغريقية، وقد وجدت هذه المفردة عند زناته وهي تعبير لغوي أضيف إليه حرف التاء في المقدمة وفي المؤخرة فصارت توات[3].

فمن خلال هذه الروايات نُلاحظ أنَّ الأقوال الثلاثة الأولى لها علاقة فيما بينها فالرصاع عندما ذكر توات في قوله يقصد بها طائفة البربر وخاصة صنهاجة التي سكنت المنطقة فوجدها أرض استقرار، وحتَّى المرض الذي ذكره السعدي وقال بأنه يصيب الرِّجل يجعل الباحث يشك بأن اسم المرض "توات" ويفهم من سياق الكلام بأن هذا المرض أصاب القوم قبل وصولهم إلى توات ولما وصلوا إليها استقروا بها للاستشفاء فوجدُوها أرض خير ورخاء فاستقروا بها ومن خلال هذا الأمر يمكن وضع كلام صاحب تاريخ توات الذي جعل التسمية مرادفة للهناء والراحة.

أما قصة المرض المسمَّى تَوَاتْ فإن الدلائل التاريخية في هذا الاختصاص لا تؤيدها على الإطلاق ممَّا يجعلنا نضع رواية السعدي في دائرة التأويل التاريخي للحادثة وهي صحيحة وليس في إطار الحقيقة التاريخية المجردة، أما بالنسبة للرواية التي جعلت التسمية مرتبطة بالإتاوة المفروضة، لأن توات أدت المغارم لجميع الدويلات القائمة في المغرب، فحتى هي غير راجحة فإذا كان كل إقليم أدى الإتاوة للدولة الحاكمة سُمِّيَ بتَوات لكَثْرَ هذا الاسم وانتشر في سائر الأقطار والأقاليم [4]، وفي الأخير يمكن القول إن تعدُّد الروايات دليل على عدم الجزم في المسألة من قبل الباحثين والمؤرخين، كما يمكن ترجيح الأصول البربرية واستبعاد الأصول العربية المرتبطة بالروايات المختلفة أو بمجيء عقبة بن نافع الفهري إلى المنطقة لأنَّ الفرع وهو القصور التواتية وضع بربرياً، وبالتالي يكون الأصل بربرياً لأن أول ذِكر للاسم عند المؤرخين معروف حتى الآن يعود إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) وهو يتزامن مع دخول الزناتيين إليه، بالإضافة إلى أنَّ معظم أسماء الأشياء والقصور بربرية، وتشترك في البداية بحرف التاء في اللهجة الزناتية، وهو ما يمكن أن نطبِّقه على اسم توات لأنَّ أول من دشَّن المنطقة هم البربر وقاموا باختطـــاط

---

[1]- FRISH. le Maroco géographie organisation .Paris S.N.1895, PP(356-357).

[2]- وادي الساورة هو النهر الذي أخذت اسمه الولاية الجزائرية الواقعة في أقصى الجنوب، وهذا النهر يستمد موارده من شمال الصحراء من جبال الأطلس، ينظر : اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطؤها، الجزائر، المؤسسة الوطنية، 1983، ص27 .

[3]- Martin A.G.P , Quatre Siècles d ′ histoire marocaine ou Sahara de 1504 à 1904 au Alcam1923 . p 45 . maroc de 1894 à 1912 paris : Felisc

[4]– أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، مذكرة ماجستير، إشراف د: بن نعميَة عبد المجيد، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (1999-2000)، ص 06 .

قصورها[1]مثل: « تمنطيط[2]،تيط، تيميمون ». . . وغيرها.

2) الموقع الجغرافي للإقليم:

الشيء المؤكد في منطقة توات أنها ضاربة في أعماق التاريخ، ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام وكانت تسمى بالصحراء القبْلية ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر جير [3] في غضون القرن الرابع الهجري، ومما يدل على ذلك كثرة الحديث عنها في كتب الرّحالة المؤرخين العرب والعجم [4]، وأقدم تلميح عن المنطقة الصحراوية يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد من قبل المؤرخ هيرودوت حيث قال: «وَخَلْف منطقة ليبيا صحاري بلا ماء ولا حيوانات ولا أمطار ولا أخشاب، وليس فيها أثر للرطوبة، وأسفلها لا يوجد إلا الرمال والجفاف والصحاري القاحلة...»[5]، وهو بهذا يصف الصحراء وصفاً دقيقاً، ويبيِّن ملامحها الجغرافية. وقد أشار ابن حوقل إلى منطقة الصحراء في كتابه **"صورة الأرض"** حيث قال: «وبين بلاد السودان وأرض المغرب سكان من البربر ومفاوزَ وبراري منقطعة قليلة المياه متعذِّرة المراعي لا تُسْلَك إلاَّ في الشتاء»[6]، وهذا دليل على على شدة الحرارة كما أشار ابن حوقل إلى منطقة الصحراء الكبرى وتوات جزء منها.

وتُظهِر لنا كتابات المؤرخين الأوائل الذين زاروا الإقليم أو كتبوا عنه بعضاً من ملامحه الطبيعية والمناخية والجغرافية والبشرية، أمثال ابن خلدون، وابن بطوطة، والعياشي والإصطخري الذي يصف منطقة الصحراء بقوله: «وأرض المغرب ما كان منها في شرق بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سُمْرَة وكلما تباعدوا فيما يلي الجنوب والمشرق يزداد سواداً حتى ينتهوا إلى السودان فيكون الناس فيها أشدَّ الأمم سواداً»[7].

وقد ورد عن العياشي وصْف للملامح المتمثلة في وادي جير الذي يمر عبر توات: «وهو واد كبير فسيح مُلْتَفُ الأشجار قليل الأحجار كثير المراعي غامض المسعى تجتمع إليه السيول من المسافات البعيدة ولا تصل إلاَّ بعد أيام عديدة، وابتداؤه من ناحية بلدنا (أي المغرب) وعليه قرىً ومزارع، ويمتد كذلك ناحية الصحراء والعمارة متصلة بجوانبه إلى أن يصل أطراف الحمَّاد الكبير الذي بينه وبين سجلماسة، فمن هناك تنقطع العمارة إلى أن يصل واد الساورة فتصل قُراهُ كذلك نحو من عشرة أيام إلى قرب توات كان مروره قِبلة الجبل ويقطع من بلاد أرض بودة وتيمي وتمنطيط، ووادي الحنة ثم بلاد رقان ويجري غرباً إلى أن يصبَّ وقت هَيَجَانِهِ في بحر

---

[1]– أمبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال ق 12هـ، ط1، الجزائر، دار السبيل، 2009، ص 30 .

[2]– تمنطيط من قصور توات ذكرها ابن خلدون باسم (تامنطيت) . ينظر : عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،ج6 لبنان، دار الكتب العلمية، 1992،ص120، 123 .

[3]–نهر جير أحد أودية المغرب الأقصى . للتوسع ينظر : العياشي (أبو سالم)، الرحلة العياشية، الرباط، دار المغرب، 1977، ص49 .

[4]–محمد باي بلعالم، التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار ، 3-4 ماي 1985 الجزائر، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ص42.

[5]– هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، تر: محمد صقر خفاجة، دار القلم، 1966، ص112 .

[6] (ابن حوقل) أبو القاسم، صورة الأرض ليدن مطبعة بريل، 1873، ص43.

[7]– الإصطخري (ابراهيم بن محمد)،مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1927 ص 44.

السودان وتارة يقف حيث جفَّ وانقطع ماؤه فلما وصل عمارة توات انكسر الوادي بغرب توات في موضع يقال له الخنق فشق الجبل وسار تحت توات إلى تمادنين[1]من بلاد رقان داخل مجراه»[2].

ويتبين لنا من خلال ذلك كلّه أنَّ توات التي هي اليوم عبارة عن صحراء وبحر من الرِّمال كانت في وقتٍ مضى وبحسب العياشي تحتوي على أنهار وأودية، وهذا ما ذهب إليه أحد المؤرخين المحليين وهو محمد بن عبد الكريم التمنطيطي في قوله: «والسبخة التي بين تيمي وتمنطيط إلى تمادنين من بلاد رقان كانت تقطع بالسُّفن»[3].

وعن الموقع الجغرافي فقد أورد ابن بطوطة عند عودته من مالي عام(754هـ/1353م)[4] معنى يتوافق مع ابن خلدون حول توات وعند المؤرخين المحليين نجد التحديد الجغرافي للإقليم لدى محمد بن عبد الكريم التمنطيطي حيث يقول: «...توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جنوباً وغرباً عشرون يوماً لأول السوادن، ومن غدامس عشرون يوماً ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقاً ومن ناحية أولاد عيسي مقدار أسبوع إسراعاً لبلاد الأبيض سيدي الشيخ وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا قصراً أوسطهما بودة وتيمي وتمنطيط».

كما نجده يطلق اسم توات على الأقاليم الثلاث (توات، تيدكلت، تنجورارين) حيث يقول: «وقوة توات وكثرتها في قورارة تيميمون»[5] لكنْ هناك من يُفرق بين توات وتيدكلت وتنجورارين، ويجعل حدودها الجغرافية تمتد من قصر عريان الرأس[6]بتسابيت شمالاً إلى زاوية الرقاني[7]جنوباً، وهي تضم عدداً من القصور على شكل هلال «تعتبر رقاب السفر إلى بلاد السودان»[8]. أما الطوارق والأجانب فإنهم يطلقون اسم توات أو أو تسوات على جميع مناطق الإقليم[9].

وفي نفس الاتجاه نجد الفشتالي يتحدث عن الإقليم بقوله: «...هذا الإقليم المفروع إلى قطر توات وهو أوسع وطناً وأفسح مجالاً وأقرب للسودان اتصالاً وجواراً وإلى قطر تيكورارين، وهو أعظم أقاليم المغرب وأكثرها أمماً وأفسحها خطة انتظم عمرانه واتصلت نخيله وتَرَاصَفَت قصوره على مسافة ثلاثين مرحلة أو

---

[1]– تمادنين قصر من قصور مدينة رقان تبعد عن تمنطيط بـــ135كم جنوباً .

[2]– العياشي (أبو سالم)، المصدر السابق، ص49.

[3]– محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص01 .

[4]– ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مج 04، تقديم: عبد الهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1997، ص 279 .

[5]– محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، درة الأقلام، ص01 .

[6]– عريان الرأس هو لقب الولي الصالح سيدي محمد المشهور في بتسابيت .

[7]– أسسها مولاي عبد الله بن مولاي علي الشريف، وتقع غرب تاوريرت، للتوسع ينظر : محمد بن مصطفى بن عمر الرقادي، نبذة عن حياة مولاي عبد الله الرقاني، تقييد بالمدرسة الرقادية ، زاوية كنتة، أدرار .

[8]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6،ص72 .

[9]– فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18م –19م، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1977، ص01.

أكثر»[1]، وهو بهذا الوصف يؤكد على أن الإقليم كان آهلاً بالسكان وفسيح كثير العمران والأشجار ومتلاصق القصور، وهذا الرأي يؤيده المؤرخ محمد بن عبد الكريم التمنطيطي الذي تقدم ذكره، وكثرة الأشجار والبساتين دليل على كثرة مياه منطقة توات والتي تنبع من الفقاقير، والزائر لمنطقة تمنطيط يقف على هذه الحقيقة، فمنطقة أولاد يحي المذكورة في كتاب القول البسيط لصاحبه "باباحيدة" يصفها بقوله: «أولاد يحي على كثرة قبائلهم وأولهم قصر أجدير وآخرهم قصر أغلاد، وهم متلاصقون قصراً في قصر وكل ذلك رجع جنةً وبساتين»[2].

أما اليوم فإن إقليم توات عبارة عن جزء كبير من الصحراء الكبرى الجزائرية، وهو يمتد على جزء كبير من منطقة الجنوب الغربي، حيث يحده شمالاً العرق الكبير وواد مقيدن، وجنوباً صحراء تنـــزروفت، وهضبة مويدار وشرقاً العرق الكبير، وغرباً واد الساورة وهو ينقسم إلى ثلاث مناطق رئيسية: قورارة وعاصمتها تيميمون، توات عاصمتها تمنطيط، (ثم انتقلت في القرن الثالث عشر هجري إلى مدينة أدرار)، وأخيراً تيدكلت وعاصمتها عين صالح[3].

وتعتبر منطقة توات الوسطى عاصمة الإقليم ومنها أخذ تسميته وهي تقع ما بين إقليم قورارة شمالاً وتيدكلت جنوباً، ومن واد مسعود من الناحية الشمالية الغربية إلى عرق شاش من الناحية الجنوبية الغربية، وهضبة تادمايت في الشمال الشرقي، وتنـــزروفت في الجهة الجنوبية الشرقية، وهي حالياً تتكون من أزيد من ثلاثمائة قصر.

وتوات الوسطى كانت تحتوي على عدَّة قصور [4]. فبلدية بودة بها إثنا عشر قصراً، وتيمي تسعة وثلاثون قصراً، بينما تحتوي تمنطيط على ثمانية قصور، وبوفادي أربعة قصور أما فِنوغيل فهي تتشكل من سبعة عشر قصراً وتامست من أربعة عشرة قصراً ثم تليها زاوية كنتة بأربعة وعشرين قصراً، وبعدها أنزجمير بثلاثة عشرة قصراً وبلدية سالي بثلاثة عشرة قصراً، وأخيراً رقان في الحدود الجنوبية لتوات بخمسة عشر قصراً وهذا حسب بعض الروايات[5]. وأهم ما يلاحظ عن جغرافية المنطقة هو انتشار مساحات شاسعة مغطاة بالرمال، مما يعتبر تهديداً خطيراً للأراضي الزراعية ومواقع المياه والقصور.

---

[1]– الفشتالي، المصدر السابق، ص73 .

[2]– بابا حيدة (محمد الطيب)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة تمنطيط، أدرار، ص ص(06-07).

[3]– للتوسع ينظر: فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 01.– مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان، ص 32 . – حوتية محمد، توات والأزواد خلال القرنين 12-13هـــ، ج1، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2007، ص29 . وأيضا:

- Devors (p)," le Touat étude géographique et médical" Archives de L´institut pasteur , TXXV,Nº 03-4, Sep-Déc, Alger,1947,p224.

-Bissuel (H) ,Sahara Français , Adolphe jour dans librairie Editeur, Alger ,1891,p30.[2]

[5]– أحمد العماري، توات في مشروع الحدود والتطويق الفرنسي للمغرب " مجلة الآداب والعلوم الإنسانية بفاس ، ع 5 المغرب، 1989م، ص23، نقلاً : عن الحمدي أحمد، المرجع السابق، ص06 .

أما بالنسبة للمناخ فباعتبار إقليم توات واقعاً في النطاق الصحراوي فإنه من البديهي أن يسوده المناخ الصحراوي والذي يتميز بالجفاف وارتفاع درجات الحرارة صيفاً وانخفاضها شتاءً حيث تصل درجات الحرارة إلى غاية 50 درجة مئوية في الصيف[1]، أما تساقط الأمطار في توات فهو قليل لذا يعتمد أهل توات وتيدكلت وورقلة وتبلبالت وتندوف على مياه الفقارات [2]، وهذا الأمر ذكره المؤرخ المحلي مولاي احمد الإدريسي الطاهري في نسيم النفحات حيث أشار إلى كيفية استخراج المياه فقال: «توات أرض سباخ كثيرة الرمال والرياح لا يحيط بها جبال ولا أشجار شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلاَّ النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها، والماء يستخرجونه من باطن الأرض بالفقاقير بواسطة الآبار بكيفية عجيبة ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب من ذلك»[3]. وعن سقوط الأمطار بغزارة يؤدي إلى هدم البنايات في بعض الأحيان لأنها مبنية بالطوب المصنوع من التراب والطين، ولذلك تكون هذه الأمطار مضرة بالفلاحين والسكان . أما الرياح فتهبُّ على الإقليم وتتحول إلى زوابع رملية تدفع أمامها الرمال وتنقلها من مكان إلى آخر فتمحو معالم الطريق وتغطِّي بساتين النخيل وتزحف على المساكن وتُعرف هذه محلياً باسم "أريفي" [4] وقد وجد الإنسان الصحراوي حلاً في إيقاف تلك الزوابع الرملية بتشيـــيد ما يسميه بالأفراك[5].

وترتب عن هذا النوع من المناخ ظهور حياة نباتية فقيرة تتكون في مجملها من أنواع يمكنها تحمُّل الجفاف الشديد، فمن هذه النباتات ماهو قصير العمر حيث لا تفوق دورة حياته الشهر فهو ينمو عقب سقوط الأمطار مباشرة ثم يجف ويترك بذوره في الأرض حتى تسقط الأمطار مرّة أخرى فينمو من جديد ومنها ما له جذور يغوص في الأرض ليستفيد من رطوبتها ويصل إلى مستوى الماء الباطني [6]، وأفضل الأماكن لنمو النبات في الصحراء هي الأماكن التي ينخفض مستوى سطحها نسبياً عمَّا حولها تنحدر إليها مياه الأمطار القليلة وتكون تربتُها غالباً مكونة من المواد الطينية والرملية الناعمة التي تجلبها المياه المنحدرة من الأعالي وأهمُّ هذه النباتات السبط: وهو نبات شوكي ينمو غالباً على منحدرات العرق وتأكله الغنم والجمال. الفَرْسِيق: شجرة متوسطة الطول تنمو بجانب السباخ والمناطق الرطبة، تأكلها الجمال بكمية قليلة وتستعمل للتسخين

---

[1]– فرج محمود فرج، المرجع سابق ن ص35 .

[2]-Mauny Raymond, Tableau géographique de l′Ouest Africain ou moyen âge , Mémoires de l′institut , Français d′Afrique Noire ,N′61 Ed, IFAN-Dakar,1961,p252

[3]– الإدريسي الطاهري، نسيم النفحات، ص12 .

[4]ـــ أريفي اسم للرياح الحارة في إقليم توات ، وهناك أسماء لها بحسب الاتجاهات.

[5]– بهية بن عبد المومن، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرن 18م–19م، ماجستير قسم الحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمر وهران،(2005–2006) ص ص(03–04).

[6]– عبد العزيز (طريح شرف)، الجغرافية المناخية والنباتية، ج2، دار الكتب والوثائق القومية، 1971، ص ص(357–358) .

ويستخرج منها القطران، إضافة إلى أنواع أخرى منها الدمران، دراق النوم، أوراش، تبلكوصت، العقاية النخيل[1].

3) التقسيم الإداري لإقليم توات:

تتجمع مدن وقصور إقليم توات التي كانت تزيد عن الثلاثمائة في الركن الجنوبي الغربي للصحراء الجزائرية وتنتشر في مساحة رملية تقدَّر بألفي ميل مربع على شكل قوس يحيط بهضبة تدمايت من جهاتها الثلاث الشمالية والغربية والجنوبية[2]. وأشهر منطقة في إقليم توات هي "توات الوسطى" والتي جاء ذكرها في رحلة العياشي: «إن مدينة توات هي مدينة صحراوية كانت في القديم مجمع القوافل الآتية من بلاد تمبكتو وغيرها من أطراف السودان»[3]، وجاء في جواب ابن سعيد عبد الرحمان على رسالة المغيلي في خصوص يهود توات وصفٌ جيد لواقع توات السياسي آنذاك فقال: «الحق الأبلج الذي لاشك فيه، ولا مَحِيدَ عنه أنَّ البلاد التَّواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المساحلة لتلول المغرب الأوسط المختلطة وراء الرمال الملتهبة بلاد إسلام باختطاط»، وهذا يعني أن هذه القصور لم تكن قد فتحت بحد السيف ولذا يكون قضاتها وعلماؤها ذوي الوجاهة والسلطان فيها كما هو الشأن في بلدان الإسلام الأخرى ذات الوضع المشابه[4].

وقد تحدَّث الحسن الوزان جَليةً عن القصور في القرن السادس عشر ميلادي وهو عصر المغيلي، وعن نمط الحياة فيها فقال:« تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلاً عن شرق تسابيت حيث يوجد ما يقرب من خمسين قصراً وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم إلى بلاد السودان وهنا مجمع القوافل لأنَّ تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان، ثم يذهبون جميعاً»[5].

ثم يتحدث الوزان عن الحكم في هذه القصور قائلاً: «وحكومة الشعب في يد بعض زعماء الطوائف وكثيراً ما يقتتلون فيما بينهم ولكنهم لا يلحقون أي ضرر بالغرباء ومن عاداتهم أتاوى زهيدة للأعراب كانت لضمان طريق تجارة القوافل وكانت المناطق الواقعة على خط التجارة تدفعه »[6].

وقد أشار إلى تلك العداوة التي كانت موجودة بتوات المعروفة بحرب "يحمد وسفيان"، محمد البكري التمنطيطي حيث قال: « ... وهو قطر كثيرة زواياه عظيمة رزاياه بأسهم بينهم شديد وأفعالهم بينهم أفعال

---

[1]- Louis Voint, Le Tidikelt sur la géographie l'histoire et les moueurs du pays ,Bulletin de société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran , T29 , 1909, pp(204-206).

[2]– فرج محمود فرج، المرجع السابق ، ص19 .

[3]– العياشي، المصدر السابق، ص20 .

[4]-زبادية عبد القادر "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي جهوده وشهرته خارج الجزائر"، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، ماي 1985، ص75 .

[5]-الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر ،بيروت ،دار الغرب الإسلامي ،1983، ص133 .

[6]-المرجع نفسه.

جبَّار عنيد أَلِفت أهوائهم أفعال عداوة التعصب واشتدت كل فرقة كشد الطنب...، واستعان بعض زناتة بالعرب على بعض وأضرمت نار الحرب بينهم...»[1]، إلى أن يقول في موضع آخر: «والعجب كل العجب أن تجد بلدين مختلطي النخيل والمرافق بحيث يسمَع كل واحد منهما مؤذن الآخر فيتعصب الأول بفئة يحمد والآخر بفئة سفيان والأعجب من هذا إذا اجتمع شخصان فأخبر أحدهما الآخر بأنه من صف سفيان وكان هو من صف يحمد كرِهه أشد الكراهية ولعمري أن ذلك لعداوة شيطانية»[2].

❖ **إقليم توات**: ويضم عشرة مناطق وهي بودة، تيمي، تمنطيط، بوفادي، فنوغيل، تامست، زاوية كنتة أنجزمير سالي، رقان وكل منطقة تحتوي على مجموعة من القصور.

- قصور بودة: وتتركز هذه القصور في واد موازٍ لوَادِ مسعود، تبعُد عن مقر الولاية بحوالي اثنان وعشرون كيلو متر[3]. وتنقسم إلى مقاطعتين بودة الفوقانية، وبودة التحتانية. وهي تضم عدة قصور نذكر منها: القصبة لغمارة بن دراعو، وبني وازل[4].
- قصور تيمي[5]: بها كثافة سكانية كبيرة مقارنة بقصور توات [6]، وتتألف من عدة قصور منها: قصر أولاد أحمد تنلان محور الدراسة[7].
- قصور تمنطيط: تقع جنوب قصور تيمي وتبعد عنها بحوالي اِثنا عشر كيلو متر، تفصِل بينها سبخة، وقد أشاد بتمنطيط العديد من المؤرخين والرَّحالة مثل ابن خلدون، وابن بابا حيدة في مؤلَّفه "القول البسيط في أخبار تمنطيط" حيث قال: «فإذا فهمت هذا فاعلم، التمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والرياسة»[8].
- قصور بوفادي: (أولاد الحاج) تقع جنوب تمنطيط بحوالي اثنا عشر كيلو متر، وهي منخفض موار لوادي مسعود وهي تضمُّ أربعة قصور أهمها القصر الكبير[9].

---

[1]-محمد البكري، دُرّة الأقلام، ص06 .

[2]-المرجع نفسه.

[3]ـــ دليل مديرية النقل لولاية أدرار.

[4]– محمد بن عومر، نقل الروَّاة، ص ص (01-02).

[5]– تشمل مقاطعة تيمي على العديد من القصور أهمها : تنلان، ملوكة، واينة، المنصورية، أولاد علي، بوزان، زاوية سيد البكري، ينظر: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإياله السعيدة من القصور ووثائق أخرى، الرباط ، المطبوعات الملكية، 1962، ص07.

[6]Bissuel (H) .o.p.cit,p30.

[7]– تقع تنلان شمال مدينة أدرار، تبعد عن مقر الولاية بـــ 2 كلم أسسها أحمد بن يوسف التنلاني . وتنلان اسم أمازيغي مركب من كلمتين: "تين" وتعني هذه، "يلان" تعني الموجودة.

[8]- ابن بابا حيدة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح : فرج محمود فرج، إقليم توات بين القرنين 18-19م، ص ص 13-14 .

[9]- Selka Abderrahmane, Notice Sur le Touat ,Bulletin de la société de géographie D'Alger de l'Afrique du Nord, 3eme trimeste1922, p 535.

- قصور فنوغيل[1]: تقع غرب بوفادي وتنتشر في منخفض موازٍ لواد مسعود، تضم سبعة عشر قصراً أهمها تسفاوت والمنصور .
- قصور تامست: تقع جنوب فنوغيل، في منخفض بموازاةِ واد مسعود وهو يبعد عنها بحوالي عشرين كيلو متر تضمُّ هذه المجموعة أربعة عشر قصراً أهمها من حيث التجارة والسكن لحمر،تيطاف، تماسخت، أغيل[2].
- قصور زاوية كنتة: تقع جنوب قصور تامست على الحافة اليسرى لوادِ مسعود، تضم ستة عشر قصراً أهمها زاويةكنتة، وزاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي.
- قصور أنزجمير: تُلَقَّبُ بتوات الحنّة، وذلك لإنتاجها الوفير لهذه المادة، وتتواجد في المنخفض الأيسر لوادي مسعود، تبلغ مساحتها 5690كم^2، تضم ثلاثة عشر قصراً من بينها: زاوية بلال، تدماين، الخلفي، أنجزمير[3].

أنجزمير[3].

- قصور سالي: تقع جنوب أنزجمير على بُعدِ أربعة عشر كيلو متر، وتقع في المنخفض الأيسر لوادِ مسعود، تضم مجموعة من القصور .
- قصور رقان تقع في أقصى جنوب توات، وجنوب سالي، تتألف من خمسة عشر قصراً من بينها تيمادنين النفيس، تنولافت، تعرابت.

❖ **منطقة تينجورارين**[4]: جاءت تسمية قورارة نتيجة لتعريب الكلمة البربرية تينجورارين، وهي بصيغة تاقرارت التي تعني "التخييم"، وتقع هذه المنطقة شمال توات الوسطى، يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال، والشمال الشرقي، ومن الجنوب هضبة تادمايت، ومن الشرق الحَوض الشرقي لواد الساورة، ويوجد بالإقليم سبخة تنجورارين، وواد مقيدن[5]، ووادي صالح، وأهم قصورها:

- قصور أوقروت: تقع في منخفض وادي مقيدن على خط واحد يمتد من الشمال إلى الجنوب، وتضم أربعة عشر قصراً منها: أولاد محمود، وكبرتن .
- قصور تنركوك: تقع جنوب العرق الغربي وسط الكثبان الرملية، وتتكون من خمسة عشر قصراً، وتنقسم إلى مجموعتين تبتعدان عن بعضهما البعض بحوالي ثلاثين كلم.
- القصور الشرقية والغربية: وهي مجموعة قصور تقع على الطريق البري للمسافرين للجزائر ووهران فالشرقية تتألف من عشرة قصور، أهمها قصر تبلكوزة، أما الغربية فهي تتكون من خمسة قصور منها سيدي منصور.

---

[1]-تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات، المصدر السابق، ص08 .

[2]- Déporter , la question du Touat ou Sahara Algérien , Alger, Fontana , p33 .

[3]– محمد حوتية، المرجع السابق، ج01، ص34.

[4]– رشيد بليل، قصور قورار وأولياؤها الصالحون،تر: عبد الحميد بورايو، الجزائر، المركز الوطني للبحوث، 2008، ص37.

[5]– واد مقيدن كلمة بربرية مشتقة من أمقيد، وتعني مكاناً رطباً يوجد فيه الماء.

- قصور تبلكوزة: لا يوجد بها نظام الفقارات، وتتميز بقرب مياهها الجوفية من السطح ولهذا أَقْدَمَ الناس على حفر الآبار بها.
- قصور اجريفت: تقع على سبخة تينجورارين، وتضم خمسة عشر قصراً متقاربة المسافة فيما بينها، ويمثل قصر الحاج قلمان أهم قصورها[1].
- قصور تيميمون[2]: تظهر في الضفة الجنوبية لسبخة تيميمون، وهي أهم مجموعة في قصور تينجورارين تضم سبعة وعشرين قصراً متقاربة فيما بينها، وتنطلق منها العديد من المسالك باتجاه المنيعة وتبلكوزة، أولاد سعيد تيديكلت، وتوات الحنة وتسابيت .
- قصور أولاد سعيد: تضم ثلاثة قصور أهمها القصر الكبير الذي يبعد بحوالي عشرة كيلومترات عن قصر الحاج قلمان، ولهذه القصور أهمية من الناحية الاقتصادية بحيث تتكامل مع قصور تيميمون.
- قصور تقانت: تقع في الضفة الشمالية لسبخة تنجورارين، وتضم سبعة قصور أهمها طلمين، وتبعد بحوالي ثمانية وأربعين كيلو متر غرب أولاد سعيد.
- قصور حيحة: تقع على الضفة الغربية لسبخة الإقليم، وتضم أربعة قصور متقاربة المسافة فيما بينها، أهمها قصر شروين.
- قصور الزوى ودلدول: تقع في الجنوب الشرقي من السبخة وجنوب مقاطعة شروين ودلدول، تتألف من سبعةِ قصور قريبة من بعضها البعض، أهمها قصر دلدول المتميِّز بكثرة نخيله .
- قصور الدغامشة، تقع غرب دلدول بحوالي خمسة وعشرين كيلو متر، وتضم أربعة قصور أهمها قصر المطارفة والساهلة[3].
- قصور تسابيت: تقع على بُعد خمسة وثلاثين كيلومتر جنوب غرب مقاطعة الدغامشة، وتبعد عن وادي مسعود بأربعين كيلومتراً، وتشمل على إحدى عشرة قصراً أهمها: برينكان والمعيز[4].
- قصور السبع: تظهر على بُعد خمسين كيلو متر جنوب قصر الهبلة، وتضم قصرين فقط هما السبع والقرارة[5] .

❖ **منطقة تيدكلت**[6]: توجد تيدكلت بين توات الوسطى غرباً، وهضبة تادمايت شمالاً، وهضبة مويدير جنوباً يخترقها وادي (اقرياً) الذي يصب في واد مسعود نحو الجنوب الغربي، وأهم قصور منطقة تيدكلت:

---

[1]– حوتية محمد، المرجع السابق، ج01، ص32 .

[2]– تيميمون من قصور تينجورارين .

[3]– حوتية، توات والأزواد، ج01، ص33 .

[4]– فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص05.

[5]_ حوتية، نفسه، ص33.

[6]- Martin , op . cit,P 11.

- قصور أولف: وهي عبارة عن أرض مسطحة منبسطة قليلة التّلال والمرتفعات مليئة بالكثبان الرملية وتعرف لدى البعض بتيدكلت الغربية، تقع في نهاية منخفض تادمايت، وتبعد بحوالي تسعين كيلومتر شمال شرق رقان،وتنقسم إلى قسمين أولف الشرفة وأولف العرب. هذه الأخيرة بها عشرة قصور عرفت بهذا الاسم لكونها موطناً للعرب، وأهم قصور أولف قصر زاوية حينون الذي يقطنه أولاد زنان .
- قصور أقبلي: تقع هذه القصور جنوب تيدكلت، وتبعد عنها بحوالي خمسة وثلاثين كيلو متر، توجد بسهل منبسط، وأشهر قصورها زاوية بونعامة .
- قصور تيط: تقع بجانب سلسلة من المرتفعات بحافة الهضبة السفلية لتادمايت على بعد تسعة عشر كيلو متر شمال شرق أقبلي، وهي تضم قصراً واحداً (قصبة الشرفاء).
- قصور اينغر: توجد في منحدرات هضبة تادمايت، وتبعد بحوالي ثلاثين كيلو متر عن قصر تيط، وتضم سبعة قصور أهمها: قصر الخال[1] .
- قصور عين صالح : وتعرف بتيدكلت الشرقية، وتقع في منحدرات هضبة تادمايت على بعد خمسين كيلو متر شرق إينغر، وثلاثمائة وثمانين كيلومتر جنوب غرب المنيعة، وستمائة وثلاثين كيلومتر من ورجلان، وهذه المسافات مقدرة بحسب مسالك الإبل، وتضم اثنا عشر قصراً أهمها قصر العرب أو القصر الكبير[2].

ومجمل قصور توات الكبرى تزيد عن ثلاثمائة قصراً حسب ابن خلدون [3]، أما المصادر الفرنسية [4] فتذكر أن عددها ثلاثمائة وأربعون قصراً، وهي تؤلف سلسلة من القصور تنفتح على الشمال،وتنغلق باتجاه صحراء تنـــزروفت[5].

المبحث الثاني: الإطار الحضاري للإقليم.

أ – الدراسة السكانية لإقليم توات.

لقد كانت توات آهلة بالسكان منذ أزمنة ما قبل التاريخ، إذ سكنها الإنسان منذ مليوني سنة [6]، وقد بيَّنت الحفريات التي قام بها الأستاذ H. J- HUGOT سنة (1955م) ثراء المنطقة وغِناها بالشواهد

---

[1] ــ للتوسع ينظر، حوتية، مرجع سابق، ج01، ص36.

[2] –يُراجع : محمد حوتية، المرجع السابق، ص36.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج07، ص86 .

[4] - Frish,Op.cit,PP(355-358).

[5] – يظهر لنا من خلال رواية ابن خلدون، والمصادر الفرنسية أن الاختلاف طفيف، كما أنَّ عدد القصور يكون قد زاد قبل وبعد دخول الفرنسيين إلى توات ؛ حيث أنَّ بعض الزوايا قد أُنشأت لأهداف علمية، ثم توسعت وأصبحت تشكل قصوراً تحتوي على كل المرافق الضرورية .

[6] – عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي، رسالة ماجستير، غير منشورة، إشراف، موسى لقبال جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2001م، ص23 .

الحضارية المتمثلة في الأدوات والأسلحة الحجرية، ومختلف الأشكال الهندسية المصنوعة من الحِجارة، ويذهب إلى أن بعض الصناعات الحجرية الموجودة بالمنطقة تعود إلى العصر الحديث من الزمن الجيولوجي الثالث [1].

لقد شكلت المنطقة بجماعتها المتميزة واحدة من أَنشط الجماعات التي سكنت الصحراء، أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق القوافل الذاهبة والآتية، ومع هذه القوافل اطَّلع التَّوَاتيون على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب، كما قام فقهاء وعلماء توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف، حيث ذكر القاضي: "محمود كعت" أن جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلاديين حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات، ويضيف السعدي مدعماً رواية القاضي "كعت" أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يُشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف[2].

إنَّ هذه العوامل التاريخية والثقافية بالإضافة إلى عوامل جغرافية وحضارية [3] ذكرناها سابقاً ، جعلت من إقليم توات مركز استقطاب العديد من الأجناس والقبائل عبر هجرات متتالية عرفها الإقليم من مختلف الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية، بالإضافة لوقوعه بين مناطق عرفت بسخونتها واضطراباتها وكثرة الصراعات بداخلها، مما جعله نقطة جذب السكان الباحثين على السكينة والأمن والاستقرار [4]، وأهم العناصر السكانية التي بَنَتْ تركيبتُه الاجتماعية نجد:

1. **البربر**: وهم أول من سكن إقليم توات خاصة منهم قبائل زناتة ، وبني عبد الواد، وبني يالدس، ومصاب وبني مرين[5]، وعلى ما يبدو أنَّ أول من استوطن هذه المنطقة من البربر قبائل الملثمين حيث يقول ابن خلدون في التعريف السابق الذكر لإقليم توات: «وطن توات فيه قصور متعددة تناهز الثلاثمائة . . . وهو ركاب التجار إلى مالي، وبينه وبين تغمر مالي المسمّى (غار المفازة) المجهلة لايهتدي فيها سبيل ولايمر الوارد إلا بالدليل الخريت من الملثَّمين الظواعن »[6].

أما صاحب كتاب "فهرست الرصاع" [7] فيرى أن اسم توات هو لأحد قبائل الملثمين الذين سكنوا الصحراء ومنها جاءت التسمية، ويؤكد ابن خلدون هذا الرأي من خلال هذه الرواية: «هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعدوا في المجالات هناك من قبل الفتح لا يعرف

---

[1]- Hugo (H), "AOULEF" un gisement de pebble Tools" à In travaux de l'institut de recherches sahariens, tome XIII,1955,P01

[2]– محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تح: هوداس و دولافوس، باريس، مطبعة بردين، 1964 ص15.

[3]– خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصلح الثائر، الجزائر، دار ابن الطفيل، 2012، ص55 .

[4]– مبارك جعفري،العلاقات الثقافية، ص37 .

[5]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج07، ص68 .

[6]–ابن خلدون،المصدر السابق، ج06، ص200.

[7]– الرصاع، المصدر السابق، ص 127 .

أولها ... وصاروا ما بين بلاد السودان حجراً واتخذوا اللثام خطاماً تمييزاً بشعاره بين الأمم وعفوا في تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم من قدالة، فلمتونة، فمسوفة، فوتريكة... ثم لمطة إخوة صنهاجة كلهم بين البحر إلى غدامس وكانت الرياسة فيهم للمتونة »[1].

كما يشير المؤرخ بن بابا حيدة أن أول من نزل بتمنطيط وبَنَى بها القصر الأول هم اللمتون أولاد الملك يوسف بن تجفشت – (ابن تاشفين)– حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس على يد الموحدين... فجاؤوها هاربين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات وجدوا بها الجدب فعرفوا أنها أرض أمان لأن الجند لايطيق المقام بها، ولا مطمع له فيها، فبنوا للسماء وحفروا الماء واستوطنوا، وكان أول قصر بَنُوه بها تَيْلُوت، ومعناه بالعربية المزود »[2]. كما أن الآثار والنقوش على الصخور تدل على أن البربر هم أقدم من سَكَنَ هذه المنطقة، حيث عُثِرَ على كتابات عبارة عن رسائل متبادلة بين القوافل التجارية وهي مكتوبة بلغة التيفناغ[3].

وأول الأعمال التي قامت بها قبائل زناتة هي زراعة الأرض، ثم اشتغلوا بالتجارة مع السودان الغربي لكن ظلّت صفة البداوة ملازمة لهم فالبيئة الصحراوية تستهويهم، وصفة الرعي بمواشيهم وأنعامهم هي عنوان غِنَاهُم وكل الذي يملكون، وهم بذلك يُفضِّلون سكن الخيام والبُعد عن مراكز العمران حيث اعتصموا بالأماكن المنعزلة[4]. ولحد الآن الملثمين يعيشون في الصحراء الجزائرية ونمط حياتهم بقي نفسه لم يتغير فَهُم يفضلون حياة التِّرحال والعيش مع الطبيعة.

2. **العرب:** من القبائل التي قصدت بلاد توات عبر هجرات تاريخية متعددة بهدف الاستقرار حيث كانت لهم علاقات سابقة بالمنطقة كالمعاملات التجارية فكانوا يمرون بها خلال ذهابهم لبلاد السودان للتجارة، وكذلك لنشر الإسلام واللغة العربية والشواهد التاريخية تُثْبِتُ أن الدوافع التي جعلت العرب يقصدون بلاد توات هو البحث عن الأمن والاستقرار .

يضاف إلى ذلك عامل مهمٌ بعد القرن السابع الميلادي وهو نشر الإسلام بين قبائل صنهاجة وزناتة المستقرة رغم بعض الظواهر غير الإسلامية التي رافقت التزوح فيما بعد كالحرب القَبَلِية من أجل الماء والكلأ وظواهر السطو والنهب على القوافل[5].

وكانت أول القبائل نزوحاً هم عرب المعقل الذين كانت تنتهي بهم رحلة الرعي في فصل الشتاء بتوات[6] ولما كانت الزراعة دليلا على الاستقرار فإنَّ أول العرب الذين استقروا بشرق توات حسب بعض

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص371 .

[2]– ابن بابا حيدا، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص16.

[3]- Louis Voinot ," le Tidikelt", étude sur la géographie l'histoire et les Mœurs du pays ,p24.

[4]– لقبال موسى، البتر رالبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان المغرب، مجلة الأصالة ع24، الجزائر، أفريل 1975م، ص ص (161– 162) .

[5]– خير الدين شترة، المرجع السابق، ص57 .

[6]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص 702 .

المصادر هم القدوية في أواخر القرن الثالث الهجري جاؤوا من الحجاز مروراً بمصر حيث يرجحون أن فكرة الفقاقير ترجع لهم[1].

كما قدم الشيخ سليمان الإدريسي [2] إلى منطقة توات فاختار أولاد أوشن وقام بحفر الآبار الأولى لفقارة أجدلاون عام (605هـ-1208م)، وبعد ذلك جاءت قبيلة كنتة التي تنتمي إلى عقبة بن نافع الفهري في القرن السابع الهجري، ونزلت قبيلة أولاد علي بن موسى القرشية بتمنطيط، قال عنهم ابن بابا حيدة في كتابه: «. . . إن لم يكونوا شرفاء فهم من أكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم فهم أهل سُنَّة ومروءة ورياسة»[3]. ثم ذكر ابن بابا قبائل عربية أخرى تحالفت مع أهل تمنطيط، وهم قبيلتي أولاد أملوك، وأولاد الحاج قال فيهم: «فهم أهل قوة وشجاعة ونجدة وليس في عرب توات اقطع منهم وأشد منهم بأساً» [4].

كما أن هذه القبائل قد استغلت ضعف أمراء بني مرين على مناطق الصحراء فقامت بالنزوح إلى القصور والواحات الصحراوية «وكوَّنوا هناك أحلافاً مع زناتة سائر أيامهم ... فملكوا القصور التي شيدتها القبائل الزناتية من قبلُ مثل قصور السوس غرباً ثم توات وتمنطيط وتينكورارين وتسابيت شرقاً، وصارت لهم جباية يعتدُّون فيها ملكاً » [5]. وقبائل بنو معقل تتفرع إلى ثلاثة بطون في الصحراء وهم ذوي ذوي منصور، وذوي عبد الله وذوي حسان[6].

وقد وَفَدَ على بلاد توات بعض الأشراف الذين يتصل نسبهم بالحَسَن والحُسين أبناء علي رضي الله عنهم وانقسموا إلى علويين وأدارسة، جاء بعضهم فاراً إلى توات من التراعات الداخلية على الملك في المغرب الأقصى حيث ذكر ابن أبي محلى السجلماسي[7]، تكرار ظاهرة الأزمات في تاريخ المغرب أشدها أزمة المجاعات المجاعات في القرن(10هـ/16م) حيث قال عنها: «...تغلا الأسعار من قلة الأمطار وتغلا المواشي ويقلُّ الرزق ... فَفَرَّت إلى الصحراء قبائل السوس الأقصى وفي بلاد توات من الأدنى، والله قد جاعت الناس من كل ناحية جوعاً ما سمعناه به قط»[8].

---

[1]- L-Herbut " les Foggara du Touat" Bulletin de la Société géographie d'Algérie et de l'Afrique du nord . 4eme trimestre(1934), p561 .

[2]– مؤلف مجهول، تقييد في نسب ومناقب الولي الصالح سيدي سليمان بن علي، مخطوط بخزانة سليماني علي، أدغا أدرار .

[3]– ابن بابا حيدة، القول البسيط، ص 23 .

[4]– نفسه.

[5]–ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص119 .

[6]– ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1968، ص 68 .

[7]– هو أبي العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلّى السجلماسي، نزيل قرى بني عباس بوادي الساورة، توفي بحوز مراكش عام (1021م-1612م).

[8]– عبد المجيد قدوري، ابن أبي محلى الفقيه الثائر ورحلة (الأصليت الخريت)، الرباط، منشورات عكاظ، 1991، ص21 .

وقد استقر مولاي علي الشريف بإقليم توات وتصاهر مع شيخ تاوريرت [1]، ومنذ هذه الفترة أصبح الأشراف يتمتَّعون باحترام الجميع في توات نظراً لانتمائهم إلى النسل النبوي الشريف، إذ كان منهم علماء وفقهاء ساهموا في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية .

وبما أن هؤلاء العرب قصدوا توات بحثاً عن الاستقرار والأمن فقد مارسوا الزراعة وشقوا الآبار وكان بيد رؤساء قبيلة أولاد علي بن موسى بتمنطيط ديوان الطلب وبه أعداد الفقاقير وموظفيها على كامل الخط التواتي من تسابيت إلى توات من الناحية الشرقية ... كما مارس البعض منهم التجارة مع السودان والأقاليم الشمالية فانتعشت على أيديهم الحياة الاقتصادية، فضرب أولاد داوود بن عمر السكة لتسهيل العمليات التجارية بعدما كانت التجارة تتمُّ بالمبادلة أو المقايضة، وكان لهؤلاء العرب الفضل في تشييد الحمامات بتمنطيط، وكان منهم الحدّادون والنجارون والعطارون، إضافة إلى الدلاَّلون الذين يجوبون البيوت بالسلع المختلفة[2]. وبذلك كان استقرار عرب المعقل بأعداد كبيرة تمكنت في فترة قصيرة من إحكام سيطرتها على كامل المنطقة برغم كونها قبيلة مسالمة وفي سنة (665هـ-1266م) دخلت بطون من بني هلال إلى توات، وأقامت بتسابيت ورقان وتمنطيط[3].

وهكذا نزل الشرفاء بأرض توات فُرادى وجماعات، بعدما لاقوه من عناية وترحيب مما جعل أهل توات يرحلون إلى مواطنهم الأصلية يطلبون الاستئذان في حضورهم محبةً وتبرُّكاً [4].واختلفت الروايات التاريخية التاريخية في تحديد أول من دخل من الشرفاء إلى إقليم توات،فمحمد بن عبد الكريم أرجع دخول ها النسب إلى توات في حدود منتصف القرن السادس الهجري (550هـ. 1155م)، وبالضبط مع قبيلة الحموديين [5]. لكن معظم الرواة اعتبروا أنَّ البداية الحقيقية لرحلات هذا النسب إلى الإقليم التواتي كانت بعد هذا التاريخ المذكور سابقاً أي في سنة (580هـ-1184م)، وهو تاريخ رحلة الشريف مولاي سليمان بن علي إلى هذا الإقليم فهو يعتبر أول الشرفاء القادمين من المغرب الأقصى إلى إقليم توات[6].

3. **الزنـــوج** : جاء الزنوج من السودان الغربي، واستقروا بإقليم توات في فترات متعاقبة، وفي ظروف مختلفة واندمجوا في المجتمع التواتي مُشَكِّلِينَ شريحة اجتماعية مهمة .

لقد دخل الزنوج توات أناساً ضِعافاً، منهم من دخلها مجلُوباً إليها، ومنهم من دخلها مهاجراً يبتغي أرضاً غير أرضه فالمجلوبون هم أولئك الذين سُلِبوا من ديارهم مخطوفين ثم وجدوا أنفسهم في سوق النخاسة [7]

---

[1]- Martin(A-GP) OP.CIT ,P13.

[2]-ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص18 .

[3]- Pottier (R),Histoire du Sahara , Nouvelle éditions latines , paris (1947) ,p66.

[4]-أحمد جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، ط01، القاهرة، مكتبة النهضة، 2009، ص40 .

[5]-محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام ، ص02 .

[6]- أحمد جعفري، المرجع السابق، ص40.

[7]- شترة خير الدين، المرجع السابق، ص59 .

وجاؤها عن طريق القوافل التجارية ليعملوا في خدمة الأرض [1]. وكان سكان ممالك السودان الغربي يَغيرُ بعضهم على بعض وكل من وقع في الأَسرِ يُباع إلى التُّجار، وكانت توات تَموِّلُ أسواق فيجيج [2] بالعبيد والإماء، وتزايد عددهم منذ أن اِستقرَّ العرب بالإقليم ولم يَخلُ قصرٌ أو مدينة منهم والعامل الذي زاد من عددهم هو المُناخ فطبيعة السكان وارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف تحتاج إلى يد عاملة والعبيد يتحمَّلون العمل في هذه الظروف لذا أقبل أصحاب الأرض على شرائهم، وتزايد عدد الزنوج بتوات منذ استقرار العرب بها، فقد أصبحت الحاجة إليهم كبيرة كما قُلنا سابقاً، فقد حملت القافلة التي رافقها ابن بطوطة من "تكدا" إلى توات عام (754هـ-1353م) ستمائة (600) خادم زنجي[3].

واستمر توافدهم بعد تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية في السودان الغربي خاصة بعد سقوط مملكة سنغاي حيث ظهرت نوع من الهجرة الاختيارية [4]، أما الذين جلبوا فأوتي بهم من مدن عديدة مثل كشنة وكوبر وبرنو وسكوتو[5] وغيرها من بلاد السودان، وكانت أوضاعهم الاجتماعية في بداية الأمر سيئة، إذ لهم أحياء خاصة بهم وبكل القصور التي كانوا بها، وبينها وبين أحياء العرب أو البربر مساحة فارغة لا يسكنها أحد، لكن بعد اعتناقهم الإسلام أصبحوا يشكلون شريحة هامة في المجتمع التواتي.

وهناك رسالة بشأن هؤلاء أَلَّفها أحمد بابا التمبكتي، سَمَّاها "الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان"، فهو يرى أنهم مسلمون أحرار لا يجوز امتلاكهم، وذلك لعدة أمور أوضحها في هذه الرسالة [6]، ولكون هذا الأخير ذاق مرارة الذل والعبودية يوم أُخرِج من تمبكتو مع أهله مكبَّلين بالأغلال حتى وصلوا إلى بلاط السلطان السعدي بالمغرب الأقصى وعندما عرفوا غزارة علمه أُقيم في الإقامة الجبرية يدرس ثم بعد مدة رجع إلى بلاده[7].

4. **الحراثين:** هم ليسوا جنساً بشرياً دخيلاً على المنطقة، بل هم أولاد الأحرار من الجواري جاءوا نتيجة لتزاوج الزنوج مع العرب والبربر، كان عددهم في البداية قليلاً لأن الأحرار كانوا لا يرغبون في الإنجاب من الجواري لأن ذلك ينقص من قدرهم ومكانتهم في نظر العامة [8]، وأصل تسميتهم من الحُر الثاني لأنَّ آباءهم يُعتبرون أحرار أولون وحسب - بعض الروايات - أَنّ هذه التسمية اُقْتُبِست من نوع من التمر يسمى

---

[1] ـ شبايـــي ياسين، الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي، مذكرة ماجستير بقسم الحضارة الإسلامية، إشراف جهيدة بوجمعة، جامعة وهران، 2006م-2007م، ص102.

[2] - فجيج عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء يحيط بها عدد كبير من النخيل وهي على بُعد مائتين وخمسين ميلاً من سجلماسة، ينظر : الحسن الوزان، المصدر السابق،ج2،ص132.

[3] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص299.

[4] - مبارك جعفري، المرجع السابق، ص ص (46-47).

[5] - الوزان، المصدر السابق، ص ص (159-179).

[6] -أحمد بابا التمبكتي، الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان، مخطوط بالخزانة البكرية ص ص(01-02).

[7] ـ خير الدين شترة، المرجع السابق، ص60.

[8] -محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، تقييد حول تاريخ تمنطيط، مخطوط بخزانة تمنطيط، أدرار، ورقة (03).

أحرطان، وقيل إنها جاءت من الهجين الذي يحرث الأرض[1] لأن هذه الفئة اشتهرت بزراعة النخيل في الواحات ومنهم من كان يرعى الجمال.

وأهم ما يُلاحَظُ حول هذه النقطة أنَّ التركيبة السكانية بإقليم توات وقفت عائقاً أمام تكوين وحدة سياسية بداخله، وهذا نظراً لتعدد أسباب تواجدها وتعدد ثقافاتها، لكنها ساهمت في ازدهار وتنوع الثقافة بالإقليم، و لم تكن منطقة توات دار خلافة أو حكم وما انتظمت فيها وما حولها دولة تجمع شتات سكان الصحراء فَيُنْسِبُون إليها، وإنما كانت مركز إشعاع علمي يحمل جملة من المعاني التي تتناثر في السيَّر والتراجم مثل عالم، فقيه، محدِّث، حافظ، شاعر .

5. **اليهود:** إن الدافع التجاري كان أقوى الدوافع التي جعلتهم يتواجدون بالمنطقة.وكانوا هم المسيطرون على أسواق تمنطيط كما ذكر بابا حيدة أنه كان بتمنطيط وحدها «ثلاثمائة وثلاثة وستين صائغا يهوديا»[2]. وبالنظر إلى مجموع سكان توات فإن اليهود كانوا أقل شريحة اجتماعية فهم تجار يتقنون هذه الحرفة، ويبدو أنهم كانوا منبوذين في المجتمع إذ كانوا يحتمون في العديد من المرات بقبيلة أولاد علي بن موسى لتمنع عنهم ظلم بعض البربر الذين طلبوا منهم الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو مغادرة المنطقة، وكانوا يقدمون لهذه القبيلة ولغيرها هدايا مقابل رد الظلم عنهم، واعتبرت هذه الهدايا مقابل الجزية[3]. وأول من تنبه إلى خبث ومكر ومكر اليهود بإقليم توات هو الإمام المغيلي الذي حاربهم وبين نواياهم وطهر الإقليم من رجسهم رحمه الله[4].

- **البنية القبلية للقصور التَّواتية:**

هناك مصدران مهمان عَثرتُ عَليهما أَرَّخا لأصول تشكُّل البينة القبلية نذكرها في هذا السياق: الأول كتاب "نسيم النفحات في ذكر جوانب من تاريخ توات ومن دفن فيها من الأولياء الصالحين والعلماء العاملين الثقات" لصاحبه الشيخ مولاي الطاهري، الذي أعطى وصفاً دقيقاً لسكان توات حيث قسَّمهم إلى أربع فئات وهم: «الشرفاء والعرب والحراطين والموالي، ولغتهم العربية والدَّارجة ودينهم الإسلام وعقيدتهم الأشعرية ومذهبهم مالكي، وطريقتهم جنيدية، ويغلب على سكان توات سمرة البشرة ...»[5]. كما نجد الشيخ الطيب بن عبد الله البلبالي ألَّف في هذا الشأن "جريدة مختصرة في أنساب أهل تيمي"[6]، وكذلك عبد الرحمان سلكة[7] سلكة[7]

---

[1]- مبروك مقدم، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، ج01، الجزائر، دار هومة، 2008، ص74 .

[2]– بابا حيدة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص05.

[3]– محمد بن عبد الكريم، تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط، ورقة 01.

[4]– أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص175.

[5] – أصل المخطوط بخزانة المدرسة الطاهرية بمنطقة سالي، أدرار.

[6]– مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، ص ص (01-02).

[7]- SELKA (A) .Op.cit ,pp (540-553).

أنساب إقليم (توات الوسطى):

واينـــــة: عوامهم ينسبون لأهل برينكان، وشرفاؤهم من الهبلة، ويرجع نسبهم إلى تافيلالت .

ميمون : يُنْسبُون لمولاي يعقوب بن منصور بفاس .

ملوكة : يُنْسَبون لبلبالة، وأبناء عمِّهم بكوسام.

بربع : عوامهم ينتسبون لأولاد بحم، إخوانهم بعين صالح، أما شرفاؤهم من تافيلالت .

أوقديم : هم شرفاء من تافيلالت بلغتيين.

أدغا : عوامهم من أبناء الحاج العباس، ذوي منيع، والعبوبيون من تونس، وأولاد سيدي حم من غات .

أولاد أنقال : أعراب ينسبون إلى منطقة الهقار .

أولاد أوشن: ينسب بعضهم لسيد الحاج محمد الوهراني، وبعضهم ينسب إلى غنُّوم، أما شرفاؤهم فهم أحفاد مولاي سليمان بن علي.

أولاد علي: ينسبون لمولاي سليمان الحوت بتلمسان، إخوانهم أهل تالة وجنتور وكالي.

أولاد أحمد: هم عرب باكدال[1].

تاريدالت: هم شرفاء من تافيلالت بلغتيين، نزلوا على الشيخ قنتور ثم اندثروا.

أولاد إبراهيم: ينتمون إلى أولاد دليم، إخوانهم أولاد بوحفص، وأبن أب من الساحل.

أولاد عروسة: ينسبون لسيدي أحمد لعروسي مع سكان أولاد عيسى .

أولاد عيسى: بعضهم شرفاء ينحدرون من سيدي سليمان بن علي من فاس، وبعضهم أولاد سيدي أحمد لعروسي من الساقية الحمراء من الساحل.

بني تامرت: ينسبون للشيخ موسى الأقبوري، والبعض لبني محمد وأولاد باحم.

تنلان: سكانها من سلالة الخليفة عثمان بن عفان وهم أبناء سيدي أحمد بن يوسف التنلاني

مهدية: سكانها من أبناء سيدي أحمد بن يوسف المليانى، ولكنْ بعد الإطلاع على شجرتهم تبيَّن أنهم ينتسبون إلى أحمد بن يوسف التنلاني[2].

مراقن: ينسب سكانها إلى عبد الله بن جعفر.

تمنطيط: وبها أولاد سيدي البكري، وأولاد بن موسى، وقيل أنَّ نسبهم يرجع إلى سيدنا إدريس .

المنصور: سكانه من الشرفاء .

ودغا: يسكنها أبناء الشيخ الصالح سيدي مولاي الزوين.

عزي: سكانها الأوَّلون ينسبون إلى سيدي محمد بن الحنفية .

---

[1] _ الشاري الطيب، جريدة مختصرة في أنساب أهل تيمي، خزانة كوسام، أدرار، ص ص(01،02)

[2] _ للتوسع ينظر شجرة نسب التنلانيين، خزانة بن الوليد، باعبد الله، أدرار.

بوفادي وتوكي وأبنكور: ينحدرون من أولاد الحاج، أصولها القريبة من أولف وامقيدن.

بنهمي: شرفاء علويون.

نومناس: أصولهم عربية ينحدرون من أولاد الحاج[1].

الهبلة: سكانها شرفاء علويون، وجدُّهم مولاي علي بن بوبكر .

تسابيت: يسكنها عرب أفاضل كرام ومرابطون، وبها الشرفاء والموالي .

أوقروت: يسكنها مزيج من الناس (شرفاء – مرابطون – عرب – موالي)[2].

إقليم تينجورارين: حسب صاحب نسيم النفحات يذكر أنَّ أصول الحاج قاسم كان من متليلي وأنَّ سيدي محمد عبد الكريم يرجع نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب، وقد كانوا قبل أن يسكنوا هذه الزواية يقطنون بتدالت بالمغرب الأقصى، ويُعرفون بالشرقيين...، ومن نسبهم الولي الصالح سيدي المعطي بن الصالح صاحب كتاب الذخيرة المتوفى سنة(1180هـ/1766م)[3]. وعلى العموم فأهلُ تنجورارين خليط من الأشراف والمرابطين والعرب وقبائلهم مختلفة الأنساب منهم زناتة، ومنهم العرب [4]. أما عن القبائل الأولى التي سكنت إقليم تنجورارين فهم زناتة الذين استقروا بها بعد نزوحهم من إقليم الزاب بواد امقيدن، واستقروا في قصور بني ملوك وبني مهلال وأولاد راشد[5].

وارتبط الزوى بمنطقة تنجورارين بسيدي سليمان بن أبي سماحة منذ (897هـ-1477م)[6]، أما قبيلة المحارزة فقد ارتبطت باسم علي بن مسعود الذي قَدِمَ من الجزائر رفقة الشيخ معمر بن سليمان المعراج أبي العالية واستقر الأول بمنطقة تينركوك بعدما أمره شيخه بذلك، وكلَّفه بنشر التعليم في المنطقة، وتعتبر منطقة تنركوك مكان تمركز هذه القبيلة حيث أسسوا قصور عين حمو،تزليزة، وزاوية الدباغ وفاتيس.

إقليم تيدكلت: إن التركيبة السكانية لهذه المنطقة متعددة الأصول، منهم العرب من فروع بني هلال مثل: أولاد زنان وأولاد يحي، وفروع قبيلة كنتة، بالإضافة إلى بعض الأشراف العلويين والأدارسة، والبربر من فروع زناتة وبعض الطوارق، والعنصر الإفريقي والزنجي الذي جُلب من السودان، والفُرس وهو العنصر الرابع ويتمثل

---

[1] SELKA (A) .Op.cit ,p 540_ .

[2] _ الشاري الطيب، المرجع نفسه، ص 02.

[3] – الطاهري مولاي أحمد، المصدر السابق، ص133.

[4] –محمد حوتية، المرجع السابق، ج1، ص 63.

[5]- Bisson jean ,(le Gourara) : étude de géographie humaine , Alger Impr : d'Imbert , 1953 p 93 .

[6]-عبد الله طواهرية، تذكرة الخلان، غرداية، المطبعة العربية، 2002، ص ص (05-06).

في قبيلة البرامكة[1] التي نزحت إلى المنطقة بعد نكبتها على يد هارون الرشيد[2]. ولقد ساهم الدين الإسلامي في انصهار تلك العناصر السكانية وتعايشت اللغة العربية مع اللهجة الزناتية جنباً إلى جنب وهو حال منطقة تيط[3].

ولقد وضع لويس فوانو (LOUIS-VOINOT) عرضاً مفصلاً للقبائل القاطنة بالمنطقة في نهاية القرن التاسع عشر، فاستقر بفقارة الزوى قبائل زوى أولاد لعموش، وأولاد طالب علي، وأولاد بيازيد. وبفقارة العرب استقرت قبيلة أولاد المختار وبإقسطن استقرت قبائل أولاد الطالب علي، وأولاد حسون، وأولاد دحان . وبمنطقة حاسي لحجر استقر أولاد دحَّان، أما أهل عزي وأولاد سيدي عبد الله فقد أقاموا بمنطقة الساهلة الفوقانية أين أسسوا قصران (الفوقاني وسلافن) وبالساهلةالتحتانية قصران هما الساهلة والمطارفة؛ حيث استقر بها أولاد بودحان وأولاد أشميان وفي الأخير سكن بعض الزوى وأهل عزي قصر مليانة[4].

ب –الدور الحضاري لإقليم توات.

- **مظاهر الحياة الاجتماعية بإقليم:** تَّميز أهل توات بخصال عديدة نظراً لروح المؤاخاة والتعاطف التي تسود بين الأفراد، وهذا راجع إلى أنه مجتمع متدين، كما أن الإسلام غرس في نفوس أهله المحبة والتعاطف التي لِمسها كل من زار الإقليم وتقرَّب من سكانه، وهذا بشهادة الأوربيين الذين زاروا المنطقة[5].

كما أن الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي آثر البقاء بإقليم توات وتحدَّث عن أهله بأنهم يتميزون بنقاء الأخلاق وحسن الطباع، وصفاء السريرة، وأصالة العادات والتقاليد، فهم أشد الناس تمسكاً بتقاليدهم، ومن عاداتهم تعظيم أهل الفضل والصلاح[6]، وهذا الأمر تَنَبَّه له العياشي الذي مرَّ بالإقليم قاصداً البيت الحرام قال عنهم: « أهل تقوى وصلاح »[7].

أما الرَّحالة الألماني "جيرهارد رولف "[8] يصفهم بأنهم قوم مسالمون يحبُّون الغرباء ويحترمون رجال الدين، الدين، وكذلك "ديبورتر" الفرنسي فيذكر في تقريره تمسُّك أهل توات بدينهم وكرمهم مع الغرباء والمسالمة مع

---

[1]– البرامكة : جاءوا إلى الإقليم عام (656هـ 1257م)، ينظر : محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام، ص02.

[2]– قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة، الجزائر، دار الأبحاث، ص33.

[3]- Basset ,M.A,la langue berbère dans les territoires du sud in revue Africaine , N°85,année 1945 p62 .

[4]- Louis Voinot, (la Tidikelt) étude sur la géographie l'histoire et les mœurs du pays ,Bulletin de société de la géographie et d'archéologie de la province d'Oran , t, 29 ,1909 p 364 .

[5]– خير الدين شترة، المرجع السابق، ص66.

[6]– الطاهري (مولاي أحمد)، نسيم النفحات، ص ص (33–34).

[7]–العياشي، المصدر السابق، ج01، ص 24 .

[8]– جيرهارد رولف رحالة ألماني اكتشف عدة مناطق في الصحراء الكبرى من تافيلالت وتوات، وايقلي وعين صالح تميز اكتشافه بطابع جغرافي، للتوسع ينظر : إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص (89–91).

جيرانهم[1]. وتظهر هذه المعاملة الطيبة مع جيرانهم الطوارق الذين كانوا يغيرون عليهم بالنهب والسلب، و لم يسلكوا نفس المسلك باعتبارهم العنصر المستقر داخل الصحراء في الوقت الذي كان جيرانهم ما يزالون يعتمدون على الغارة كنوع من نظامهم الاقتصادي[2].وعن إكرام الضيف نقول أنَّ هذه العادة أصيلة في أهل توات فهي موروثة أباً عن جد، ومستمدة من تعاليم الدين الإسلامي، فمن المهام الموكلة للوقاف هي مصاحبة الضيوف إلى دار الضيافة، وهناك يتلقون كل الخدمات الضرورية وتعلم الأُسرة التي عليها الدور لتقديم الطعام للضيف مدة ثلاثة أيام .

وبما أن المنطقة كانت منطقة عبور، فإن المسافر الذي نفدت مؤونته أثناء السفر يدخل إلى قصور توات ليتزود بالمؤونة، ويستطيع المسافر الذي نفد ما عنده أن يواصل رحلته ماراً بقصور توات من أدناها إلى أقصاها دون أن يسأل شيئاً[3]،فهذا أبو عبد الله القيسي يتحدث عن كَرَمِ أهلها عندما نزل بتسابيت فقال:«. . . ثم نزلنا لبلاد توات بمدشر يعرف ببني أركان (برينكان) أول منزلة من البلاد المذكورة بلدة طيبة كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع ذات عيون جارية وأنهار، ورئيس الموضوع خير نجيب حسيب أريب يقال له الشيخ عافة، فأقام بها الركب سبعة عشر يوماً في نعمة شاملة، وآلاء الله عليه متواصلة وبيع وشراء وأخذ وعطاء »[4].كما »[4].كما نجد الزوايا بإقليم توات تؤدي دوراً مهماً بخصوص الضيافة، والقصر الذي لا تتواجد به زاوية يقسّم أهله أهله إلى سبعة أفواج، ويقوم كل فوج بتقديم الضيافة وإذا وجدت الزاوية فعلى أهل القصر تقديم الأحباس على شكل مساعدات مالية أو عينية لتتولى الزاوية أمر الضيافة والإنفاق[5].

وكل هذا الأمر يدل على مدى متانة العلاقات الاجتماعية داخل إقليم توات حيث أهتمَّ أهلها بزيارة الأقارب ومراعاة حقوقهم والنظر في أحوالهم والاجتهاد في طلباتهم، ومن مظاهر التضامن أنَّ الناس يجتمعون بعد صلاة العصر بالمساجد أو في الساحات العامة يتشاورن في مشاكلهم، ويستمر الأمر حتى صلاة المغرب ثم ينصرفون إلى منازلهم، أما أصحاب البساتين فيقضون أمسيتهم تحت أشجار النخيل يتجاذبون أطراف الحديث[6].

أما من الناحية الاقتصادية فنجد أن أهل توات بحكم موقع إقليمهم الوسط بين أسواق الشمال المغربي والجنوب السوداني قد اشتغل الكثير منهم كتجار، إمَّا يشتركون في القوافل الآتية من الشمال الإفريقي، أو يتولُّون لوحدهم إيفاد القوافل التجارية إلى غرب إفريقيا حتى أصبح الإقليم عبارة عن همزة وصل هامة ومركز تجاري

---

[1]– فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص14 .

[2]- Dèporter ,op.cit , cit , pp35-40 .

[3]– فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص36–37 . بن عبد المومن بهية، المرجع السابق، ص136 .

[4]– القيسي (أبي عبد الله محمد بن أحمد)، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمل والمآرب، تح : محمد الفاسي، بلا ناشر 1968، ص ص 28–29 .

[5]- Selka,op,cit, p353.

[6]– للتوسع ينظر: سرقمة عاشور، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، وهران دار الغرب، 2004م، ص ص (20–25).

مهم[1]. وكان الاقتصاد التواتي يعتمد بالدرجة الأولى على الفلاحة وبسب الطبيعة القاسية كان لِزاماً على الإنسان التَّواتي الاعتماد على نفسه فَلَجأ إلى الزراعة التي كانت النشاط الرئيسي الذي يمارسه السكان، وقد أدى واد مسعود الدور الكبير في ذلك[2].

وتأتي زراعة النخيل في المرتبة الأولى بالنسبة للمزروعات داخل الإقليم وتَمْرُهَا غذاء متكامل فهو مصدر للطاقة الحرارية بمحتواه السكري ويحتوي على كميات من الأملاح المعدنية والعناصر التي لها أهمية غذائية[3]، وتأتي بعدها زراعة الحنطة والشعير والذرة والبصل والفول والعدس، الحمص، اللوبياء الفول السوداني، والطماطم، الخس، والحنَّة وبعض الفواكه[4].

ويعود استقرار الناس بهذا الإقليم إلى وجود عنصر الماء مصداقاً لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا منَ المـــَاء كُلَّ شَيْءٍ حَي﴾[5] فأصبحت الزراعة مستقرة وذات مردود لأنها أقيمت على ضفاف الوديان الجارية، وكذلك يفضل نظام نظام الفقاقير الموجودة بالمنطقة . ومن حيث الجانب الصناعي اعتمد أهل توات على الإمكانات المتوفرة لديهم المتمثلة في النخيل الذي يعتبر المادة الأولية للصناعة الحرفية، فجذوعها للتسقيف وللأبواب والنوافذ وحَطَبها للطبخ والإنارة، بالإضافة إلى الخزائن لحفظ الكتب والأدوات المنـــزلية[6].

ومن ناحية التجارة فإن الموقع الهام للإقليم أعطى لهذا الأخير دوراً إيجابياً عادت فائدته لصالح سكان المنطقة من الناحية الاقتصادية حيث أوجد فرص عمل للكثير من السكان فاشتغل بعضهم كتجار وسطاءَ في سلع أسواق الشمال المغربي والجنوب السوداني، وأصبحت توات منطقة التقاء وتجمُّع التُّجار القادمين من كل الجهات[7].

- **الحركة العلمية والثقافية بإقليم توات:**

كان نظام التدريس يتم عبر مراحل تبدأ بالكُتَّاب، ونورد هذه الرِّواية للشيخ محمد عبد العزيز البلبالي[8] حول طريقة التدريس حيث قال عن شيخه: «أنه فتح لنا اللوح بحروف أ، ب، ت، ث بحسب بداءة الصبيان ثم بالتَّهجي إلى أن وصلنا سورة الجمعة وابتدأنا بالحفظ منه إلى أن ختمنا أيضاً ثم صعدنا معه كذلك ثم طرحنا اللّوح».وبعد ذلك ينتقل الطلبة إلى الزاوية والمسجد لإكمال دراستهم ويجازون بإجازات علمية وأدبية

---

[1]– جمعية الأبحاث والدراسات لولاية أدرار، دور منطقة توات في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، المهرجان الثقافي الثالث للتعريف بتاريخ منطقة توات، أدرار، جانفي 1988، ص 04 .

[2]– مبارك جعفري، المرجع السابق، ص ص (87-88).

[3]– محمد إبراهيم عبد المجيد، آفات النخيل والتمور في العالم العربي، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1996، ص25.

[4]– باي بلعالم، التعريف ببعض الجوانب ....، أعمال المهرجان الثقافي الأول، ص54 .

[5]– سورة لأنبياء، الآية30 .

[6]– باي بلعالم، الرحلة العلية، ج01، ص76 .

[7] -فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين، ص 15 .

[8]– محمد عبد العزيز البلبالي تولّى القضاء الأكبر بعد والده، وكان من العلماء الأجلاَّء . ينظر : .الغنية البلبالية، مخطوط بخزانة الشاري الطيب، كوسام،أدرار، ص03.

يمنحها لهم كبار العلماء [1]وكان لهذه المؤسسة العلمية نظام خاص يسيرها، ويدير شؤونها، كما ساهمت هذه الزوايا في تخريج العديد من العلماء والفقهاء، كان لهم الفصل في تنشيط الحركة العلمية[2]

❖ **بـــوادر الحركة العلمية والثقافية:**

أ- دور التجارة والموقع في تنشيط الحركة العلمية بإقليم توات .

إنَّ موقع توات من حيث هو معبر القوافل التجارية بين المدن الشمالية، وجنوب الصحراء أعطى للمنطقة حركية اقتصادية نَشِطة ساهمت إلى حدٍّ كبير في جذب العديد من الجماعات البشرية، التي فضَّلت الاستقرار بهذا الإقليم وتعتبر توات مفترق الطرق للقوافل المغربية[3]، حيث وصَفَها ابن خلدون أنها بلد مستبحر في العمران وأنها الممَّر الحتمي الذي تسلكه القوافل إلى بلاد السودان [4]. بالإضافة إلى الطريق التجاري هناك طريق يسلكه رَكب الحجَّاج القادمون من سجلماسة وشنقيط، والمتوجه نحو الحجاز عبر صحراء ليبيا ومصر، وهو ما مرَّ منه العياشي[5] الذي ألَّف رحلته إلى الحِجاز وذكره فيها، والشيء المهم في هذا أنَّ ركب الحجيج يضمُّ علماء أجلاء يلقون بعض الدروس خلال فترات الراحة، فيغتنم الطلبة التَّواتيون الفرصة للزيادة في العلوم وطلب الإجازة[6] من بعض العلماء. ومن نقول أنَّ القوافل التجارية أدت دوراً كبيراً في الحياة العلمية من خلال تجارة الكُتب والمخطوطات التي أصبحت سلعة رائجة، لها تُجارها وأسواقها، وتدرُّ أرباحاً كثيرة[7]،وذلك نظراً لإقبال الناس على طلبِ العلم .

ب- توافد العلماء وأثره على الحركة العلمية .

لقد عرفت منطقة توات حركة علمية وثقافية منذ أن عرف أهلها الدين الإسلامي واللغة العربية الشيء الذي جعل المنطقة لا تشذُّ عن مناطق العالم الإسلامي الأخرى في دفعِ عجلة الحضارة العربية الإسلامية، ومن مظاهر هذه الحركة العلمية توافد العديد من العلماء إلى المنطقة ساهموا في بعثِ الحركة العلمية من بينهم : العالم مولاي سليمان بن علي[8]، وتذكر بعض الروايات أن عيسى بن محمد البَطوي جاء إلى توات سنة(714 هـــ- 1314م)، ونزل أول الأمر بحي أولاد محمد بتمنطيط، وبَنَى بها مسجداً وأمَّ فيه الناس في صلاة الجمعة، ثم جاء

---

[1]- فرج محمود فرج المرجع السابق، ص 58.

[2]- خير الدين شترة، المرجع السابق، ص69 .

[3]- حسين جاجوا، دور غدامس التجاري ما بين طرابلس والسودان الأوسط والغربي خلال (1850 /1881 م).رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، إشراف عبد القادر زبادية، جامعة الجزائر، 1981ص58.

[4]- ابن خلدون ,المصدر السابق، ص ص (76-77).

[5]- العياشي، المصدر السابق، ج01، ص ص (20-21).

[6]- الإجازة : بمثابة الشهادات العلمية لليوم .

[7]- مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 133.

[8]- هو الشيخ مولاي سليمان بن علي بن عمر، بن أحمد، بن أبي بكر، بن أحمد بن علي، بن سيدي محمد، بن يوسف بن موسى، بن عمر بن صفوان، بن خالد بن زيد، بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله، بن الكامل بن الحسن، المثنى بن الحسن السبطي، بن علي ﷺ.

أبو يحي المنياري إلى تَوَات عام(815هـ-1412م) نسبة إلى قبيلة منيارة بالمغرب الأقصى حيث نزل بتمنطيط، ويعود له الفضل في إحضار المكاييل والموازين إلى المنطقة وتولّى القضاء بها، توفي عام (840هـ-1437م). وفي سنة (845هـ- 1441 م)جاء سيدي يحي بن يدير بن عتيق التدلسي، وتقضّى على توات وسَكَنَ في بادئ الأمر في بني تامر[1]. وفي سنة (682هـ- 1283م) جاء سيدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني إلى توات فتولى القضاء بها، سكن في بادئ الأمر في بني تامر[2] من قرى تيمي، ثم انتقل إلى بلاد تمنطيط، فسار سيرة أهل العدل والعرفان والدين والإحسان، وكل هذا الأمر يدلُّ على مكانة تمنطيط العلمية، فهي مركز القضاء والرِّياسة والعِلمُ كما وصفها ابن بابا حيدة[3] .

وفي عام (890هـ- 1455) ورد ولد الباي من طرابلس، وجال في توات، ومعه عشرة من العلماء كل واحد منهم يحفظ خليل، وبعض أصول المذهب كالبيان والتحصيل وابن الحاجب وعلم المعاني، وفي عام (992هـ 1583م) ورد الشيخ العبدلاوي ابن الطيب من أرض فزَّان ونزل ببلاد تيمي وبثَّ في توات علم البيان[4]. وأهمُّ العلماء الذين كان لهم تأثير كبير على إقليم تَوات هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، حيث ذكر ذكر محمد العالم البكراوي أنه دخل تَوات واستقرَّ بتمنطيط سنة(882هـ -1477م)، وأخذ على علمائها، كما أعطى للحركة العلمية دفعاً كبيراً تجلَّى في محاربته لليهود بالمنطقة، كما ألَّف عدة كتب تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع[5].

كما تذكر بعض المصادر الكثير من علماء القُطر التَّواتي الذين عاشوا قبل القرن الثاني عشر هجري، ممَّن مهدُّوا الطريق للنهضة العلمية وكانت لهم إسهامات فكرية وعلمية بارزة في مختلف العلوم منهم أبو زكرياء التواتي (ت883هـ- 1478م) قاضي تَوات، وكذلك الشيخ سيدي موسى بن مسعود (ت920هـ-1514م)، وكان من العلماء البارزين في تنجورارين تخرَّج على يده العديد من الطلبة، وهكذا يتبيَّنُ لنا أن منطقة تنجورارين كانت في القرن العاشر والحادي عشر هجري مركز علمي صمَّ العديد من العلماء[6]. ورغم كل هذا فإن المصادر التاريخية لم تذكر لنا التفاصيل الكافية عن نشاط هؤلاء العلماء .

عوامل هجرة هؤلاء العلماء إلى توات .

من العوامل التي جعلت العلماء يحلُّون بمنطقة توات هو توفر عنصر الأمن؛ حيث عرفت منطقة توات على مرِّ التاريخ بأنها أرض آمان واطمئنان كَثُرَ فيها الصالحون والزُّهاد، أتوا إليها من كافة المناطق العربية

---

[1] _ محمد العالم البكراوي، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليمنا التواتي، بخزانة محمد العالم، المنيعة، ص 05.

[2]- بني تامر : تقع الآن ببلدية تيمي، وتبعد عن مدينة أدرار بـــ07 كلم،

[3] - بابا حيدة ، القول البسيط ، ص ص(30 - 31).

[4]- محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقلام، ص 06. _ ابن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص ص (30-31)._ أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص38 .

[5]- محمد العالم البكراوي، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليمنا التواتي، بخزانة محمد العالم، المنيعة، ص 05 .

[6]- مبارك جعفري، المرجع السابق، ص ص124-125 .

واستوطنوا بها متأثرين ومؤثرين فيما حولهم[1]، حيث قال صاحب درة الأقلام : « ولقلة ضعف أهلها وهضم قوة النفوس كثُرَ فيها الصالحون والزُّهاد وأرباب القلوب »[2]. كما أن الله عز وجلَّ لم يَرِد لهذا الإقليم أن يعيش تحت وطأة الجهل فكل مرّة يظهر به علماء يحاولون الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وإلا كيف نفسّر قطعهم لتلك الفيافي المقفرة، وتحمُّل الحرارة والجوع والعطش في سبيل إعلاء كلمة الله .

كما أن القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي أقلُّ ما يقال عنه أنه تميَّزَ بظهور عقيدة المرابط وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف[3]، فمعظم العلماء الذين توافدوا على تمنطيط جاءوا في القرن التاسع الهجري، وبالنظر إلى حياتهم العلمية نلاحظ أنهم متصوفة يمتازون بالورع والتَّقوى[4].

ج – دور الزّوايا والأوقاف في الحركة العلمية .

كان لوجود الزوايا دورٌ بارزٌ في الحركة العلمية، لما وفّرته لطلبة العلم من مأوى ومسكن، ويعود لها الفضل في انتشار التعليم في الإقليم خاصة بين العائلات الفقيرة، وكان لكل زاوية أوقاف تابعة لها فلا يكاد يخلو قَصْرٌ أو بلدةٌ وإلاّ ونجد بها بساتين ومياه أوقفت على المسجد والزاوية[5]. وعندما نعود إلى نشأة بعض القصور والزوايا نجد أن أصحابها أوقفوا كل الأوقاف والأراضي والبساتين المحيطة بها مثل زاوية تنلان[6]. وقد وجد العلماء العلماء والطلبة في هذه الأوقاف ما يعينهم على أعباء الحياة والتفرُّغ للعلم وعدم الاشتغال بأمور لأخرى .

وهكذا ساهم القطاع الزراعي في الحياة العلمية داخل الإقليم وذلك من خلال البساتين ومياه الفقاقير التي كانت وقفاً للزوايا والمدارس القرآنية وعابري السبيل كما كانت ضمن الهدايا التي يقدمها الآباء للأبناء خاصة عند حفظ القرآن الكريم تحفيزاً لهم على طلب العلم والتفرغ له وهو ما شجَّع الكثير على احتراف التعليم والدراسة[7]، وهكذا استطاعت الزوايا في منطقة توات أن تخرج منذ تأسيسها دفعات من الطلبة والعلماء حَمَلوا المشعل الفقهي والعلمي بعد شيوخهم أينما حلُّوا وارتَحَلُوا[8].

د – أوجه النشاط العلمي بإقليم توات.

أهم ما ميَّزَ النشاط العلمي والفكري لعلماء توات هو ظهور ما يعرف بحركة تأليف ونسخ الكتب والمخطوطات التي تعنى بالمذهب المالكي خصوصاً باب الفقه منه، وقبل التطرق لأهم الكتب نتحدث عن كيفية ومراحل تواجد المخطوطات بالإقليم:

---

[1]– أحمد جعفري، الحركة الأدبية في إقليم توات من ق7هـ حتى ق13هـ، ج01، منشورات الحضارة، 2009، ص09 .

[2]– محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام، ص11.

[3]– للمزيد ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص48 .

[4]– فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص93 .

[5]– مبارك جعفري، المرجع السابق، ص134.

[6]–ينظر : أحمد بن يوسف التنلاني، وثيقة حبوس تنلان، بخزانة تنلان، أدرار .

[7]– مبارك جعفري, العلاقات الثقافية,ص ص (95-96-134) .

[8]– ميلود سرير وآخرون، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، ج02،جامعة أدرار، ص259 .

✓ **مرحلة مجيء المخطوط:** حيث ذكرنا سابقاً أنَّ القوافل التجارية كان لها إسهام كبير في جلب كميات كبيرة من المخطوطات[1]، ابتداءً من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثالث عشر ميلادي[2].

✓ **مرحلة النسخ:** في هذه المرحلة لم تتوقف عملية جلب المخطوطات،وتخصصت بعض المراكز في عملية النسخ واستعمال السمغ المحلي فهذا سيدي يوسف بن عبد الحفيظ التنيلاني أَلَّف كتاباً في كيفية تحضير السمغ سمَّاه " التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع "[3]، وقد امتدت هذه المرحلة من القرن الثالث عشر إلى منتصف منتصف القرن الخامس عشر الميلاديين، والمطَّلع على بعض المخطوطات يجد بها تاريخ الانتهاء من النسخ في أوقات مختلفة فتارة يقول: «فرغت منه سحراً وتارة منتصف الليل»[4].

✓ **مرحلة التأليف:** وتبدأ هذه المرحلة من منتصف القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين حيث ظهرت المخطوطات في مختلف المناطق، وخاصة المخطوطات المحلية التي تمتاز بالشمولية لمختلف العلوم كالتفسير والشروح والنوازل وبعضها في التاريخ والطب وغيرها[5]، فالإمام المغيلي ترك جملة من الكتب منها "البدر المنير في علوم التفسير"، "مصباح الأرواح"، "مغنى النبيل في شرح مختصر خليل"[6].

أهم المؤلفات بإقليم توات: كانت الخزائن التَّواتية تعُجُّ بأمهات الكتب والمخطوطات والواقف على ما تَبَقَّى في خزائن توات منها ليلمس ضخامة وغزارة الانتاج العلمي للعلماء حيث أَحصت جمعية الأبحاث التاريخية بولاية أدرار ثلاثة آلاف مخطوط مفهرس من مجموع(12 ألف) مخطوط موزعة على(29 خزانة) .

ويبدو أن تلك الخزائن كانت تحتوي أضعاف هذا العدد، بالإضافة إلى بعض الخزائن المغمورة والتي لا يريد أصحابها التصريح بها لعدّة أسباب وقد غلب على مؤلفات تلك المخطوطات الطابع الفقهي واللغوي، بالإضافة إلى بعض الفنون الأخرى كالطب، التاريخ، وبعض الرحلات، سوف نستعرض بعضاً من مؤلفات علماء القرن 12هـ:

أ -**العلوم الشرعية:** ظهرت العديد من المؤلفات الفقهية في إقليم توات ذات المذهب المالكي وأخذت النوازل الحيّز الأكبر منها:

---

[1]– مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 133 .

[2]– ميلود سرير وآخرون، المرجع السابق، ص190 .

[3]– مخطوط بخزانة شاري الطيب، كوسام، أدرار .

[4]_ نفسه.

[5]– سرير ميلود، المرجع نفسه، ص 191 .

[6]– محمد باي بالعالم, أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، ص48 .

- نوازل الزجلاوي[1]: ألَّفها محمد العالم الزجلاوي وهي مجموعة أجوبة على قضايا فقهية أجاب عليها الزجلاوي أو جمعها من إجابات شيخه عبد الرحمان بن عمر التَّواتي التنلاني أو شيخه عمر بن عبد القادر التنلاني. وهي تُسلط الضوء على جملة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية للسكان ومن خلالها نرصد حالة المجتمع التَّواتي.
- الوجيز في شرح مختصر خليل للمؤلف نفسه صنفه ب إشارة من شيخه عبد الرحمان بن عمر .
- نوازل الجنتوري ألَّفها عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري[2]، وتعتبر من أهم النوازل الفقهية في توات إذ تعكس الثقل العلمي لمؤلفها الذي يعد من القلائل الذين انتبهوا إلى الأزمة الفقهية التي يعاني منها المذهب المالكي في بلاد المغرب وانتقد آفة الاختصارات والاهتمام بالفروع وترك الأصول، ونوازله في صورة إجابات تمس الجانب الاجتماعي والاقتصادي للإقليم التّواتي.
- غنية المقتصد السائل لما حلَّ بتوات من النوازل[3]: جمعها الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي وهو من تلامذة الشيخ عبد الرحمان بن عمر، بالإضافة إلى ابنه محمد عبد العزيز، وهي نوازل ضخمة مجموعة من فتاوى علماء توات أمثال الشيخ عبد الرحمان بن عمر، ومحمد بن العالم الزجلاوي، والقاضي عبد الحق بن عبد الكريم، والشيخ محمد بن عبد الكريم الحاجب، وبحسب ماجاء في ألفيته أنَّ المشايخ الأربعة المتقدمين كانوا يمثلون مجلس شورى القاضي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيطي، وكانت قضايا المياه تحتلُّ حيّزاً مهماً ضمن أدب النوازل حيث خصَّص مدوِّنوا النوازل الفقهية فصولاً وأبواباً لابأس بها في مؤلفاتهم للقضايا الخاصة بالسقي وبالرغم من المشاكل المنهجية التي تطرحها هذه النوازل فإنها تقدم للباحث مادة غنية يعز نظيرها في المصادر التاريخية الأخرى[4].
- تحلية القرطاس بالكلام عن مسألة الخمَّاس[5]: لمحمد بن أب المزمري وهو جواب عن مسألة بعث بها الشيخ بن مصطفى الرقادي لابن أب المزمَّري في مسألة تخميس الأرض والضوابط التي تحكم العلاقة بين الخماس وصاحب الأرض وتعد هذه الرسالة من قليل تراث ابن أب الفقهي.
- الألفية في التفسير[6]: لمحمد بن محمد العالم الزجلاوي، ألَّفها بأمرٍ من الشيخ زيد عبد الرحمان التنلاني.

---

[1]– نسبة إلى زاجلو: من قُرى توات، تقع الآن ضمن الحدود الإدارية لدائرة زاوية كنتة، وبها قصران زاجلو العرب، وزاجلو المرابطين .

[2]– الجنتوري : نسبة إلى جنتور، أخذ العلم عن والده إبراهيم بن عبدالرحمان ، وعن ابن عمِّه الفقيه عبد العالي بن أحمد الجنتوري، ثم انتقل إلى تنلان لمجلس الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني. للتوسع ينظر : عبد الرحمان بن عمر التنلاني، خزانة سليماني علي، الورقة 03 وجه..وما بعدها . وكذلك نوازل الجنتوري الورقة 01، وجه /وظهر .

[3]– توجد العديد من النسخ المخطوطة منها : نسخة بخزانة كوسام أدرار، وأخرى بملوكة أدرار، وأخرى بخزانة باعبد الله أدرار.

[4]– عمر بنميرة "قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب النوازل"، إنجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، رقم 46، ط01، 1995، ص 77 .

[5]– المخطوط موجود، بخزانة المطارفة، أدرار .

[6]– مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار .

- متن العبقري[1]: لمحمد بن أبَّ المزمري وهو نظم على الأخضري، وقد لقيت هذه الأرجوزة اهتماماً كبيراً في المدارس القرآنية، فهي تُدَرَّسُ للصبيان وقد شرحها عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن عمر التَّواتي في مؤلَّف سمَّاه "المورد العنبري لمعاني العبقري ".

ب ــ اللغة والنحو :نظراً لارتباطها الوثيق بعلم الفقه وعلوم القرآن فقد اختلت المراتب الأولى من اهتمام علماء المنطقة فأَلَّفوا فيها العديد من المخطوطات نذكر منها على سبيل المثال:

- ألفية الغريب: لمحمد بن العالم الزجلاوي، لشرح غريب ألفاظ القرآن الكريم .
- فقه الأعيان في حقائق القرآن الكريم للشيخ المختار الكبير الكنتي[2].
- تعليق على قراءة نافع لأبي العباس سيدي أحمد بن الحاج لمين وموضوعها علم الأصوات ذكره الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني في فهرسته[3].
- مؤلفات ابن أَبَّ المزمري: هو من رواد الدراسات اللغوية في توات حيث أَلَّف العديد من المصنفات الفقهية وشرح العديد من المتون الفقهية وأهم ما ألَّف في علم اللغة هي روضة النسرين في مسائل التمرين وشرْحِها[4] والذخائر الكثرية في حلِّ ألفاظ الهمزية.

ج ــ أدب الرِّحلة: عُرِف التَّواتيون عبر تاريخهم الطويل بكثرة رحلاتهم بين العواصم والمدن التاريخية من أجل أداء فريضة الحج وطلب العلم ومع كل خطوة من خطوات الرحلة كان القلم شاهداً على كل كبيرة وصغيرة، وهكذا أصبح للعالم الواحد أكثر من رحلة مدونة يفتتحها بخروجه من مقر قصره بتوات ويختتمها بالعودة إليه[5]. ومن أهم الرِّحلات التي أُلِّفَت في القرن الثاني عشر هجري نذكر منها: رحلة أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني إلى فاس لطلب العلم[6]. ثم رحلة أبي عبد الله الفلاني إلى الدِّيار التَّواتية وهي رحلة قام بها الشيخ من بلاد التكرور إلى تنلان لتلَّقي العلم عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني بزاوية تنلان حيث مكث عنده شهرين

---

[1]– يقول في مطلعها: الحمد لله جزيل النّعـــــم مرشد من عن سُبَل الحقِّ عم
ثم صلاة الله يتلوها السلام على رسول الله سيد الآنـــام

[2]– توجد نسخة منها في خزانة باعبد الله

[3]– مخطوط بخزانة تنلان، أدرار، وهو عبارة عن تراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني التَّواتي .

[4]– يقول فيها الحمد لله الخير الملهـــم من شـــاء للتـــعليم والتَّعلُّم
ثم عـــلى نبيّه أصـــــلي والآل والأصحاب أهل الفضل
واعلـــم أنّ هـــذا نظـــم يَروق كل من لـــديه فـــهم
سمّيتُه بروضة النسريـــــن لجمعة مســـــائل التمريـــن
توجـــد نسخة منها بخزانة باعبد الله .

[5]– أحمد جعفري، الحركة الأدبية في إقليم توات، ج02، ص144 .

[6]– توجد نسخة منها بخزانة باعبد الله، أدرار .

وسِتَ ليالٍ، ويصور في هذه الرحلة بعضاً من الأحوال الاقتصادية لتوات وكذلك طريقة التدريس والإجازة التي أجازه بها شيخه عبد الرحمان وهي في العموم قصيرة لا تتجاوز خمسَ صفحاتٍ[1].

بالإضافة إلى رحلة عبد الرحمان بن عمر التنلاني إلى الحج: تعتبر من الرحلات الحجازية وهي خير شاهد ودليل على الذي يريد قطع الصحاري لأداء فريضة الحج، وهي ذات أهمية بالغة حيث يتحدث فيها عن المنازل التي نزل بها الركب، وفي ثناياها أورد أخباراً عن المناظرات العلمية التي جمعت علماء الركب وعلماء فزان[2].

ومما سبق ذكره يظهر لنا أنَّ منطقة توات شهدت نهضة علمية ترجمها الكَمُّ الهائل من المخطوطات التي تعبر بجلاء عن مساهمة أهل توات في الحركة العلمية بالجزائر وتواصلهم الثقافي والاجتماعي مع حواضر المغرب الأقصى وبلاد السودان بالإضافة إلى العديد من الزوايا التي احتضنت الرصيد الثقافي وأصبحت مراكز إشعاع عِلمي عادت فوائده على المجتمع التَّواتي.

[1]– توجد نسخة وحيدة بخزانة سليماني علي، أدغا، أدرار .

[2]– توجد نسخة منها بخزانة باعبد الله، أدرار .

الفصل الثاني:

حاضرة تتلان و علمائها

1. التعريف بالعائلة التلانية وموطنها.

2. تراجم أعلام العائلة التلانية.

3. زوايا العائلة التلانية بإقليم توات.

المبحث الأول: التعريف بالعائلة التنلانية وموطنها.

أولا: نسب أهل تنلان:

وُجد في كثير من وثائق علماء تنلان [1]، يثبتون أن نسبهم يمتد إلى الأمويين أي بني أمية، وبنو أمية من قريش وذلك وفقا للشجرة التالية: أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين ابن الحسن بن الحسين بن يوسف بن أحمد بن داود بن محمد بن سلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدان بن دادان بن سكناس بن مغزار بن قيس بن محمد بن قيس بن محمد بن أبان بن عثمان بن عفان.[2]

أما عالم توات عبد الكريم بن محمد التمنطيطي أحد شيوخ أحمد بن يوسف مؤسس "زاوية تنلان"، فقد قال إن نسب معروف وصِنوه أحمد بن يوسف يرجع إلى السيد الحسن بن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ونصُّ ما قال: « ثبت لدينا ثبوتا كافيا لا مزيد عليه أن الوجيه الأغرّ السيد الحاج معروف بن السيد العلوي الباهر وإنه من ذرية الشريف سيدي يوسف الحسني الثابت النسب بغير نزاع، فيجب على الواقف على هذا أن يلاحظه بعين الاحترام وأن يعامله بالتبجيل والإعظام، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لا أسألُكم عليه أجراً إلا المودَّةَ في القُربى﴾ وقال تعالى: ﴿إنما يريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّرَكُم تطهيراً﴾. ويضيف عبد الكريم بن محمد قائلا: «...وبه كتباً مُعلَماً به من يقف عليه بتاريخ أواخر رجب الفرد بعد مطالعة رسوم الشهود والقضاة والعلماء الأعلام كما هو مرسوم أسلافهم وفي عام خمسة وثلاثين بعد الألف، محمد بن عبد الكريم بن محمد التواتي رزقه الله رضاه».[3]

لكن الروايات الشفوية والمصادر المحلية تُجمعُ على أنّ نسبهم يرجع إلى سيدنا عثمان بن عفان، حيث ذكر صاحب كتاب قطف الزهرات في التعريف بنفسه حيث يقول: «عبد العزيز بن علي بن محمد عبد العزيز بن مَحمد فتحاً ابن محمد بْن عمر صاحب زاوية مهدية،... ابن عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني من آل سيدنا عثمان بن عفان»[4].

ومن هذا الباب نجد أن أهل توات يهتمون بمعرفة أنسابهم لأن البحث في مسألة الأنساب أمراً أباحه الإسلام بل نَدَبَهُ ودعا إليه وذلك تحقيق لمقاصد سامية لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَاكم شُعُوباً وقبائلَ لتعَارفُوا﴾ [5] وحث الرسول الكريم في قوله: ﴿ تعلّمُوا أنسابَكُم تصِلوا أرحامَكُم ﴾[6] فالعرب اهتموا بضبط أنسابهم إلى أن

---

[1] – في بعض المؤلفات المطلع عليها للتنلانيين وُجد عبارة "الأمويّ نسبا".عبد العزيز سيدا عمر، قطف الزهرات، ص 80.

[2] – مؤلف مجهول، تقييد لأنساب العائلة التنلانية، خزانة با عبد الله أدرار

[3] – محمد عبد العزيز سيد اعمر، العلم عماد الدين والإيمان وذكر مناقب العلماء حياة الإسلام، خزانة زاوية مهدية، أدرار.

[4] – محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 09.

[5] – سورة الحجرات، الآية 13.

[6] ـ الإمام أحمد بن حنبل، مسنده، ج14، ط01، مؤسسة الرسالة، ص 456.

كَثُرَ أهل الإسلام واختلطت أنسابهم بالعجم فانتسب كل مجهول النسب إلى بلده أو حرفته[1]. فالنسب في السابق كان يعبّر عن هوية الشخص غير أن هذا الذي ذكرناه لا يعني بأي حال من الأحوال جواز الافتخار والتباهي بالأنساب والتعالي بها على الناس[2].

ثانيا: قدوم الفرع الأموي إلى إقليم توات:

جاءت هجرة جدُّ التنلانيين الأول ضمن الهجرات العربية التي نزحت لإقليم توات وبما أن التنلانيين يُنسبُون إلى الأمويين فسوف نذكر كيف جاء جدهم الأول إلى منطقة توات وذلك بالاعتماد على ما ذكره أحد الباحثين عن روايات بخصوص جد العائلة الذي يدعى **"بَاملوك"**[3]. والمصدر المكتوب الوحيد قدّمه مارتن "Martin" الذي يعيد ما جاء في مخطوط محلي للواجدي [4] تقول هذه الرواية: « في نفس الفترة جاءت قبائل أخرى يقودها رجل من بني أمية اسمه أبو ملوك الذي أبعده أمراء الشرق استقر غير بعيد من القرية الكبيرة (اليهودية- البربرية) المسماة بتاهتايت (تيميمون) وبنى قصراً حمل اسم بني ملوك والذي استوطنه نسله، انطلاقا من هنا تفرعت عدّة قبائل مثل: أولاد الحاج بلقاسم، وقصور تقع بين هذه الزاوية وتيميمون وأهل تالمين وأجدير وشروين وتنلان وبودة وأولاد الحاج ببوفادي وأولاد عمار ملوك من تيديكلت وآخرين أيضا»[5].

ولقد علّق الباحث رشيد بليل على ما قاله مارتن حيث قال: «إن عبارة "في نفس الفترة" التي استعملها النص مضللة مادامت مخطوطة الواجدي لا تقدم أي تاريخ، أما عبارة "يهودية وبربرية" غير واردة عند الإخباريين المحليين، وقد تكون أضيفت من قبل مارتن نفسه»[6]. أما نسبة الواجْدي تسمح بالتعرف على هذا الإخباري الذي يعود أصله إلى قصر "واجدة" الواقع قرب تيميمون، والإخباري إذن مجاور للمكان الذي استقر به باملوك ومن المؤكد أنه يسجل كتابة ما كان يتناقله أهل عصره شفاهة حول هذه الشخصية، لكن الشيء المجهول هنا، هو اسم ولقب الواجدي وتاريخ كتابة هذا المخطوط[7]. وهناك ثلاثة أمور تُستخلص من نص الواجدي وهي أصل باملوك الذي عُرف بأنه أموي ثم استقراره قرب "تاهتايت" مما يشير إلى أن تيميمون لم تكن موجودة بعدُ تحت هذا الاسم، وأخيراً معرفة الجماعة التي تنحدر من باملوك، ونسل باملوك تفرقوا في فضاء واسع من غرب قورارة (تالمين وأجدير) إلى تيديكلت مرورا بتوات أي منطقة تنلان، بودا، أولاد الحاج ببوفادي. وأما قوله: «أبعده أمراء الشرق»[8]. فإنه يوحي أنَّ هذا الشخص قد يكون طرد بعد سقوط الخلافة الأموية.

---

[1] – حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مج1، تح محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1971، ص 243.

[2] – إذا اجتمع عند الإنسان شرف النسب وشرف العلم فهذا من الأمور التي يجب أن يحمد الله عليها.

[3] – رشيد بليل، المرجع السابق، ص 139.

[4] – الواجدي نسبة إلى قصر واجدة بتيميمون.

[5] rienne. Alger P68.é Les Oasis sahariennes, Edition de l'imprimerie alg, -Martin, A.G.P

[6] – رشيد بليل، المرجع السابق، ص 141.

[7] – نفسه.

[8] – نفسه.

ويضيف الباحث رشيد بليل رواية أخرى عن مجيء باملوك إلى منطقة قورارة مفادها: «جاء باملوك من الشرق فارًّا لما سقطت الدولة الأموية سنة 132 هـ بعد صراعها مع العباسيين والأمويون الذين بقوا أحياء بعد سقوط الخلافة توزَّعوا في العالم الإسلامي، كان باملُّوك بن سلطان من أسرة بني أمية وسيدي الحاج بلقاسم[1] واحد من أحفاده هم جميعا من نسل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه» [2]. ويواصل القول: « كان من بينهم من استقر في الأندلس، أي عبد الرحمان الأول الذي أقام دولة بني أمية بعد تشتت الأمويين، جاء باملُّوك إلى قورارة وأحفاده سيدي الحاج بلقاسم مرابطو تنلان(بجانب أدرار) ومرابطو مهدية، وبودا وكذلك المعيز(تسابيت) ».

ويقال أيضا: « أنّ أهل باملُّوك أوكلوا قطيعا من الجمال لأحدهم وكلّفوه بقيادة هذا القطيع إلى المراعي التي كانت موجودة بجانب تالمين. لهذا السبب تسمي هذه المنطقة "تالمين" التي تعني بالزناتية " **النوق**". وقد استقر فيها وأنجب أولاداً مكثوا في هذا المكان»[3].

إن الشيء الأساسي في الرواية هو التعرّف على باملّوك وأسباب اختياره قورارة، وصحيح أن باملّوك قدِم على أنه فارٌّ يبحث عن ملجأ ولكن أمام غياب الدليل نقول إنه من الصعب قبول أنه أثناء فرار الأمويين نحو الأندلس يختار أحدهم، أو حتى أحد حلفائهم، أن يلجأ إلى قورارة، ففي ذلك العهد "القرن الثامن الميلادي" لم تكن الطرق المؤدية لداخل الصحراء معروفة بصفة جيدة مع أن هناك جماعات يهودية في توات أشير إلى وجودها منذ تاريخ سابق لهذه الفترة بكثير ومن ناحية أخرى، كانت المجموعات الزناتية قد بدأت الاستيطان المتدرج لهذه الفضاءات، كما أن المجموعة الأولى للعرب الرحل التي أشير إليها في هذه المنطقة، أي القدُوعْ والبرامكْ [4] بدأ تواجدها في بداية القرن الحادي عشر الميلادي. [5]كما يذكر مارتن أن قُدوم أبو ملوك إلى قورارة حصل فيما بعد ومن وجهة نظر زمنية، فإن البرامكة الذين فروا في العهد العباسي سيكونون قد وصلوا حتماً إلى هذه المنطقة بعد قدوم الأمويين إليها.ومع ذلك لا يمكن تأكيد أي شيء بهذا الشأن خاصة وأن الواجدي لا يقدم تواريخ مضبوطة في مخطوطته. والشيء المهم في هذه الرواية أنها تتفق مع الأولى بخصوص سلالة باملُّوك وأن الجماعة التي ذكرتها الرواية الثانية هي نفسها المذكورة في نص الواجدي. ومن هنا نلاحظ أن لقب المرابطين [6] الذي منح لهذه الجماعات يحيل إلى وضعية الجد الذي ينحدر من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه[7].

---

[1] – الحاج بلقاسم المعروف بزاويته التي أسسها بتيميمون (زاوية الحاج بلقاسم).

[2] – نفسه، ص 141.

[3] – رشيد بليل، المرجع السابق، ص 141.

[4] – البرامكة أسرة فارسية عريقة، اعتنقت الإسلام على المذهب الشيعي زمن الخلافة الأموية. ينظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2002، ص ص(81-82).

[5] – رشيد بليل، المرجع السابق، ص ص(141-142).

[6] – لقب المرابطين بإقليم توات يمنح للذين ينحدرون من أحد الصحابة أو عالم جليل.

[7] – رشيد بليل، المرجع السابق، ص 142.

ثالثا: فروع أبناء قبيلة عثمان بن عفان بمنطقة قورارة وتوات: بعد مجيء باملّوك إلى منطقة توات تفرعت ذريته بهذا الإقليم إلى عدة قبائل نذكر منها على حسب ما جاء في بعض المراجع:

- ✓ أبناء الشيخ سيدي الحاج بلقاسم الملقّبين بأولاد بابا حمو، وأولاد سيدي أحمد عبد العزيز بقصر أديين وأجنيين .
- ✓ آغم عبد الصمد الملقبين بأولاد بوشامية إخوانهم أولاد سيدي يدّا بقصر مساهل.
- ✓ سيدي أحمد بعريان الرأس بالأرض التي تسمى بإفلان[1].
- ✓ سيدي الحاج عبد الله ببودة لغمارة من أحفاده العلامة سيدي الحاج محمد بن لكبير رحمه الله.
- ✓ سيدي أحمد بن يوسف تنلان الملقبين بن حسان.
- ✓ سيدي عبد القادر بن عومر بناحية فنوغيل الملقبين بن عومر.
- ✓ سيدي إبراهيم بناحية تامست .
- ✓ سيدي أحمد بَقدير من فروع الذين خرجوا من قصر أوسيف.
- ✓ سيد أعمر بقصر مهدية من أحفاده العلامة سيد أعمر الحاج عبد العزيز صاحب كتاب "قطف الزهرات"[2].
- ✓ بن الحاج عومر بقصر تسابيت بالمعيز الملقبين "فلاحي الحاج عبد القادر" وجميعهم يلتقون في جد واحد ونسب واحد وذلك من خلال استعراض نسب بعض العائلات[3]:

- **قصر أوسيف باملّوك بتيميمون**[4]: الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر بن موسى بن يوسف بن داود بن محمد بن سلطان بن التميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدان بن دادان بن سكناس بن معزار بن قيس بن محمد بن قيس بن محمد بن محمد بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- **قصر مهدية**[5] **بأدرار**: عمر بن الحاج عبد الرحمان بن الحاج عبد القادر بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين ابن الحسن بن الحسين بن يوسف بن أحمد بن داود بن محمد بن سلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدان بن دادان بن سكناس بن مغزار بن قيس بن محمد بن قيس بن محمد بن محمد بن أبان بن عثمان بن عفان[6].

رابعا: نشأة قصر تنلان:

---

[1] – يحي ولد الصافي، حقيقة السبوع بمنطقة قورارة، علماء وبعض زوايا المنطقة وفروع قبيلة عثمان بن عفان، نشرية، 2008م، ص 07.

[2] ـــــ محمد عبد العزيز، قطف الزهرات، ص 09.

[3] – يحي ولد الصافي، المرجع السابق، ص 07.

[4] – نلاحظ أن كلتي العائلتين تلتقيان في الجد "داود".

[5] – قصر مهدية: أحد الزوايا التي أنشأها التنلانيين أسسها عمر بن عبد الرحمان التنلاني.

[6] – يحي ولد الصافي ،المرجع السابق ،ص 07.

القصر لغة: كما ورد في لسان العرب القصرُ من البناء وهو المنـــزل، وقيل كلّ بيت من حجر قرشيّة، سمي بذلك لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس وجمعه قصور والمقصورة الدار الواسعة المحصنة وقيل هي أصغر من الدار [1].ويعني القصرُ في المفهوم العام بناءً مخصصا لحاكم أو سلطان لأنه مكان أكابر القوم وأغنيائهم وقد امتازت هذه القصور بفخامة بنائها وحُسن تخطيطها وروعة زخرفتها وذلك لما كان يوليه الحكام من اهتمام بها وتنافس فيما بينهم[2].والقصر في الصحراء هو ذلك الفضاء المشترك المغلق والمقسّم إلى مساحات وفراغات موزعة توزيعاً نوعياً والذي تشترك فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة أو الانتماء القبلي والعشائري أو الأسري [3] وهذا ما لمسناه في قصر تنلان حيث كان يضم أبناء أحمد بن يوسف التنلاني [4]. والقبيلة الواحدة تقوم بتخزين محاصيلها الزراعية داخل القصر وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها المختلفة وفي وقت الحرب كملجأ ضد الأعداء[5]. وهناك عدة عدة أنواع من القصور في الصحراء حسب بعض الباحثين وتتمثل في: قصور تاريخية ثقافية وحضارية وهذه أنشأت كزوايا علمية لذلك عرفت بإشعاعها العلمي والثقافي وكمثال على ذلك قصر تمنطيط وقصر تنلان. وهي في نفس الوقت تتميز بطابعها الاقتصادي والاجتماعي ونشاطها التجاري.

وتعتبر القصبة أساساً لنشأة هذا القصر أو ذاك في حين أن العديد من القصور تعمل بمقومات واحدة مثل: وجود فقارة واحدة لمجموعة من القصوركما هو الحال بالنسبة لفقارة أكرينج [6] التي تسقي القصور التالية: أولاد علي، أولاد أوشن، أولاد أحمد، أولاد أنقال، با عبد الله، بوكان، المنصور، أولاد إبراهيم. كما ينتج عن ذلك اختلاط البساتين الناتج عن اختلاط الأرض، وجود مقبرة واحدة كما هو الحال بين أولاد علي وأولاد أوشن ووجود مجموعة الحل والربط في أغلب الأحيان في مجموعة القصور [7]. كما أن معظم القصور التواتية تحتوي على قصبات وهي عبارة عن قلعة يحيطها سور، تشيّد بطريقة دفاعية لتستعمل كمأوى للسكان عند نشوب حرب أو غزوة من قبائل خارجية، فالقصبة هي الجزء المهم في المدينة والقلب النابض لها، وتمثل إقامة القبائل أو العائلات المهمة. ومن الناحية المعمارية تتألف القصبة من سور خارجي بأركانه الأربع وأبراج المراقبة والحراسة في أوقات الخطر، ويحيط بها خندق عميق يسمى أحفِير [8]، وتحتوي القصبة على مدخل واحد يغلق في الليل ولا تخلو القصبة من مسجد للصلاة وتعليم القرآن.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مج5، بيروت، د.ت، ص.ص(99-100).

[2] – عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1963، ص.ص (120-127)

[3] – محمد بن سويسي، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات، تمنطيط نموذجا من ق 6هـ إلى 13 هـ، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف عبد العزيز محمود لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص 36.

[4] – زيارة ميدانية لقصر تنلان يوم 2012/03/25.

[5] – محمد بن سويسي ،المرجع السابق ، ص 36.

[6] – أكرينج: من الفقارات الموجودة بتوات الوسطى.

[7] – مبروك مقدم، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، ج1، دار هومة، الجزائر، 2008، ص 31.

[8] – محمد بن سويسي ، المرجع السابق، ص 36.

وإذا أردنا تحديد كل من القصر والقصبة في المجال الواحاتي فإننا نجد أن القصبة تمثل جزء من القصر نفسه فبعض القصور تحتوي على قصبة أو أكثر وترتبط بها السكنات تفصلها الأزقة الضيقة والمسجد الجامع ويشمل القصر أيضا مرافق أخرى ضرورية مثل السوق والرحبة وتحيط به الواحة التي تضم البساتين وفي محيطها واحة النخيل والمقبرة والضريح [1] وكذلك قصر تنلان بنيت الزاوية للإطعام من قبل أحمد بن يوسف التنلاني[2] وكان ذلك ذلك في عام (1058هـ-1647م) بعد أن أكمل بناء المسجد وحفر الفقاقير وزرع البساتين فرحل إليها هو وأبناؤه وخدمه وصار لقب التنلاني يطلق على أبناءه من بعده وبعد ذلك قام هؤلاء بتوسيع القصر بإضافة فقاقير جديدة للتزود بالماء وبعدها أنشأوا القصبات داخل القصر منها قصبة سيدي منصور [3] وقصبة سيد الحاج، وخارج وخارج القصر توجد البساتين التي حبّسها أحمد بن يوسف في سبيل الله، كما هو مذكور في وثيقة حبوس تنلان،كما يوجد ضريح ومقبرة أحمد بن يوسف خارج القصر وهكذا نجد أن معظم القصور التواتية بنيت على هذا النمط المعماري[4]. وعلى كل فإن الظروف المناخية فرضت هذا النمط المعماري وتجاوب البناؤن في ملائمة أبنيتهم لهذه الظروف، كما ساهمت ظروف الحرب والسلم في تحديد شكل البناء وارتفاعه والمواد المستخدمة، بالإضافة إلى أنها عمارة وظيفية فضاءاتُها وأشكالها المعمارية جاءت لتؤديَ وظيفة معينة، فالوظيفة هي التي حددت الشكل وبذلك ينعدم بها الجانب الزخرفي أو المعطىَ الجمالي وحتى مواد البناء فهي بسيطة تعتمد على ما هو موجود بالمنطقة مثل جذوع النخل ومادة الطين وهذا ما لاحظناه عند زيارتنا لبعض القصور التواتية، وقصبات تنلان موضوع الدراسة[5]. وشيء آخر جعل هذه القصور وظيفية و لم تأخذ شكل الأبهة والترف هو عدم وجود سلطة سياسية تتخذ لنفسها قصورا مثل قصور الحكام والأمراء في المدن المغربية الأخرى. وبالرغم من هذا الأمر نجد أن القصر يحتوي على أهمّ المرافق الضرورية للحياة لذلك فهو لا يختلف عن المدينة اختلافا جوهريا، بل يشترك معها في نقاط أساسية عديدة، وأولى هذه النقاط هو أنهما ينبثقان من أسس دينية محضة والمتمثلة في المسجد الجامع للمدينة، أو في ضريح الولي أو الزاوية بالنسبة للقصر[6].

❖ تنلان وقصباتها:

من خلال زيارتنا للقصر وجدْنا به قصبتين الأولى قصبة سيدي منصور التي لم يبقَ منا إلا السُّور الخارجي وأحد الأبراج الأربعة وبداخلها بقايا جدران المنازل والأزقة والرحبات، وشكلها العام مربعة ومبنية فوق

---

[1] – محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص 36.

[2] – أحمد بن يوسف، وثيقة حبوس تنلان، خزانة تنلان، أدرار.

[3] ـــ منصور هو أحد أحفاد أحمد بن يوسف التنلا ني .

[4] – زيارة ميدانية "لـــقصر تنلان" يوم 2012/03/25.

[5] – الصديق ثياقة، نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، أفريل 2009، ص109.

[6] –عليق ريحة، قصر ملوكة، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر، قسم الآثار الإسلامية، 2001-2002.

مكان عالٍ تحيط بها البساتين. أما القصبة الأخرى فتسمى قصبة "سيدي الحاج" لازالت واضحة المعالم ومحافظة على شكلها وهي مربعة الشكل، ذات أبراج أربعة بنيت على سطح مستوٍ تحيط بها البساتين، ولها مدخل واحد وبداخلها أزقةً ضيقةً تفضي إلى المنازل ولازال بعض السكان يسكنون بها، ويستغلُّون أجزاء منها في تربية الماشية[1].

الأوضاع الاقتصادية للقصر:

يقوم النشاط الاقتصادي على الزراعة باعتبار أنّ القصر أسِّس كزاوية للإطعام في سبيل الله وقد ورد هذا في وثيقة حبوس تنلان فجاء فيها: «وبَنَى فيها ما بَنى وغرس فيها ما غرس وسلك إليها الماء بالخدمة وبإرادة رب العالمين لينتفع بذلك هو وأولاده وإن شاء الله يطعم منها بحول الله وقوّته الجائع ويروى منها العطشان في سبيل الله لا جزاء ولا شكوراً»[2]. كما أمدّ أحمد بن يوسف(مؤسس القصر) القصرَ بكل أسباب التطور والازدهار فاهتم بتوفير الماء عن طريق بناء الفقارة التي سميت بفقارة الزاوية[3]، والتي كانت المورد الرئيسي للقصر.

- **نظام السقي بالفقارة:** أنشأت معظم قصور توات قريبة من موارد المياه باعتباره عنصر قيام الحياة، يحتاجه الإنسان والحيوان والأرض والنبات، مصداقاً لقوله عزّ وجلّ في محكم تنـــزيله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلَّ شَيْءٍ حيٍّ أَفلاَ يؤْمنُونَ﴾[4]. وعندما رحل أحمد بن يوسف إلى أرض تنلان، كانت أرضاً جُرُزاً لا ماء فيها ولا نبات فأوّل شيء فعله هو حفر الفقارة التي بواسطتها يتم استغلال المياه الجوفية، ويمكن أن نعرّف الفقارة بأنها عبارة عن ساقية من الماء تأخذ ماءها في البداية من تحت الأرض قبل أن تظهر على السطح عندما يسمح بذلك مستوى انخفاض الأرض مما يجعلها دائمة الجريان، وقد ساعد بذلك طبوغرافية تدمايت المنحدرة نحو منخفض توات وهذا ما مكّن التواتيين من أن يستغلوا العديد من الفقارات[5]. وجاء في دليل ولاية أدرار أن الفقارة: «عبارة عن سلسلة من الآبار يتصل بعضها ببعض وتنحدر مياهها من مستوى أرضي عال إلى مستوى منخفض يشرف على تربة صالحة للزراعة فيجري عليها منسوب ماء الفقارة»[6].

وإذا تتبعنا الدراسات التي تناولت نشأة الفقارة بالمنطقة فسوف نجد اختلافا كبيرا حول هذه النقطة، فبالنسبة للمصادر المخطوطة المحلية يقول عمر بن عبد الرحمان المهداوي حول نشأتها أن جماعة من اليهود التي وفدت من المدينة المنوّرة إلى المنطقة هي التي اختطت الفقارة، وعرفت عندهم باسم الشراح[7]. وأما صاحب درة الأقلام فينسبها إلى بعض القبائل البدوية القادمة من سجلماسة التي نزلت بالقرب من قصر بودة فوجدت مياه

---

[1] ـــ للإطلاع ينظر: ملحق الصور والخرائط.

[2] – أحمد بن يوسف، وثيقة حبوس تنلان، خزانة تنلان، أدرار.

[3] – هذه الفقارة تنبع من المنطقة الشمالية للقصر.

[4] – سورة الأنبياء، الآية 30.

[5] – محمد حوتية، الفقارة كنظام للسقي بإقليم توات، حولية المؤرخ، ع3-4، منشورات اتحاد المؤرخين الجزائريين، 2005م، ص 149.

[6] – جمعية الأبحاث التاريخية بأدرار، دليل ولاية أدرار، ص 24.

[7] – محمد باي بلعالم، التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات، ص55.

وادي قير قد جفّت فاختبرت الوادي ثم حفرت سلسلة من الآبار مرتبطة ببعضها البعض ثم استخرجوا الماء وزرعوا بعض أراضي الوادي[1].

أما بالنسبة للدراسات الأجنبية فيرى النقيب لـــو "LO" أنّ هذه التقنية عرفت في توات منذ القرن العاشر الميلادي وهي موجودة في إيران وأفغانستان واليمن [2] وكذلك في صحراء مصر الغربية وفي الصحراء التي تمتد إلى ما وراء بحر قزوين غير بعيدة عن الحدود الإيرانية وتسمى "كجاريزن"، وهناك من يرى أن هذه الطريقة جاءت من بلاد الفرس حملها مهاجرون إلى الصحراء الجنوبية الغربية في عهد الرستميين من منطقة نيسابور التي كانت تضم لوحدها أكثر من اثنيْ عشر ألفاً من هذه القنوات[3].

وفيما يخصّ طريقة استخراج مياه الفقارة يصف ابن خلدون هذا الأمر بقوله: « وفي هذه البلاد الصحراوية إلى ما وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تُحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى الحجارة صلدة تنحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرقّ جُرْمُها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعداً فَيُفعَم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا ويزعمون أن الماء ربّما أعجل بسرعته عن كل شيء وهذه الطريقة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووارکلا وريغ»[4].

وفقاقير توات الوسطى تختلف فيما بينها من حيث طولُها فقد تزيد عن الكيلومتر الواحد أو تنقص كما تختلف في مردودها من المياه، فقد قدّر بعض العلماء أن الحبّة الواحدة تعطي أربعين لترا وهذا المقدار غير ثابت ما بين فقارة وأخرى، بل وحتى في الفقارة نفسها التي يزيد مردود مياهها أو ينقص تبعاً لصيانتها [5]. وبعد تأسيس فقارة الزاوية من قبل أحمد بن يوسف استكمل أبناؤه الفقاقير مثل فقارة تَرَحمُون، فقارة بغداد، وفقارة السبخة [6]، وهذا الأمر يدل على اتساع مساحة القصر وزيادة عدد سكانه بالإضافة إلى ازدهار الزراعة ممّا جعل سكان القصر يعملون على حفر الفقاقير للتزوّد بالماء.

- **الزراعة:** أثناء الزيارة التي قمنا بها للقصر لاحظنا أن المساحة المزروعة تمثل نسبة ضئيلة من المساحة الإجمالية ويرجع سبب ذلك إلى ندرة الأمطار وصعوبة البيئة المحلية التي تعتمد على مياه الفقارة حيث تعرضت هذه الأخيرة إلى الإهمال فاندثر بعضها[7]، وأيضا بسبب الزوابع الرملية والحرارة الشديدة.[8] ومن أهم المزروعات بالمنطقة

---

[1] – محمد بن عبد الكريم البكراوي ، درة الأقلام ، ص 05.

[2] - LO(Capitaine), Les Foggaras de Tidikelt, In Travaux de l'Institut des Recherches Sahariennes, Tome XI, 1er Sem 1954, P 144.

[3] – العربي إسماعيل، المرجع السابق، ص ص(22-23).

[4] – ابن خلدون، المرجع السابق، ص ص(22-23).

[5] – محمد حوتية، "الفقارة كنظام للسقي"، حولية المؤرخ، ص 150.

[6] – مقابلة مع بن حسان الحاج محمد بن عبد الرحمان ، بقصر تنلان ، يوم 2011/06/05م.

[7] – زيارة ميدانية لقصر تنلان يوم 2012/03/25م.

[8] - Selka(Abdrahmane), Op.cit, P523.

بالمنطقة نجد زراعة النخيل التي تغطي مساحات كبيرة في القصور وتعتبر التمور من أهم المنتوجات الزراعية فهو الغذاء الرئيسي للمنـــزل التنلاني خاصة والتواتي عامة، فهذه المادة تخزَّنُ لفترة طويلة، وهناك العديد من الطرق لحفظه يحشى في الجلد [1] أو يُدَّق كسَفُوف [2]. وتأتي زراعة القمح في المرتبة الثانية بعد التمور إذ يُزرع في جميع الأماكن بين النخيل وفي الواحات خاصة في فصل الشتاء، بالإضافة إلى الشعير، الذرة، البشنة والدخن، وتوجد كذلك بعض المزروعات التي تعطي إنتاجاً وفيراً كالحنة والتبغ والخضروات [3]. ومن الأنشطة المرتبطة بالزراعة نجد مهنة الرعي وتربية الحيوانات، فقد اكتفى السكان بتربية القليل من الماعز وهذا بسبب ندرة المراعي كما يقبل السكان على شراء الأغنام القادمة من مناطق الجنوب مثل الأزواد لأن أهلها مشهورون بتربية الأغنام، ولهذا يفضلها أهل توات ويطلقون عليها اسم "سيداون" نسبة إلى السودان[4].

المبحث الثاني: تراجم أعلام العائلة التنلانية.

تفرعت العائلة التنلانية من جدهم يوسف الذي كان يسكن ببُوصْلاَح [5] ثم انتقل إلى أولاد انقال فأنجب ولدين هما أحمد ومعروف. أما السيد أحمد فاستقر بزاويته تنلان وأنجب عدة أبناء حملوا مشعل العلم داخل توات. وأما أخوه السيد معروف فإنه انتقل إلى المغرب الأقصى واستقر هناك وملك ثروة هائلة، فدعا أخوه أحمد ليلحق به ويشاركه في ثروته فأجابه السيد أحمد: لا ماء إلا ماء... ولا ظل إلا ظل وأما مالكَ يا معروف فهو بين سباع وضباع[6]. وفعلا تحقق قول أخيه، فلم يلبث إلا قليلا حتى وقع جدب بالمغرب الأقصى مما اضطره للرجوع للوطن وبرجوعه توسعت صفحة تنلان ليخرج من أصلابهما علماء أتقياء[7].

أبناء أحمد بن يوسف:

- السيد عبد الكريم.
- السيد مومن لم يبق من ذريته إلا السيد الولي.
- السيد عبد القادر جد عمر الأكبر والأصغر وأولاد بقدير.
- السيد محمد عقيم لا عقب له[8].

أولا: العلماء من ذرية أحمد بن يوسف:

1. ترجمة أحمد بن يوسف التنلاني:

---

[1] – يسمى بالعامية تمر البطانة.

[2] – محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص 46.

[3] – نفسه، ص 46.

[4] – محمد حوتية، توات والأزواد،ج1، ص 123.

[5] – إحدى قرى بني تامر(تيمي) أدرار.

[6] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ص ص(38-39).

[7] – هنا تتجلى إرادة الله عزّ وجلّ فنصيحة أحمد لأخيه كانت في صالح وخدمة العلم بتوات.

[8] – ينظر: "شجرة العائلة التنلانية"، خزانة بن الوليد، با عبد الله أدرار. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص 35.

يعتبر الشيخ أحمد بن يوسف أبا العائلة التنلانية فهو الشيخ الإمام الناسك الهُمام: أحمد بن يوسف بن محمد بن علي ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان [1]. وقد حلاّه حفيده محمد عبد العزيز سيد اعمر بقوله: «شهرته في هذه المنطقة لا تحتاج لدليل فهو كالشمس وقت وقوفها وسط السماء لا يُخْفَى ضوءها إلا على عليل فإنه كان شيخاً عالماً عاملاً ماهراً في علم الحديث» [2]. وقال عنه حفيده عبد القادر المهداوي: «ذكر جدِّنا سيد أحمد بن يوسف كان أحد أئمة العلماء وكان صالحا ورعا زاهدا نشأ بأولاد انقال وولد عام اثنين وألف(1002هـــ)». [3]

صفاته وأخلاقه: كان ماهرا في علم الحديث وكان يقرأه في بلاد المنصور [4] للحاج بن الحاج [5]، وكان من أصبر الناس يأخذ بمكارم الأخلاق. ويفهم من هذا أنه جلس للتدريس في الكتاتيب. وكان زواراً للمشائخ لاسيما الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وسيد اعمر بن صالح في أوقروت [6].

شيوخه: نذكر منهم عبد الكريم بنَ محمد فتحاً بن أبي محمد التمنطيطي ولد بتمنطيط عام 994هـــ وقرأ على يد أبيه سيدي محمد وغيره من علماء تمنطيط، ثم تتلمذ على يد عبد الحاكم بن عبد الكريم الوطاسي وعن أحمد بن عبد الله بن أبي محلّى السجلماسي وعلى يد أحمد بابا التمبكتي.كان رحمه الله كثير الاجتهاد فصيح اللسان، طويل الباع في النوازل، تولى القضاء على كافة الديار التواتية [7].

تلاميذه: تتلمذ على يده العديد من العلماء نذكر منهم: عبد القادر بن محمد بن عبد الله التيميموني، عبد الله بن علي بن محمد التيميموني ،أحمد بن محمد ابن أبي بكر الأوقروتي.وعبد الكريم بن محمد بن عبد الله التيميموني.

أدواره: لقد كان لأحمد بن يوسف مشوار طويل حافل بالمهمات من بينها: تأسيسه للزاوية التنلانية سنة (1058هـــ- 1647م) والتي أصبحت مركز إشعاع علمي داخل توات.وله مؤلفات عديدة وأشعار جيّدة ومما وجد في بعض التقاييد:

لا تعجبنَّك دنيا أنتَ تاركُها كم نالَها من أُناسٍ ثمَّ قد ذهبُوا.

---

[1] – مؤلف مجهول، تقييد نسب العائلة التنلانية، خزانة با عبد الله، أدرار.

[2] – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص 79.

[3] – عبد القادر المهداوي، الدرة الفاخرة، ص 02.

[4] – قصر المنصور من قصور تيمي يقع غرب أولاد أحمد.

[5] – الحاج بن الحاج: قيل الحاج هذا هو من عائلة بخدا التي كانت تسكن بقصر بوكان والمنصور، معلومات مستوفاة من عند: عبد القادر نيكلو 2012/04/08 بأدرار.

[6] – المهداوي، الدرة الفاخرة، ص 03.

[7] – محمد عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، الورقة 21/20.

بالإضافة إلى هذا له مؤلف في مجال التاريخ أَطلق عليه بعض الباحثون اسم التودد [1]، وهو عبارة عن مخطوط تحدث فيه عن تاريخ توات والقبائل التي سكنتها لكن هذا المخطوط مفقود. ومما يدل على وجوده هو اعتماد الضابط أجبي مارتن عليه في كتابه "الواحات الصحراوية".

وفاته: توفي بتنلان عام 1078هجرية، وقبره من أهم المزارات بتوات[2].

2. عمر الأكبر بن عبد القادر التنلاني: (ت 1152ه- 1739مـــ).

اسمه ونسبه: هو أبو حفص عمر الأكبر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني دارا الأموي العثماني نسباً.

مولده: ولد بتنلان عام 1098هـــ/ ال1686م.[3]

تحليته: هو الشيخ الإمام العالم الهمام نخبة الأتقياء وعلم الأولياء، أصبح إماما في المذهب [4] قال عنه تلميذه عبد الرحمان بن عمر «كان رحمه الله عالما حافظا ثاقب الذهن فصيح اللسان مع عفة ووقار وهيبة» [5]. وقال عنه صاحب الدرة الفاخرة: «كان عالما نحوياً فقيهاً لغوياً»[6].

شيوخ عمر بن عبد القادر: جاء في رحلته عمر بن عبد القادر قوله: «فسافرت لطلب العلم من توات لمدينة فاس، سنة سبع عشرة ومائة وألف وأقمت فيها مشتغلا بالقراءة والإقراء [7] إلى آخر سنة تسع وعشرين ومائة وألف، نحو ثلاث عشرة سنة وحين وصلت إليها اشتغلت بالقراءة»[8]. وبالتالي فشيوخه هم الفاسيون نذكر منهم: منهم:

أ – **شيوخه في تجويد القرآن:** أبو عبد الله محمد السالم بن سيدي محمد البرباعي [9] كان يدرِّس بالمدرسة المصباحية [10] في مدينة فاس ويجود القرآن للطلبة بجامع القرويين[11] إلى أن توفي ودفن داخل باب الفتوح[1].

---

[1]– معلومات مستوفاة من عند: مبروك مقدم، أدرار 2012/05/06.. قال أنه عثر عليه بفرنسا، أثناء قيامه بالبحث العلمي.

[2]– عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص 80.

[3] – عبد العزيز سيد اعمر، المرجع نفسه، ص83.

[4] – محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، الورقة 23.

[5] – عبد الرحمان بن عمر التنلاني، فهرسة شيوخه، الورقة 01

[6] – المهداوي، الدرة الفاخرة، الورقة 04.

[7] – يدل هذا الأمر على نبوغه فجمع بين طلب العلم والتعليم في نفس الوقت.

[8] – عمر بن عبد القادر، رحلته في طلب العلم، خزانة بن وليد، باعبد الله، أدرار.

[9] – أضاف عبد الرحمان بن عمر "أبي عبد الله التواتي ثم التيماوي ثم البرباعي" نسبة إلى قصر بربع بأدرار، ينظر: عبد الرحمان بن عمر، فهرسته، ص 82.

[10] ـــ المصباحية بناها السلطان أبو الحسن المريني سميت نسبة إلى أبي الضياء مصباح أول من درس بها ، ينظر : الكتاني (محمد بن جعفر)، سلوة الأنفاس ومحاذاة الأكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس ،ج1، طبعة حجرية المكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 95، ص56.

[11] – عن المكانة العلمية التي احتلها جامع القرويين، ينظر: عبد الهادي التازي، جامع القرويين، مج 1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1972، ص ص (124-125).

ب -شيوخه في اللغة العربية والنحو والصرف:

- منهم محمد العربي ابن عبد الله محمد بن مقلب الفاسي.
- الأستاذ النحوي أحمد السقاط.
- والنحوي عبد الله مهدي بن عبد السلام الحلو الفاسي.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله السجلماسي.
- إدريس المشاط الفاسي.

ج- شيوخه في علم العروض: قرأ الشيخ الخزرجية في علم العروض على يد محمد الطيب بن عبد الله بن القاضي الفاسي[2]، وعلى الشيخ إدريس المشاط الفاسي. وأخذ علم المعاني والبيان عن العلامة محمد بن عبد السلام بناني.

د- شيوخه في أصول الفقه: أخذ الشيخ من مجموعة من الأئمة الفقهاء منهم أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي[3]. ثم الشيخ محمد بن محمد ميارة الفاسي [4]، ثم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي [5]. كما درس الشيخ علم التفسير والحديث وعلم التوقيت والتصوف وعلم الكلام. وهذا الأمر جعله يتعدد في طلب العلوم إذ يظهر تأثير الفاسيين عليه فأخذ طريقتهم في التدريس والبحث والقراءة. وعندما رجع إلى زاوية تنلان جعل منها أكبر الزوايا العلمية داخل توات وتتلمذ على يده مجموعة من الشيوخ الأفاضل.

تلاميذه: من أكبر تلاميذه وملازميه هو عبد الرحمان بن عمر من ذرية عم والده سيدي معروف. وعبد الرحمان الجنتوري[6]. وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الأمريني[7]. وأخذ عنه التصوف الشيخ امحمد بن عبد الله دفين أولاد أنقال.

---

[1] – نسبة إلى الفتوح بن دوسان الذي بنى هذا الباب في مدينة فاس، للتوسع ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، الرباط ، دار المنصور، 1972، ص 112.

[2] – الفقيه الصالح البركة الأنوار أبو محمد الطيب، للتوسع ينظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 5، بيروت، دار الغرب الإسلامي ،1980,ص 1945.

[3] – أبو العباس أحمد بن المبارك السجلماسي اللمطي، العلامة النحرير له تآليف عديدة. ينظر ترجمته الكافية: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج6، ص2134.

[4] – محمد باي بلعالم ،الغصن الداني ،ص22.

[5] – شيخ الشيوخ أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي نسبة إلى الزاوية الدلائية أفرد له عمر بن عبد القادر في رحلته ترجمة خاصة. ولد بزاوية الدلاء عام 1072هـ ثم انتقل إلى فاس عام 1079هـ. للتوسع ينظر: عبد الله كنون، موسوعة مشاهير رجال المغرب، ج 5، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1994، ص53.

[6] – توفي عام 1160هـ/1747م هو أبو زيد عبد الرحمان أصله من تيطاف وانتقل إلى جنتور، له عدة مؤلفات. للمزيد أنظر: مبارك جعفري، (المرجع السابق)، ص 184.

[7] – هو محمد بن عبد الله بن محمد البكري أحد تلاميذ محمد الزجلاوي وعمر بن عبد القادر التنلاني، توفي عام 1192 بتمنطيط. ينظر: أحمد جعفري، ابن أب المزمري، ص 33.

مؤلفاته: له تقييدات على المختصر، بالإضافة إلى الفهرست الذي يَذكُر فيه شيوخه وكل من ترجم له يسميه بالرحلة وهو مخطوط يوجد بخزانة الشيخ باي بلعالم بخط تلميذه (الشيخ عبد الرحمان بن عومر التنلاني).

وقفات مهمة في حياته: ذَكر في رحلته إلى فاس أن سبب رحيله إليها إنّه كان في صغره شغوفا بالعلم مولعا بطلبه فوجد البلاد التواتية خالية من العلماء فقصد فاس سنة (1117هـ-1705م) وأقام بها مشتغلا بالقراءة والإقراء، سلّم للعلم كلية و لم يشغل نفسه بشيء اخر، حتى أنه لم يفتح أيَّ رسالة ترد عليه من "توات" لكيلا تتكدر عليه لذة طلب العلم ونال عدة إجازات من شيوخه، فحينئذ رجع القهقرى وصار يفتح الرسائل الرسالة بعد الأخرى فأول رسالة وجد فيها خبر موت والدته والثانية موت والده إلى غير ذلك من الأخبار، وهو بذلك يضرب لنا مثلاً في الصبر والحِلم[1].

قدومه تنلان وأثره على توات: ذكر تلميذه عبد الرحمان بن عمر في فهرسته كيفية قدوم شيخه من فاس حيث قال: «فقدم علينا في آخر ذي الحجة سنة ستة وعشرين ومائة وألف فألفاني صبيا بالمكتب [2]، لم أحفظ القرآن بعد، فوجد بلاد توات وتنجورارين جيّدها عاطل من العلوم وجلّ طلبتها لا يحسنون مسائل الوضوء فضلا عن غيرها مما تحار فيه الفهوم، فاستنارت بنور علومه أرجاؤها وانكشف لظهور شموسه أقمارها فوفد عليه الطلبة من كل ناحية وأخذوا عنه وانتفعوا به كثيراً، وتخرّج عليه جماعةٌ و لم يزل علمه ينتفع به ونرجو من الله بقاءه إلى انقضاء الزمان»[3].

تقلّده للقضاء:. تقلد الشيخ عمر بن عبد القادر القضاء في منطقة توات ستة 1133هـ فذكر تلميذه سبب ذلك بقوله: «فلما مات الأمير إسماعيل[4] وكثرت الخصومات بتوات ألحُّوا عليه في توليته الفصل بين أهل الخصومات و لم و لم يرتضوا غيره وخاف من الهرج والفتن فقبل ذلك وأحسن السيرة وأظهر مُعظم الناس لحُكمه»[5].

ذكر صفاته الخُلُقية: ذكر عمر بن عبد الرحمان التنلاني في فهرسته [6] بعض الصفات الخُلقية التي تحلّى بها أستاذه عمر بن عبد القادر منها:

تواضعه: عندما كان عمر بن عبد القادر يدرّس بالمدرسة المصباحية ظهرت عليه علامة النبوغ، لذا طُلب منه أن يدرّس بجامع القرويين وهو شرف عظيم لهذا الشيخ، فتوافد عليه الطلبة وكبرت حِلَقُ الدرس فوضعوا له كرسيا ليجلس عليه فأبى أن يجلس عليه وجلس بحذائه، وكل هذا تواضعٌ منه، كما أنه كان خجولا جدا حيث قام الطلبة بملء المجلس و لم يتركوا له موضعا يجلس فيه إلا موضع الكرسي، فلما جاء غداة ذلك اليوم إلى المجلس فنظر فلم ير

---

[1] – محمد با ي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص 35.

[2] – المقصود هنا زاوية تنلان.

[3] – عبد الرحمان بن عمر، فهرسته، ص 04.

[4] – السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف العلوي، حكم المغرب 55 سنة تميز عهده بالاستقرار، توفي 1139هـ. للتوسع ينظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج5، ص ص(1996-2001).

[5] – عبد الرحمان بن عمر، فهرسته، ص 05.

[6] – عبد الرحمان بن عمر، فهرسة شيوخه، الورقة 03.

موضعا يجلس فيه إلا الكرسي إلى أن قال: «... إنه لما جلس عليه لم يزل لونه يحمرّ ويصفر حتى انفض المجلس حياء منه و تواضعا رحمه الله»[1].

صبره: كان الطلبة يكلفونه بحفظ عبارات الشروح التي يحضرونها في المجلس ويباحثونه فيها، فاحتمل تلك المشقة فكان لا ينام من الليل إلا قليلا كما قال عبد الرحمان بن عمر. ولقد تحدث عنه الشيخ أبو زيد [2] رحمه الله بقوله: « أنه قد كان يتكلف حفظ عبارة الحطَّاب فربما كان في الدرس نحو من أربع عشرة ورقة من حاشيته بالقالب الكبير فيحفظ جميع ذلك ويمليه في المجلس والطلبة بأيديهم نسخ منه» [3].

وفاته: بعد عمر طويل من العطاء العلمي مال الشيخ عمر بن عبد القادر إلى طريق التصوف واحتجب عن الناس وكان أهل الطريقة يزورونه كل خميس حيث يقول في رحلته: « وأما سلسلتنا في الطريق وهي سلسلة الأنوار [4] فأقول أخذنا طريقتنا هذه عن الشيخ الصالح العارف بالله سيدي محمد بن عبد الرحمان بن أبي زيان القندوسي»[5].

القندوسي»[5].

وكان وفاة هذا العالم عشية يوم الاربعاء 3 ربيع الأول عام(1152هـ/ 1739م) وعمره 54 سنة ودفن بمجلسه الذي كان يدرّس فيه بـــ(تنلان) وضريحه معلوم مشهور[6].

3. الشاذلي بن عمر بن عبد القادر المتوفى (1181هـ/1767م).

اسمه ونسبه: الشاذلي بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني.

تحليته: الشيخ العلامة كان إماما عالماً ماهراً في العلوم[7].

تاريخ ومكان الميلاد: لم نعثر على تاريخ ميلاده، أما مكان ميلاده فهو "تنلان"[8].

شيوخه:والده عمر بن عبد القادرالتنلاني.

مؤلفاته: لم تذكر المراجع التي ترجمت له أي مُؤلف.

---

[1] – المرجع السابق، الورقة 03.

[2] – المقصود: أبو زيد عبد الرحمان الجنتوري تلميذ عبد القادر بن عمر التنلاني، وشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني. ينظر: محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص22

[3] – عبد الرحمان بن عمر، المصدر السابق، الورقة 04.

[4] – وهي نفس السلسلة للشيخ مولاي عبد الملك الرقاني التي أوردها محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تح محمد الكتاني ومحمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 205.

[5] – أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي زيان القندوسي، الشيخ الكثير الأتباع والتلاميذ، ينظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج6، ص 2262.

[6] – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص 87.

[7] – عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة ، ص 04.

[8] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص35.

وقفات مهمة من حياته: اشتهر اسمه في البلاد بعد موت والده وهذا يعني أنه واصل مسيرة والده في التدريس،كما كتب – رحمه الله – كتاب الرحلة أو "الفهرست" لأبيه عمر بن عبد القادر التنلاني.

تاريخ ومكان الوفاة: توفي بفاس بالمغرب الأقصى سنة (1173هـ-1759م)، والظاهر هنا أنه تتلمذ ودرَّس بفاس مثل والده المذكور سابقا، أما صاحب الدرة الفاخرة ذكر أنه توفي عام (1181هـ) مع ابن عمه أبي زيان[1].

4. أمحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الملقب بأبي زيان المتوفى (1181هـ-1767م):

اسمه ونسبه: أمحمد الملقب أبوزيان بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف[2].

تحليته: كان إماما صالحا ماهرا في الفقه[3]، أخذ عن علماء فاس لكنَّ المراجع التي ترجمت له لم تذكر أشياخه، أو مؤلفاته[4].

تاريخ ومكان وفاته: توفي بمدينة فاس عام 1181هـ /1767م[5].

5. عبد الله بن عمر بن عبد الرحمان الأموي التنلاني(توفي 1240هـ/1824م).

اسمه ونسبه : عبد الله بن عمر بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف.

تحليته: العلامة، كان إماما عالماً في الفقه والتفسير، وكان مجتهدا في البحث والنظر والتدريس.

تاريخ ومكان الولادة: ولد قبل(1212هـ). اعتماداً على تاريخ وفاة شيخه محمد بن أحمد المطارفي[6].

تاريخ وفاته: توفي سنة (1240هـ/1824م)[7].

6. عبد الرحمان بن إدريس بن عمر التنلاني المتوفى(1233هـ/1817م)

اسمه ونسبه: هوعبد الرحمان بن إدريس بن عمر الأكبر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني[8].

تحليته: قال عنه محمد باي بلعالم: «كان عالماً ماهراً في أصول الفقه» [1]. كان من غرائب الدهر في الحفظ كما وصفه صاحب الدرة الفاخرة.[2]

---

[1] – المهداوي، المصدر نفسه، ص 12.

ونحن نرجح التاريخ الذي ذكره المهداوي لأن صاحب قطف الزهرات نقل ترجمته من(الدرة الفاخرة للمهداوي).

[2] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، ص183.

[3] – المهداوي، الدرة الفاخرة، ص 14.

[4] – أحمد جعفري، ابن ابّ المزمري حياته وآثاره، ص 32.

[5] – المهداوي، المصدر السابق، ص 14.

[6] – نسبة إلى المطارفة أخذ من الشيخ محمد بن عبد الله الونقالي كان من غرائب الدهر كبير القدر وافر الحرمة توفي عام 1212م. ينظر: المهداوي، الدرة الفاخرة، ص 12.

[7] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص 05.

[8] – المهداوي، الدرة الفاخرة، ص 14.

تاريخ ومكان ولادته: ولد سنة (1181هـ 1767م) بتنلان.

شيوخه: محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني[3]. محمد بن احميد الزجلاوي[4] وعبد القادر بن شقرون.

مؤلفاته: له مرثية في(32) بيتا رثى بها الشيخ عمر بن عبد الرحمان المهداوي وعبد الله بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني. يقول في مطلعها:

ألا في سبيل الله فيما أصـــابنا من الهم والأحزان والضيق والنكـــر

لقد غمرتنا الحادثات ببأسها وحلّت بنا الرزايا من حيث لا ندري [5].

بالإضافة إلى رحلة ذكر فيها الأحداث التي شاهدها في طريقه إلى الجزائر العاصمة[6].

وفاته: توفي بمدينة "سوى"[7] ودفن بها عام (1233هـ-1817م) بعد رجوعه من الحج.

7. عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التنلاني المهداوي: ت (1265هـ-1848م)

اسمه ونسبه: هو عبد القادر بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني مولداً ومنشأ، المهداوي داراً ومسكنا.[8] **شيوخه:** محمد بن أحميد بن عبد العزيز[9].

مؤلفاته: له كتاب في التراجم سمَّاه "الدرَّةُ الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية"[10]. وهو من أجلّ ما ألف في باب التاريخ بمنطقة توات. **تاريخ ومكان وفاته:** توفي بالزاوية المهدية سنة (1265هـ/1884م)[11].

ثانيا- العلماء من أحفاد معروف بن يوسف:

أبناء معروف بن يوسف[12]: هو معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف وهو أخ أحمد بن يوسف التنلاني كما تقدم ذكره. وللسيد معروف ابنان هما عمر والد الشيخ عبد الرحمان بن عمر، والسيد عبد الحميد جد يوسف التنلاني الشاعر.

---

[1] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، ص184.

[2] – المهداوي، المصدر السابق، ص 14.

[3] – محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج2، ص ص (184-185).

[4] – محمد بن أحميد الزجلاوي ولد بزاجلو ونشأ بها وتعلم بها ثم انتقل إلى تنلان ودرس على يد عمر بن عبد القادر. للتوسع ينظر: بكري عبد الحميد النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عين مليلة، دار الهدى، 2005، ص 93.

[5] – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص90.

[6] – الرحلة موجودة بخزانة با عبد الله، أدرار وخزانة تنلان-أدرار.

[7] – سِوى واحة في جنوب مصر، إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 128.

[8] – عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة، ص 01.

[9] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، ص 186.

[10] – هذا المخطوط موجود بخزانة بن الوليد عبد القادر، با عبد الله-أدرار، وخزانة الشاري الطيب، كوسام-أدرار.

[11] – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص 51.

[12] – لم أعثر له على ترجمة.

1. عبد الرحمان بن عمر التنلاني المتوفي(1189هـ/1775م)

مولده ونشأته:

ولد أبو زيد عبد الرحمان بن عمر بن معروف بن يوسف التواتي التنلاني سنة (1121هـ/1709م) من عائلة اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة إذ هي من أجلِّ البيوتات التواتية، نشأ في بيت جاه وحسب وصلاح وبيئة علم ومعرفة وكلها عوامل ساهمت في تكوين شخصيته العلمية [1]. وقد حلاَّه صاحب جوهرة المعاني بقوله: «... شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ العلاَّمة، الفهامة، عَلَم الأعلام ومرشد الإسلام، أبوزيد كان-رحمه الله- عالما ثاقب الذهن ذا وقار وديانة انتهت إليه رياسة الفقه بالديار الصحراوية» [2]. وقال عنه صاحب الدرة الفاخرة: «عالم العصر... صالحا مجتهدا، نوازليا، عجيباً فاضلا في فنون كثيرة وتخرج عنه الأعيان»[3].

شيوخه بتوات:

تلقى العلم على يد مجموعة من المشايخ وفق طرق التدريس المتبعة في القطر التواتي حيث دخل الكُتَّاب في سن مبكرة فحفظ القرآن على عادة أقرانه على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني، ثم الشيخ الجنتوري الذي قال عنه الشيخ عبد الرحمان في فهرسته: « واستفدنا منه أضعاف ما استفدنا من شيخنا أبي حفص لانبساطه معنا ومداعبته وصبره على جفائنا»[4] ثم رحل معه إلى جنتور[5] لطلب العلم، ومن العلماء الذين التقى بهم في الزاوية التنلانية الشيخ عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي حيث درس عليه الفقه واللغة[6]. والتقي بتنلان بتنلان بالشيخ العالم اللغوي أبي عبد الله محمد بن أبّ المزمري الذي مرّ بالزاوية التنلانية متوجها إلى تينجورارين سنة 1151 هـ/1738م حيث أخذ عليه المرشد المعين والخزرجية في علم العروض[7].

شيوخه خارج توات: سافر الشيخ عبد الرحمان بن عمر إلى سجلماسة وبلاد التكرور فأخذ عن عدة شيوخ نذكر منهم صالح بن محمد السجلماسي اللمطي وأبو عبد الله محمد بن علي الدرعي، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي[8]، وفي وفي بلاد التكرور أَخذ عنه أبو العباس أحمد بن صالح التكروري، حيث التقاه بمدينة أروان [9]. وتلقى إثر ذلك

---

[1] – عبد الرحمان بعثمان، الدور العلمي للزاوية التنلانية، الملتقى الوطني الرابع "إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث" 19-20 أفريل 2010، ص 06.

[2] – محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، الورقة 38.

[3] – عبد القادر المهداوي، الدرة الفاخرة، الورقة 06/05.

[4] – عبد الرحمان بن عمر، فهرسة شيوخه، ص 23.

[5] – جنتور من قرى تيميمون تبعد عنها بحوالي 60 كلم شمالي ولاية أدرار.

[6] – التنلاني، فهرسته، ص 25.

[7] – كانت تنلان منطقة عبور لمن يريد الذهاب إلى تيجورارين، وربما تمر بها القوافل التجارية الذاهبة إلى الجزائر.

[8] – هو أبو العباس أحمد بن علي بن إسحاق بن إبراهيم السجلماسي الإمام علم الأعلام توفي عام 1175هـ، كان فقيها مشاركا في علوم مختلفة. ينظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص237.

[9] – أروان مدينة في بلاد التكرور بينها وبين تمبكتو ثمانية مراحل تقع الآن بدولة مالي، ينظر: الأرواني مولاي أحمد بن بابكر، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة نيامي النيجر، ص08.

إجازات عن هؤلاء الشيوخ وكانت له محاورات علمية مع كبار علماء وشيوخ عصره فعلا شأنه في العلم فعُرِف بالشيخ وأصبح مرجعا للفتوى لكثير من العلماء والقضاة، ومعظم علماء القرن الثاني عشر و الثالث عشر الهجريين نهلوا من علمه الغزير[1]. ومن خلال تتبع مسيرته العلمية يظهر لنا أن الشيخ عبد الرحمان بن عمر لم يستقر في أي مكان إذ كان كثير الترحال وبذلك نسميه بالعالم المترحل وحيثما حلّ يترك بصمته العلمية في المنطقة التي يزورها.

تلاميذ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التواتي التنلاني:

تخرّج العديد من التلاميذ على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر فأكملوا مسيرته العلمية وتربّعوا للتدريس والإفتاء والقضاء فكان منهم الفقيه والمحدث والنوازلي والشاعر الأديب . نذكر منهم:

- **الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني (1151-1233هـ)**[2]: هو ابنه وحافظ سره ووريث علمه، تلقى العلم على يد والده[3].

- **محمد بن محمد العالم الزجلاوي المتوفي عام (1212هـ)**، الإمام الشهير والقدوة المنير، كان آية في العلم والحفظ والذكاء. يعتمد على فتوى شيخه أبي زيد في المعضلات، له كتاب (الوجيز) حلّ فيه ألفاظ مختصر خليل وألفية (الغريب) التي حلّ فيها ألفاظ القرآن الكريم[4]، بالإضافة إلى نوازله المسماة "نوازل الزجلاوي".

- **الشيخ الأديب الشاعر محمد المبروك البوداوي[5] المتوفى (1196هـ/1782م).**

أخذ العلم على الشيخ عبد الرحمان بن عمر له العديد من الأشعار منها القصيدة التي رثى فيها شيخه.

- **القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري المتوفى(1210هـ/1795م)**، القاضي الفقيه النوازلي، أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني، تولى القضاء بعد أبيه[6].

- **محمد بن عبد الرحمان البلبالي المتوفى(1244هـ/1828م)**: هو محمد بن عبد الرحمان المعروف بسيدي الحاج البلبالي، ولد بقصر ملوكة أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر وابنه محمد حيث جمع الكثير من فتاويهما في كتابه المسمى "غنية المقتصد السائل"[7]. انتهت إليه خطة القضاء في توات سنة (1210 هـ/1795م)، توفي يوم الاثنين 29 جمادى الثانية(1244 هـ/1828م). وقد رثاه تلميذه يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني في قصيدة طويلة جاء فيها[8]:

شيخ الورى البلبالي العَلَمُ الذي هاجت عليه بَلاَبلي وتجـــلدي

---

[1] – مبارك جعفري، المرجع السابق، ص ص(196-197).

[2] – عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة، الورقة 07.

[3] – عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص 103.

[4] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص ص(27-28).

[5] – أحمد جعفري، ابن أبّ المزمري، ص 38.

[6] – محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، الورقة 22.

[7] – محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، الورقة 31.

[8] – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص ص(47-48).

من ليس نعبّر عبرة من بعَـــدِهِ وتبلْبلي وتملْـــمُلي وتنكّـــدي

ثم يقول:

وبعام دمرش[1] فيه حفيّ مارش أخرى الجمادين استوى للموعد

في ليلة الاثنين رأى هلالـــــه بين العشـــائين استبـــان بمـــودٍ

-**عبد الله بن عبد الرحمان بن عمرالمتوفي (1221هـ/1806م)**: ابن الشيخ عبد الرحمان كان فقيها، عالما، ناظما للشعر[2].

-**عمر بن عبد الرحمان الأصغر المتوفى(1221هـ/1806م)**: صاحب زاوية مهدية، الشيخ الفاضل، العالم العلامة، قال عنه صاحب الدرة الفاخرة: «كان عالماً زاهداً ورِعاً»[3].

-**أبو عبد الله الفلاني المتوفى(1194هـ/1780م)**[4]: قدِم إلى توات من بلاد التكرور للدراسة على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر [5] وهذا الأمر يدل على عظمة الشيخ وعظمة الزاوية التنلانية التي سُمع صَدَاها في المغرب الأقصى وبلاد السودان، فألف الفلاني رحلةً ذكر فيها ما درسه في الزاوية التنلانية. جاء في هذه الرحلة: « هو عبد الله بن أحمد الفلاني أدخله والده المكتب وهو ابن خمس سنين ولما بلغ سبع سنين ختم القرآن الكريم. ولما بلغ مبلغ الرجال طلب من والده الذهاب إلى توات لطلب العلم» [6].

-**محمد بن مالك الفلاني القبلاوي**: أصله من أقبلي(أولف) انتقل إلى تنلان لغرض الدراسة على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر، ثم واصل الدراسة على يد ابنه محمد بن عبد الرحمان بن عمر الذي أجازه [7]. وهذا ما جعل يساهم في نسخ العديد من المخطوطات منها مؤلفات شيخه عبد الرحمان منها: "مختصر النوادر، ومختصر السمين"[8].

مؤلفات الشيخ عبد الرحمان بن عمر: يعتبر الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني من المشتهِرين بالتأليف على عكس الأعلام التنلانية الأخرى، ومن الموسوعيين الذين تعددت مؤلفاتهم لتشمل صنوف أبواب العلم. فقد ألَّف الشيخ في اللغة والفقه وأدب الرحلة ومن بين مؤلفاته:

---

[1] – دمرش بحساب الجمل تعني الدال= 04، الميم= 40، الراء= 200، ش = 1000، فيكون الجمع 1244 أي تاريخ وفاة البلبالي ويعتبر حساب الجمل من ألوان البديع افتتن به معظم الشعراء المتأخرين، وهو تأريخ الأحداث شعرا. ينظر: محمد البعلاوي، حساب الجمل أو التأريخ بالحروف، حوليات الجامعة التونسية، ع8، تونس، 1971، ص 93.

[2] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني ، ص08.

[3] – عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص 89.

[4] – أحمد جعفري، محمد بن أبّ المزمري، ص 38.

[5] – بعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر، ص 39.

[6] – للتوسع ينظر ، عبد الله الفلاني، رحلته إلى توات، خزانة سليماني مولاي علي أدغا، أدرار، الورقة 01/ وجه.

[7] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص 28.

[8] – بعثمان عبد الرحمان، فهرست عبد الرحمان بن عمر، ص 40.

- مجموعة تقاييد وفتاوى جمعها محمد بن عبد الكريم البلبالي في كتابه الجامع وغاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنلاني.[1]
- مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون: وهو اختصار لكتاب ألّفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف النحوي الشافعي الحلبي المعروف بالسمين ومحوره هو إعراب القرآن الكريم[2].
- مختصر النوادر[3]: وهو كتاب في الفقه نسخة تلميذه محمد بن مالك القبلاوي يشمل أمور العبادات والمعاملات كالصلاة والصيام والبيوع والمغارسة.
- رحلة حجازية: تعتبر من أجلّ ما أُلّف في فن أدب الرحلة في البلاد التواتية، سجل فيها الشيخ كل ما رآه في الطريق حتى وصوله إلى الحجاز.
- فهرسة شيوخه: ترجم فيها لشيوخه وتلاميذه ورحلاته العلمية[4].
- أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين المسمّى بالورقات وشرح الحطاب، قال فيها:

عليكَ إذا رُمتَ الوصـــولَ بسرعة لعلمِ أصول الفقه خير العلـــوم
بتأليف بحر العلم أوحـــد وقتـــه غمام حرام الله محي الـــرســـوم
وطالع عليه شرح حطاب عم نفعه محمد الحطاب بحـــر الفهـــــوم
وما سمي بالحطـــاب إلا لحطبـــهِ فوائد لا تفي لأهـــل الحلـــوم

- تقريظ على نظم الآجرومية لابن أبّ المزمري، قال فيها:

إذا رمت نظماً يزري بالدر في سلك فـــلازم ذا الشيـــخ بن أبّ النسك
بـــــدأَ فيه بيـــن أعـــلام عصـــره وماز بـــه سبقا وفضلا بلا شـــكِ
فما انفك زمان يبدي عجـــائبـــــا يسوغ قريض محكم النظم والسبكِ[5]

2. الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني (ت 1233هـ/1817م): ابن العالم الجليل عبد الرحمان بن عمر ولد بتنلان سنة (1154هـ/1741م) وتلقى مبادئ علومه على يد والده، ثم انتقل إلى سجلماسة للدراسة على يد أحمد ابن هلال السجلماسي الذي أشاد بمستواه العلمي فأرسل إلى والده يقول:

إن الهلال إذا رأيت نمـــوه أيقنتَ أن سيكون بدراً كاملاً

وقد تصدّر للإفتاء والتدريس في حياة أبيه في مناطق عدة منها قرية أقبلي وكان يراسل أباه فيما استعصى عليه من نوازل حتى أن محمد بن عبد الملك البلبالي جمع كتابا أسماه "الجامع" ضمَّنه الكثير من الفتاوى التي جاءت

---

[1] – توجد نسخة من المخطوطين بخزانة سليماني مولاي علي، أدغا، أدرار.

[2] – اطلعت على نسخة كاملة منه بخزانة الشاري الطيب–كوسام، أدرار، الصفحة الأولى متآكلة.

[3] – يوجد مخطوط بخزانة محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار.

[4] – توجد نسخة من الرحلة والفهرسة بخزانة سليماني مولاي عل، أدغا– أدرار.

[5] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني ، ص 57.

بشكل أسئلة يقول فيها: «وَسَأل الابن أباه»[1] كما أن بعض فتاويه مبثوثة في" الغنية البلبالية "، وقال عنه المهداوي في الدرة الفاخرة: «... كان عالما مجتهدا في البحث من حُفَّاظ الحديث والفقه اشتهر بالدين وحسن السيرة انتهت إليه الرياسة في التجويد وعلم الحديث»[2].

خلّف الشيخ محمد بن عبد الرحمان الكثير من التلاميذ من بينهم المحفوظ بن محمد الأشاني[3]. وتولّى المترجم له التدريس بزاوية تنلان بعد وفاة أبيه وكان يسكن بأولاد علي من قصور منطقة تيمي، أصيب بالعمى في آخر عمره، وكانت الفتوى لا تزال تَرِد إليه و لم يكن ذلك عائقا بالنسبة إليه حيث كلّف أحد تلاميذه للرد على تلك الفتوى بعد إملائها عليه وهو المحفوظ بن محمد[4]. توفي رحمه الله يوم الثلاثاء من صفر(1233 هـ/1817م) ودفن بأولاد علي بجوار مقام الولي "مولاي محمد الشريف"[5].

وقفات مهمة في حياته:

قال عنه صاحب جوهر المعاني «كان رحمه الله إماماً في المذهب حافظاً له، متقناً للنحو والمنطق والبيان والعروض، آية من آيات الزمان كثير النسخ للكتب ولا يكاد يوجد تصحيف في كتاباته من شدة اعتنائه وصفاء ذهنه، درَّس وأفتى من وقت والده إلى أن توفي. وأقام بزاوية كرزاز إلى أن أُذِنَ له في تلقين السر»[6].

3. ترجمة عبد الله بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني(ت 1221هـ/1806م): هو الابن الثاني للشيخ عبد الرحمان بن عمر، كان فقيها عالما ناظما للشعر[7] درِّس بمنطقة تيميمون، ومما يدل على مقامه في العلم شرحه لرَجَزِ لرَجَزِ سيدي محمد بن أب المزمري المسمى بـــ"المورد العنبري" على المنظومة المسماة بالعبقري[8]. توفي الشيخ في طريقه إلى منطقة أولف مع السيد عمر بن عبد الرحمان المهداوي وتحدثت الروايات الشفوية عن بعض الكرامات التي تخصُّ وفاته حيث تقول: إن جثمان الشيخ لم يتعفن رغم طول المدة التي فصلت بين يوم وفاته ويوم العثور على جثته وقد نقل جثمانه إلى تنلان في صندوق خشبي يحتفظ به أحفاده إلى اليوم، وقد خلفت وفاته أسىً كبيراً في تنلان، حيث رثاه ابن عمه الرحَّالة عبد الرحمان بن إدريس التنلاني في قصيدة مطولة مطلعها[9]:

ألا في سبيل الله مـــا أصابنا من الهم والأحزان والضيق والذكـــر

لقد غمرتنا الحادثات ببؤسها وحلت بنا الرزايا من حيث لا ندري

---

[1] – هناك العديد من النُّتف النوازلية للشيخ في خزائن المنطقة.

[2] – المهداوي، الدرة الفاخرة، الورقة 04.

[3] -سليماني علي(علماء من أحفاد مولاي سليمان بن علي)، الندوة الرابعة للشيخ مولاي سليمان بن علي، 14 ماي 2009، ص 06.

[4] – مختار حساني(موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية)، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 123.

[5] – محمد عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص 104.

[6] – محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، جوهرة المعاني، الورقة 31.

[7] – بعثمان عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 12.

[8] – محمد عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص 104.

[9] – نفسه، ص 12.

إلى أن يقول:

فيا تنلان أصيب وحيدهـــا ومفخرة كالمسك في العرف والنشـــر

4. يوسف بن عبد الحفيظ بن عبد الحميد بن معروف بن أحمد بن يوسف:

اسمه ونسبه: هو من ذرية معروف بن أحمد بن يوسف حيث جاء في سلسلة نسبه ما يلي: يوسف بن عبد الحفيظ بن عبد الحميد بن معروف بن أحمد بن يوسف... إلى أن يوصلها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه[1].

تحليته: الشاعر المفلق الفقيه المحقق، العالم المدقق قال عنه صاحب قطف الزهرات: «العالم النحرير الجهيد الفاضل الشاعر المفلق اللغوي العروضي أعجوبة زمانه»[2].

تاريخ ومكان الولادة: ولد قبل سنة (1175هـــ/1761م)، أخذاً من تاريخ وفاة شيخه الونقالي.

شيوخه: نذكر منهم محمد بن عبد الله الونقالي أخذ عنه بقصر أولاد أنقال. كان إماما ورعا صوفيا نورانيا منحه الله علما لدنياً[3]، فهو لم يدرس على أحد وإنما كان عصامي التكوين حسب ما جاء في المصادر المحلية. كما تتلمذ على يد محمد بن عبد الرحمان البلبالي شيخ الجماعة تولى القضاء بملوكة، أخذ عنه العديد من العلماء، توفي عام 1244هـــ[4]. **مؤلفاته:** له نتف خطيه من قصائد شعرية [5]. منها قصيدة في الرثاء رثى فيها شيخه محمد الونقالي المتوفى (1175 هـــ/ 1761م)، ثم الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني المكنى أبا زيد (ت1189هـــ/1775م)، ثم الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي (ت 1244هـــ/1828م) وابنه عبد العزيز البلبالي (ت1261هـــ/1845م).

جاء في مطلع تلك القصيدة[6]:

آنس نديمـــك بالصبـــابة وانشد بعـــد المدام قريضك المتجوّد

وحديقة فاذكر رسّم أحيـــا نهـــا ونسيـــمها وللحنين انحـــرد

تعتبر هذه القصيدة من أروع ما قيل في الرثاء بتوات كما تدل على نبوغه في الشعر بالإضافة إلى هذا له كتاب في علم المداد سماه "التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع"[7].

تاريخ ومكان الوفاة: ذكر الباحث "أحمد جعفري" أنه توفي سنة (1167هـــ/1754م)[8]، بقصر تنلان، لكن هذا التاريخ فيه نظر لأنه إذا كان الونقالي توفي سنة (1175هـــ/1761م)، وهو من شيوخه فكيف يكون رثاه

---

[1] – مؤلف مجهول، تقييد لنسب العائلة التنلانية، خزانة باعبد الله، أدرار.

[2] – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص81.

[3] – محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، ص 32.

[4] – محمد العالم بكراوي، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليمنا التواتي، ص38. – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص 47.

[5] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، ص59.

[6] – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص 48.

[7] – يوجد هذا المخطوط بخزانة الشاري الطيب، كوسام، أدرار.

[8] – أحمد جعفري، ابن أبّ المزمري حياته وآثاره، ص 32.

وقد مات قبله، وآخر من رثاه في قصيدته هو عبد العزيز البلبالي الذي توفي سنة(1261هـ)، فيكون من تاريخ وفاة الونقالي إلى وفاة عبد العزيز البلبالي (86) سنة، فيكون مترجمنا قد عمَّر طويلا وبالتالي يكون تاريخ وفاته هو (1267هـ/1850م).

المبحث الثالث: زوايا العائلة التنلانية بإقليم توات:

1- التطور التاريخي لمصطلح الزاوية:

الزاوية لغة: وتعني الركن أو المكان المنعزل، وتدل على أنها بقعة من الأرض جاءت من انزوائها وبعدها عن بقية المناطق[1]. وكلمة "زاوية" مشتقة من الفعل انزوى بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبّد أو آوى إليه ومن ذلك قول سيدنا لوط عليه السلام لقومه كما ورد في الآية 80 من سورة هود بعد بسم الله الرحمان الرحيم: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أو آوِي إِلَى رُكنٍ شديدٍ﴾[2].

كما يطلق على الزوايا لفظ: الخَوانق وهي جمع خَانْكَاه كلمة فارسية تعني بيت وأصلها خانقَاه، وهي الموضع الذي يأكل فيه الملك ولفظ زاوية مشتق من زوى، زويا، زيا الشيء، أي جمع الشيء وقبضه ومنه زَوى سرَّه عن الناس إذا كتمَه وطواهُ[3].

الزاوية اصطلاحا: هي عبارة عن مجموعة من الأبنية لتحفيظ القرآن الكريم والتعليم ولإقامة الطلبة ونزول المسافرين، كما كانت تضم مسجداً لإقامة الصلاة [4]، واختُلف في تعريف الزاوية حسب المهام التي تقوم بها ويظهر أن مصطلح "زاوية" لم يتحدد معناه إلا بعد عصر الغبريني الذي كان من الأوائل الذين ذكروا مصطلح زاوية في كتاباتهم، ففي ترجمة للشيخ أبي زكريا الزواوي نجد ما يلي: «... ثم دخل زاويته دون أن يختم مجلسه بالدعاء المعهود عنه»، وفي مقام آخر ذكرها باسم الرابطة ففي ترجمة ابن يبكى [5] وصفه بـــ:«صاحب الرابطة المعروفة الآن رابطة بن يبكى بداخل باب أمسيون من أعلى سند بجاية»[6].

والزاوية من معنى الانزواء والانقطاع للعبادة أو العلم والاجتهاد، فهي تعد مكانا يأوي إليه الطالب ويحتمي به من الفتن وعوائق التحصيل وذلك وفقا لما قاله الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنهُ نذيرٌ مبينٌ﴾ [7].

ومن معنى القضاء وما حمّ وزُيَّ من تكاليف شرعية تعد الزاوية مكانا لأداء الواجب وتبرئة الذمة امتثالا لأمر الله

---

[1] – صالح بوسليم، مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12/13هـ بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة الواحات، عدد 9 جوان، غرداية، المركز الجامعي، 2009م.ص99.

[2] – الرازي(زين الدين)، مختار الصحاح، تح محمود خاطر وحمزة فتح الله، دمشق: دار البصائر، 1987، ص ص(278-279).

[3] – محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت، ص 27

[4] – فرج محمد فرج، المرجع السابق، ص 108.

[5] ـــ هو ابن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي عرف بابن يبكى من أهل قلعة حماد، ينظر: الغبريني (أحمد بن محمد) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،ط 1، الجزائر ، دار البصائر، 2007 ، ص 98.

[6] – نفسه.

[7] – سورة الذاريات، الآية 50.

عز وجل في قوله في الآية 122 من سورة التوبة: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فرقةٍ مِنْهمْ طائِفَةٌ لّيتفقَّهُوا فِي الدِّينِ ولِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم إِذَا رَجَعُوا إِليهِمْ لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ﴾. والزاوية مكان للقاء الأحبّة والرفقةُ الصالحة، الذين يجتمعون ويذكرون الله عزّ وجلّ زوّا وقُرناء، كما عُرفت الزوايا على أنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها المريدون لتلقّي الأوراد والذكر وتُتخذ فيها مأوى لطلبة العلم وللزوّار الذين يقصدونها للاستفتاء في أمور الدين والصلح بين المتخاصمين، وقد كثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر الهجري، ويقول ابن مرزوق عن الزوايا في زمانه: «من الواضح أن الزوايا كانت عندنا في المغرب تأوي المتجوّلين وتطعم المسافرين»[1]. أما عند أهل توات فإن الزوايا يشار إلى تلك الصدقات الجارية التي يحبسها الشيخ في حياته وبعد وفاته من خلال نص موثوق ومحدد لينتفع بها عامة الخلق فهي لأبنائه وعابري السبيل [2]، والزوايا في إقليم توات عبارة عن مجموعة من الأبنية منتشرة في سائر قطر توات ويطلق عليها أسماء مختلفة كالجامع بتوات وأقربيش بتيدكلت والمحضرة بالأزواد. وقد ا كان ولازال لهذه الزوايا دورٌ في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية[3].

2- الزوايا بإقليم توات: إن الزوايا في إقليم توات تقسّم إلى عدة أنواع وذلك حسب نشأتها والأدوار التي تقوم بها: أ- من حيثُ النشأةُ: وهي زوايا تمّ بناؤها على أرض اشتريت من طرف مؤسس الزاوية أو القصر كما هو الحال بزاوية سيدي البكري قرب تمنطيط، وزاوية تنلان التي أسسها سيدي أحمد بن يوسف عام (1058هـ/1613م) والتي سوف نتطرق لها في جانب آخر[4]. /ب - زوايا حسب الوظيفة ويمكن هي الأخرى الأخرى تصنيفها إلى ما يلي:

- ✓ **زوايا مخصصة للإطعام:** كانت تقام لاستقبال الضيوف وعابري السبيل يقصدها الغرباء والتجار والحجيج للراحة وتناول الطعام، وقد فَرَضت طبيعة المنطقة هذا النوع من الزوايا بسبب انتشار القصور وبعد المسافات وازدهار التجارة، كما أن بعض القصور التواتية في بداية نشأتها كانت زوايا للإطعام وتطوّرت إلى قصر بجميع مرافقه[5]. أما القصور التي لم تكن بها زوايا فقد كان لديها نظام لإطعام الضيوف حيث يقول الشيخ أحمد الطاهري الطاهري الإدريسي في هذا الشأن: «...والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه لأنّ في كل قصر من قصورها عادات فإذا كان في القصر زاوية... يُقْصَد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه حتى علف الدواب... وإن لم تكن، فإن أهل القصر لهم عادة ونوبة لكل واحد منهم ولا يختلف هذا النظام ولو أقام الضيف مدة طويلة...»[6].

---

[1] -ابن مرزوق الخطيب ، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تح ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر، 1981، ص 277.

[2] - أحمد جعفري، دور الزوايا في الحفاظ على التراث والمخطوط بإقليم توات بالجزائر، مجلة التراث، ع112، الإمارات العربية المتحدة، 2008/12، ص 132.

[3] - محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، ص 233.

[4] - محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص ص(3-4).

[5] - مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان، ص ص(163.-164).

[6] - مولاي أحمد الطاهري، نسيم النفحات، ص ص(33-34).

ومن الأمثلة عن زوايا الإطعام: زاوية مهدية التي أسسها عمر بن عبد الرحمان المهداوي [1].كما ذكر العياشي في رحلته زاوية سيدي عبد الله بن طمطم بمنطقة أوقروت حيث قال: «... وقد أثنى أصحابنا عنه كثيرا وأنه من أهل الخير والدين، يطعم الواردين عليه، في بلاد كاد الطعام أن يكون فيها دواء...».[2]

✓ **زوايا العلم والتدريس:** أدت هذه الزوايا دوراً في الحركة العلمية بتوات خصوصاً في القرن الثاني عشر وشكلت مراكز إشعاع علمي وحضاري كان يقصدها الطلبة من كل مكان لتلقي العلم، إلى جانب توفير الإطعام والمبيت للوافدين.[3] كما أن الزوايا بتوات يكاد يغلب عليها الطابع العلمي والثقافي والتوجيهي وبالتالي يرجع لها الفضل في انتشار الإسلام في غرب إفريقية التي تعتبر منطقة توات بوابة لها. [4] من خلال ها العرض الموجز للزوايا نلخص إلى مجموعة من الاستنتاجات

– إن الزوايا في إقليم توات مثّلت إحدى القلاع الإسلامية الحصينة التي عملت على حفظ العقيدة والمبادئ الإسلامية الصحيحة أمام حملات التغريب التي شنها المستدمر الفرنسي أيام الاحتلال.

– كما تعتبر الحاجز المنيع الذي حصّن الهوية الوطنية والشخصية الإسلامية والقيم العرفية السامية، كما عملت الزوايا على تخريج العديد من العلماء والفقهاء والدعاة والمجاهدين في سبيل الله[5]، وعن الرسالة السامية للزوايا يقول يقول محمد المأمون المصطفى القاسمي الحسني: «إن رسالة الزوايا كما يتضح لكل دارس نزيه رسالة شاملة شمولية هذا الدين، إنها رسالة حضارية ارتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطاً وثيقاً، فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم، بل كانت وظائفها أشمل وأعمالها أعمّ وأوسع فهي معقل تربية وجهاد ومعهد علم وعمل، وموطن تلاوة وذكر ومجلس إصلاح وقضاء، ومكانَ رأي ومشورة وملتقى تعاون وتضامن وتكافل»[6].

– كما أن الرباط غير الزاوية حيث إنَّ الرباط مرتبط بالفتوحات الإسلامية، أما الزاوية فقد عرفت في أوائل القرن الثامن الهجري فكانت تطلق على مكان معدِ للعبادة كالمساجد، ويشمل على مرافق للطلبة المجاورين بها وغرف لإيواء الواردين عليها وعابري السبيل، وقيل أنها عرفت في المغرب بعد القرن الخامس الهجري وسميت في بادئ أمرها بـــ"دار الكرامة" كالتي بناها الملك يعقوب المنصور الموحدي في مراكش ثم أطلق المرينيون على الزوايا التي بنوها في عهدهم اسم "دار الضيوف" ومن ذلك الزاوية العظيمة التي أسسها الملك أبو عنان المريني خارج

---

[1] – محمد عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص89.

[2] – العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 12.

[3] – مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 165.

[4] – سرير ميلود وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص141.

[5] – عبد الله رزوقي، "واقع الزوايا في إقليم توات بين مقتضيات الأصالة ومتطلبات الرسالة"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع14، الجزائر: جويلية 2010م، ص 213.

[6] – نقلا عن: عبد الله رزوقي، المرجع السابق، ص 213.

مدينة سلا، وهي التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته: وزاوية شالة في الرباط التي دفن فيها الملك أبو عنان والده أبو الحسن وزارها لسان الدين ابن الخطيب وخطب فيها بخطبته الشهيرة في تاريخ الأدب العربي[1].

– أما جورج مارسيه يرى أن تطوّر الزاوية، ارتبط بتطور الحركة الصوفية في بداية القرن الثالث عشر الميلادي(ق9هـ). ويذكر أيضا أن الزاوية في المغرب الإسلامي، ما هي إلا أربطة فقدت وظيفتها الحربية وتمسكت بالجانب الديني التعبدي.[2]

3- وظيفة الزوايا:

إن كثيراً من الناس إذا سمع لفظ الزاوية تبادر إلى ذهنه أمور بِدْعية كأن يتوقع أن الحديث عن الزوايا سوف يكون حول الأضرحة التي يطوف حولها الناس ويتبرّكون بها طلبا لمنافع دنيوية أو ذكر قواعد عقيدية لا أساس لها من أمور الدين وهي إلى الشرك أقربُ ولكن في واقع الأمر هذه مغالطة وفكرةً خاطئةً تماماً، لكن سوف يكون الحديث هنا عن الزوايا العلمية التي تعتبر مراكزاً للإشعاع العلمي ومنابع للهداية وحصونا منيعة تحفظ هوية الأمة وتحميها من جميع أشكال الدمار والضياع، حيث عَرَف تاريخ الجزائر الثقافي والديني زوايا عظيمة كان لها دور عظيم في نشر الوعي الديني والثقافي وتحرير البلاد من السيطرة الاستدمارية، كما كان لها الدور الكبير في الحفاظ على الهوية الوطنية ومقومات الشخصية الوطنية وذلك من خلال:

– الدعوة إلى الله عزّ وجلّ.

– تبصير الناس بأمور دينهم.

– التمسّك والمحافظة على شعائر الدين الإسلامي.

– الدعوة إلى الجهاد.

– بناء مراكز علمية تنويرية.

وإذا كانت الرباطات قد أنشأت أول الأمر بالمشرق في عهد الدولة العباسية وهي عبارة عن ثكنات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن الدولة ودفع المُغيرين والمهاجمين عليها من النصارى كأربطة العباسيين بثغور الشام، فإن الرباط الجزائري كان أكثرُ نفعا وأبعدُ أثراً إذ أن مهمته لا تقتصر على الدفاع فقط[3].

4-1. الزاوية التنلانية:

أ -التأسيس والتطور:

تَذْكر الوثائق التاريخية أن تنلان القديمة ليست هي تنلان المعروفة الآن، فتنلان القديمة كانت موجودة في القرن السادس هجري وقد نزل بها مولاي سليمان بن علي وكانت بها قبائل عدّة وهي الآن مندثرة باستثناء بعض الأطلال الشاهدة على ذلك [4] كما أن المصادر التاريخية لا تذكر سبب خلاء هذا القصر. أما تنلان الجديدة

---

[1] – المهدي البوعبدلي، "الرباط والفدا في وهران والقبائل الكبرى"، مجلة الثقافة الإسلامية، مج28، ع06، 2010، ص 17.

[2] - George Marçais: L'Art Musulman Universitaire de France, Paris 1962, P129.

[3] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 78.

[4] – الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من ق11هـ إلى ق 18هـ، مديرية الثقافة لولاية أدرار، 2003م، ص 85.

(موضوع المذكرة) فقد أسسها أحمد بن يوسف في القرن العاشر الهجري، وكان هذا الأخير يسكن بأولاد أنقال[1].وعن سبب رحيله إلى تنلان قِيل أنه وقعت بينه وبين أخواله عداوة، فأذلوه وخذلوه فدعا عليهم فانقرضوا عن آخرهم وأرخ في ذلك كتبا في ذكر ما صار له معهم [2]، وفضَّل الرحيل إلى أرض جزر لا يملكها أحد خارجة عن العمران. وعن موقعها جاء في وثيقة حبوس تنلان: «وهي من طريق المسلك من بلد تنلان القديمة التي منها السبيل إلى بلد تيمي إلى جبل باغيول طولا وعرضا من فقارة أهل بلد تنلان إلى حدود فقارة أجدْلاَونْ »[3].

وعندما نزل بها خدمها وأجرى لها الماء وأصبحت أرضا صالحة للاستقرار بعدما كانت أرضا موات، وبنى زاويته وسماها رزق الله الواسع بالنبي الشفيع. ولينتفع بذلك هو وأولاده ولمن شاء الله ويطعم منها بحول الله وقوته الجائع ويسقي منها العطشان في سبيل الله لا جزاء ولا شكوراً. وبذلك أصبحت زاوية إطعام يأوي إليها عابري السبيل حيث جاء في وثيقة حبوس تنلان ما يلي:«وإن الأرض المذكورة وماؤها محرر من جميع الوظائف وصنوف المغارم وضروب اللوازم من سلطان وقائد والعرب والعجم وإنها لله تعالى والدار الآخرة » [4]. وفي وسط رجب عام (1068هـ/1657م)، فرغ من بناء الزاوية ورحل إليها هو وأولاده وعمّرها وأصبحت قصرا من القصور التواتية يحتوي على مسجد للصلاة وبساتين وفقاقير كلها وقفا على الزاوية، وقطع منها غلّة المؤذن، ومعلّم الصبيان والإمام والذي احتاج من أولاده. وقسّم أبناءه البساتين على حسَب الأيام، مثل جنان السبت وجنان الأحد وكل من لديه يوم مخصص يقومُ بإطعام الضيوف في ذلك اليوم ويتكفّل بهم وبمواشيهم [5]. ومن هنا يتبين لنا أن زاوية تنلان كانت ممراً للقوافل التجارية والمسافرين فهي تقع في منطقة عبور للذي يريد الدخول إلى قصور تيمي من الجهة الشمالية.

شهدت الزاوية التنلانية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر هجريين نهضةً علمية وثقافية، فأصبحت من أهمّ المراكز العلمية التي ساهمت في نشر العلم والمعرفة في أنحاء توات وخارجها. ومن خلال فهرسة عبد الرحمان بن عمر يتبيّن لنا أنّ تنلان كانت حاضرةً علمية لها ثقل ديني وثقافي كبير في عموم البلاد التواتية وقد عرف هذا المركز نشاطا كبيراً بعد عودة الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني من فاس [6]، فأصبحت مقصدا للطلبة من جميع نواحي توات نتيجة للمستوى العلمي الرفيع الذي بلغه الشيخ عمر بن عبد القادر، فجمعت بين مبدأ العلم ومبدأ الإطعام[7] والإيواء شأنها كشأن معظم الزوايا التواتية.

---

[1] – هناك روايات أخرى تذكر أن أحمد بن يوسف ولد ببوصلاح ببني تامر وانتقل إلى أولاد انقال وأسس بها مسجده المشهور، مخطوطة موجود بخزانة بني تامر.

[2] – عبد القادر بن عمر المهداوي، المصدر السابق، ص2.

[3] – أحمد بن يوسف، وثيقة حبوس تنلان، خزانة تنلان أدرار.

[4] – أحمد بن يوسف التنلاني، وثيقة حبوس تنلان، خزانة تنلان، أدرار.

[5] – معلومات مستوفاة من عند بن حسان الحاج محمد بن عبد الرحمان التنلاني يوم 2011/06/05 بقصر تنلان، أدرار.

[6] – عبد الرحمان بعثمان ، مخطوط فهرسة عبد الرحمان التنلاني، الملتقى الوطني المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت ، أفريل،2009، ص78.

[7] – نفسه، ص 78.

واستمدت الزاوية شهرتها من شهرة شيخها عمر بن عبد القادر الذي تصدى للتدريس بالزاوية حيث يروى ضيف الله بن محمد بن أبّ المزمري في رحلته أن الشيخ كانت له حلقة درس في جامع القرويين بفاس كان يحضرها أكثر من ثلاثمائة طالب علم غير أنه تعرّض إلى مضايقات جعلته يفضّل العودة إلى توات والتدريس في زاوية تنلان[1].

ب – دورها التعليمي:

اعتبرت الزاوية التنلانية مركزاً للقضاء خلال القرن الحادي عشر هجري، مما جعل الناس يترددون عليها طلبا للفتوى من الشيخ عمر بن عبد القادر فقد زارها محمد بن مصطفى الرقادي[2] الكنتي لخصومة بينه وبين رجل، وتوطدت العلاقة بين زاوية تنلان والقصور التواتية في المجال العلمي فمعظم أعلام تنلان أخذوا العلم عن علماء حلُّوا بالزاوية التنلانية، فنجد عبد الرحمان بن عمر التنلاني أخذ العلم عن الجنتوري الذي قصَد تنلان من أجل أَخْذِ العلم عن الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني [3]، كما كانت دروس هؤلاء العلماء الذين قصدوا الزاوية تضفي جواً علميا متميزا عزَّزته تلك المناقشات والمراجعات التي كانت تجمع بينهم، ومن بينها مناقشات بين الشيخ عمر بن عبد القادر وتلميذه الجنتوري[4]، واستمرت بين الجنتوري وتلميذه عبد الرحمان بن عمر التنلاني[5]، كما قصد الزاوية الزاوية محمد بن مصطفى الرقادي فالتقى بالشيخ عبد الرحمان بن عمر فأخذ عنه ثم لحق به إلى زاوية كنتة وبقي هناك سبعة أيام يَدْرُسُ مع الطلبة[6]، كما قدم إليها العلامة النحوي محمد بن أبّ المزمري الذي مرّ بالزاوية متوجها إلى تينجورارين سنة (1151هـ/1738م) وأخذ عليه الشيخ عبد الرحمان بن عمر، المرشد المعين والخزرجية في علم العروض[7]. والسؤال المطروح هنا هل استمر نشاط الزاوية إلى ما بعد القرن الثاني عشر هجري، أم توقف بموت عمر بن عبد القادر.

ج. طريقة التدريس بالزاوية التنلانية:

لقد أشار عبد الرحمان بن عمر في فهرسته إلى أنَّ طرق التدريس في الزاوية مثلها مثل جل الزوايا بالإقليم، وكان التدريس يتم عن طريق الحلقات العلمية والشيخ يكون مركزا لها، وينقسم الطلبة حسب فئاتهم العُمرية فالصغار يقومون بحفظ القرآن الكريم والمُتون الفقهية وفرائض الوضوء أما الكبار فيدرُسون الفقه والحديث

---

[1] – ضيف الله ابن ابّ، رحلة لزيارة قبر الوالد، خزانة تمنطيط، ادرار، ورقة 65.

[2] – محمد بن مصطفى الرقادي الكنتي أحد شيوخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني.

[3] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة وحياة عبد الرحمان بن عمر التنلاني، الجزائر، دار هومة، ص ص(22-23).

[4] – الجنتوري، نسبة إلى قصر جنتور.

[5] – بعثمان عبد الرحمان، مخطوط فهرسة عبد الرحمان ،الملتقى المشترك ، ص 78.

[6] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني ، ص 24.

[7] – توجد نسخة منها بخزانة محمد أبي نعامة الكنتي شيخ الركب النبوي الزاوية العقباوية، أقبلي، أدرار.

وعلوم اللغة العربية وكان التدريس ضمن هذه الحلقات غاية في الكثافة إذ تستغرق كامل اليوم ويختلف الأمر حسبَ حيوية الشيخ ونشاطه[1].

2-4. زاوية مهدية:

أ – التأسيس والتطور:

لم يكتف أحفاد أحمد بن يوسف بزاوية جدهم وإنما كان هدفهم هو إنشاء زوايا لتعود بالنفع على المجتمع التواتي حيث خرج بعض أحفاد أحمد بن يوسف من تنلان قاصدين مناطق أخرى لكي يعمّروها. ومن بين هؤلاء العلماء عمر الأصغر بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف الذي أسس زاوية مهدية، ولد عام 1152هـ/1739م[2]، وهو من تلاميذ الشيخ مَحمد فتحاً بن عبد الله الونقالي[3]، وكان من أجلّ ممن تخرّج على على يديه، وأراد تعمير زاويةً كأسلافه، فارتحل من تنلان وأسس زاويته وسماها: "مهدية في سبيل الله، الولد وابن السبيل فيها سواء"، وعن تأسيس الزاوية جاء في إحدى الوثائق أن السلطان المغربي أقطع له تلك الأرض نظراً لأنه كان أمير أمين المغرب على القصور الصحراوية بحيث يُصغى لقوله في التولية وتقسيم الأموال، فجاء في وثيقة التحبيس: «اقتطعنا له جميع الأرض البيضاء الموات المعروفة بكُوسَام المحدودة شرقا بدوائر فقاقيرها وغرباً بجبال وجوفاً بمنتهى عمارة أهل بُوزَان»[4].

وجاء في وثيقة أخرى ما يلي: «هذا كتاب حبُس عقده الفقيه أبو حفص سيد عمر بن الحاج عبد الرحمان التنلاني فيما على ملكه بالبلد ابتدعه غربي أولاد أبي حفص من قرى تيمي المسمى "بالمهدية"». ونجد في هذه الوثيقة أن عمر المهداوي ترك أمر الزاوية من بعده لولده الأكبر حيث قال: «...جعل ذلك في يد ولده السيد الحاج عبد القادر ليحوزه ويَصْرف غلته على من حبست عليه وجعل له أن يأخذ من غلته ما يكفيه بالمعروف هو وعياله من طعام ولباس وأدامٍ وأن يطعم صديقا له وضيفاً بالمعروف غير مكتسب من ذلك مالا، موطئا له في ذلك بتقوى الله في السر والعلانية وجعل له أن يبيع من ذلك ما ظهر له بيعه ويبدل بثمنه غيره مما هو أولى وأصلح وكذا تعوضه بما هو أعوَد نفعاً وأعون على عمارة البلد المذكور».[5]

---

[1] – بعثمان عبد الرحمان، مخطوط فهرسة عبد الرحمان ، الملتقى المشترك، ص ص(89-90).

[2] – في نفس السنة التي توفي فيها عمر الأكبر بن عبد القادر التنلاني ، ولد فيها عالم آخر من العائلة التنلانية وهو عمر الأصغر.

[3] – نسبة إلى قصر أولاد انقال يقع جنوب أدرار اشتهر هذا المركز بفضل الشيخ محمد بن عبد الله الونقالي(1140-1175هـ)(1727-1761م) ينظر: الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط1، منشورات مديرية الثقافة، أدرار، 2003، ص 112.

[4] – وثائق لدى أحفاد عمر المهداوي التنلاني، بزاوية مهدية. أدرار .

[5] – عمر بن عبد الرحمان المهداوي، وثيقة حبوس زاوية مهدية، وثيقة لدى أحفاده، أدرار.

ومن خلال هذا الأمر حدّد عُمر المهداوي جميع الوظائف التي تقوم بها زاويته، وحدد أجرة الأشخاص الذين يقومون بمهمة التدريس حيث قال: «... يُخْرج منها مؤونة الإمام ومعلّم الصبيان وأجرَتَهما ونفقة المؤذّن ومن يقوم بمن يقرأ السلكة كل عام بعد موت المحبّس في اليوم الذي يموت فيه من طعام وإدام»[1].

ب – أدوارها التعليمية والاجتماعية:

ومن أهم الأدوار الذي انفردت بها الزاوية المداوية هو مشيخة ركب الحجيج النبوي، وتميزت به عن زوايا توات الوسطى. ومن خلال ما جاء في هذه الوثائق يتضح لنا أن زاوية مهدية كانت زاوية إطعام يقصدها ابن السبيل وكان تشييد هذه الزاوية سنة 1179هـ[2].

أما عن مؤسس الزاوية فقد حلاّه صاحب جوهرة المعاني بقوله: «عمر بن عبد الرحمان المهداوي التنلاني الفقيه العلاّمة الزاهد الضابط المتقن أبو الخير، رحمه الله من العلماء والعاملين المخلصين أمير ركب الحرمين، وأمين أمير المغرب على القصور الصحراوية بحيث يصغى لقوله في التولية وتقسيم الأموال وقطع له أرض زاوية مهدية فأتقنها وحبَّسها على ابن السبيل وتولى أمر الفتوى والتحكيم بعد موت الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم البكري وقبل تولية الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي فأحسن في الفتوى وقام بأمر التحكيم أحسن قيام»[3].

كما حلاّه صاحب "قطف الزهرات من أخبار علماء توات" بقوله: «...أجاد وأفاد وساد وأشاد، ظهرت عليه الفتوحات ونفع الله به المخلوقات لازال مواظبا على درس العلم وفعل الخيرات وتحبير الأوراق بالفتاوى النفيسات وزيارة حَرَم الله وحَرَم رسوله عليه أكمل الصلاة والتحيات بمشيخة ركب الحجيج من توات، سبع حجج متواليات على غير ذلك من إعانة الضعفاء والصلح بين الناس وتسديد الخصومات. توفي رحمه الله يوم خمسة عشر جمادى الأولى عام 1221هـ من هجرة سيد الكونين»[4].

وكانت وفاة هذا الشيخ في صحراء بين تيطاف وأولف [5] وكان بصحبة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني. ومما ظهر من كرامتهما بعد موتهما أن الأرض لم تتعد على جسدهما وأن حرّ الشمس لم يؤثر فيهما بعد بقائهما أياما في الصحراء الشديدة الحر، و لم يعلم الناس بوفاتهما إلا بعد رجوع البغلة التي كان يركبها الشيخ سيدي عمر لزاوية مهدية، فتتبع الناس أثر البغلة حتى وصلوا إلى ذلك المكان فوجدوا أجسادهما لازالت كما هي، ورغم ذلك أن الشيخ سيدي عمر لما يئس من الحياة كتب وصيته على الرمل فبقيت كما هي ونقلت

---

[1] – نفسه .

[2] – عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص89.

[3] – محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، الورقة 25.

[4] – محمد عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص 89.

[5] – في موقع يقال له الشبكة.

حرفا بحرف. وبعد ذلك نقلوهما على ظهور الدواب فالأول دفن ببلدته مهدية وأما الثاني فدفن بضريح عبد الله بن مولاي سليمان بقصر باعبد الله[1].

4-3. زاوية أبي الأنوار التنلاني(تيديكلت):

أ – التأسيس والتطور:

تعتبر منطقة أولف من المناطق الصحراوية الحضارية الهامة في الصحراء الجزائرية، حيث أنجبت علماء أجلاَّءَ ساهموا في الحركة العلمية بمنطقة توات، ومن أهم العلماء الذين وفدوا إلى تلك المنطقة هو السيد أبو الأنوار بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني، ولد سنة (1077هـ) بتنلان ضواحي أدرار، تلقى العلم عن الشيخ أمحمد بن دين الله التيطافي[2].

انتقل بعدها إلى بلاد التكرور أين تولى التدريس والإفتاء ثم عاد إلى منطقة أولف حيث امتهن تجارة التمور وأصبح بها غنيا يموّن القوافل بما تحتاجه من تمور، وبعدها أقام مدّة بقصر الجديد [3]، ثم انتقل إلى حوض النيجر فالتقى هناك بشيوخ كنتة[4] بالأزواد كالسيد الحاج أحمد بن أبي بكر والسيد المحجوبي وأسسوا قرية المبروك[5] المبروك[5] الموجودة بشمال الأزواد سنة (1125هـ/1713م).

ويتضح لنا أنها أسست كمحطة تجارية للقوافل القادمة من توات إلى بلاد السودان، وأثناء وجوده بأرض الأزواد مارس مهنة التعليم إلى جانب تسيير ما له من الماشية والغنم والعبيد والإبل. ثم رجع إلى تيديكلت الشرقية بالضبط (أولف الشرفاء)، اشترى بها بساتين وأراض واشتغل بالتعليم وكان من أنجب طلاَّبه السيد محمد بن مولاي هيبة فزوَّجه ابنته فاطمة وجعله وصياً على ماله [6]، وبنى بها زاوية موجهة للعلم وإكرام الضيف معروفة باسم حفيده لابنته "هبة الله"[7].

ويُذكر أن الشيخ أبا الأنوار عاد إلى تنلان فاشترى بساتين ومياه [8] وأوقفها على عدد من الزوايا كزاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ بن عبد الكريم المغيلي ليستفيد منها الفقراء والمساكين وقد لازم الشيخ

---

[1] – محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص 54.

[2] – عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص 76.

[3] – قصر الجديد من قصور تامست ، زاوية كنتة ، أدرار .

[4] – عن الكنتيين ينظر: محاضرة الحاج أمحمد الكنتي، الزاوية الرقادية الكنتية وأعلامها، الملتقى الثاني حول دور آل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية، زاوية كنتة، أدرار 20 ماي 2004، ص26(عمل غير منشور).

[5] – لقد ساهم الكنتيون في إنشاء القرى والحلة أي المدارس الصغرى المستقرة والمتنقلة التي كانت الأساس في مدّ الجامعات الإفريقية بالطلبة، والحلة على مائة خيمة، وفي اصطلاح الكنتيين هي مجموعة سكنية تتألف من مسجد للصلاة ومكان للتدريس، انتشرت الحلة في صحراء الأزواد بمالي، وساهمت في تفعيل الروابط الثقافية والتجارية، ينظر: صالح بوسليم، جهود أعلام توات، الملتقى الوطني الرابع بجامعة أدرار: 19-20 أفريل 2010.، ص 124.

[6] – محمد حوتية، توات والأزواد، ص 239.

[7] – عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص 76.

[8] – المقصود بالمياه الفقاقير.

الصلوات الخمسة في أوقاتها فجعل أوقاتا للذكر وترديد الأوراد الخاصة من صلاة الصبح حتى الضحى، ومن صلاة العصر إلى المغرب. وكان طيلة حياته يقتني الكتب ويعيرها للطلاب والفقهاء وكان له العديد من الفتاوى في النوازل التواتية. وأهم شيء جعل زاويته تستمر في عطائها هو مزاوجته بين التجارة وطلب العلم مما أعطى للحركة العلمية بتيديكلت دفعاً قوياً. وفي آخر حياته تفرغ للعبادة والاعتزال وافته المنية سنة (1168هـ/1754م).

ويتضح لنا من خلال حياة أبي الأنوار أنه:

- أوقف أمواله للزاوية.
- اتبع الطريقة القادرية التي تدعو إلى العلم والعمل.
- اهتم بالعلم والتعليم وتقرّب من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

ومن أهم مؤلفات هذا الشيخ فتاوى كثيرة لا تزال دفينة الخزائن وبعضها مبثوث في "غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل " المعروفة بـــ"الغنية البلبالية" [2]. بالإضافة إلى أنه كان مرجعا للفتوى حتى عند كبار العلماء من معاصريه ومنهم العلامة ابن أبّ الذي نجده يبعث إليه بأبيات مستفسراً عن مدى مشروعية دفع الناس مهما بعدت بهم المسافة إلى الحِلْف في المسجد الذي يوجد فيه مصحف "تينغ بويا"[3] بأقبلي جاء فيها:

الحمد لله الذي قد ألهما أولي النهى تعظيم شأن العلما
ثم صلاة الله على محمد وآله وكـــل من به اهتـــدى
هذا سؤال جاهل فقـــير لله جـــانٍ مـــذنبٍ حقيـــر
للشيخ سيدي أبي الأنوار العـــالم الولي ذي الأســـرار

إلى أن يقول:...

نص السؤال أن ذا للبلدا عـــادة أهـــلـــهـــا إذا أرادا
أحدهم تحليف خصم بليا أن يجلب الخصم إلى تينغ بويا
طوعا وإكراها ولا يبالي وإن نئا منه على أمـــيـــــال

فبعث له الشيخ أبو الأنوار بالجواب نثرا، فقام ابن أبّ ينظّم ذلك الجواب شعرا بقوله[4]:

وبعد فالجواب أن الخصما يمنع أن يجلب خصما رغماً
إلى سوى ثلاثة المســـاجد فتلك قد ذكر غير واحـــد
أن لها يجلب في المقـــاسمة ر غيرها من كانم ذا إقامـــة
منها على عشرة الأيـــام فدوِّنْ لا غير بـــلا مـــلام

وقد ختم قصيدته بقوله:

---

[1] – نفسه، ص 239

[2] – الغنية البلبالية، مخطوط بخزانة الشاري الطيب، كوسام، أدرار.

[3] – كلمة ترقية(بلغة الطوارق): "تينغ" تعني قاتل و"بويا" تعني أبي فيكون المعنى قاتل أبي.

[4] – يفهم من سياق القصيدة أن أبي الأنوار قد منع الحلف على هذا المصحف.

هذا جواب مفحم المماري للشيخ سيـــدي أبي الأنوار
بلّغه الله الكـــريم الأمـــلا وأجـــزل الفضل له وأكملا
لا برحت علومه بصيـــرة وأنجم السعـــد به منيـــرة [1].

وخلاصة القول أن العلماء التنلانيون كانوا من أبرز أوجه الحركة الفكرية بتوات خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريـــين حيث تميزت هذه العائلة بكثرة أعلامها، لكن الباحث يجد غموضا كبيرا في تراجم وسير بعض الأعلام في حياتهم وذلك بالاعتماد على الوثائق المحلية وإخراج بعض المعلومات منها ومقارنتها مع غيرها والمتتبع لنشاط الزاوية التنلانية يقف على إسهاماتها داخل الإقليم التواتي ويكتشف مدى فاعليتها، حيث وصل صداها إلى المغرب الأقصى وبلاد السودان.

[1] – عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص ص(76-78).

الفصل الثالث:

المساهمة العلمية للتلاميذ

1. مؤلفاتهم ودورهم التعليمي بنوات

2. الرحلات عند التلاميذ

المبحث الأول: مؤلفاتهم ودورهم التعليمي بتوات:

اهتم العلماء التنلانيون بالفقه ودرسوه في العديد من القصور التواتية فجاءت تآليفهم الفقهية كثيرة لكونها عبارة عن شروح وحواشٍ على أمهات الكتب الفقه المالكي وهي ميزة العصر الذي عاشوا فيه بالإضافة إلى أنهم عرفوا بكونهم مرجعاً للفتوى حتى عند كبار علماء عصر هم ويظهر لنا ذلك من خلال:

أولا: مساهمتهم في الفتوى والقضاء:

شهد إقليم توات خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين حركة انتعاش في الحياة العلمية تنوّعت مظاهرها وتعددت المعارف العلمية ما أهّل العالم التواتي لتولي خطط الفتوى والقضاء وظهوره كعنصر فاعل داخل مجتمعه وخارجه، و لم يكن هذا التأهيل نابعا من تنوع المعارف وانتعاش الحياة العلمية فحسب بل كان وليدا للتفاعل الحيوي بين العلم النظري والواقع المعيش لأولئك العلماء، وبذلك استطاعوا مسايرة عصرهم وأحواله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[1].

ويزخر إقليم توات بمجموعة من العلماء المختصين بفقه النوازل فمن خلال كتب التراجم [2] نقف على ضخامة إنجازاتهم العلمية ودورهم الإصلاحي والحضاري بالإضافة إلى غزارة علمهم ومن بين هؤلاء العلماء، علماء تنلان[3] الذين كان لهم باعاً طويلاً في مجال الفتوى، فكان منهم القاضي والفقيه والمشهور بالفتوى والمؤلف. وقبل الحديث عن هذا الجانب نتطرق للتعريف بفقه النوازل.

1. فقه النوازل:

لغة.النوازل جمع نازلة من النـــزول وهو الحلول يقال نزل بهم ينـــزل نزولا إذا حلّ، والنازلة المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنـــزِل بالناس[4].

اصطلاحا: تطلق على المسائل والقضايا الدينية والدنيوية التي تحدثُ للمسلم ويريد أن يعرِف حكم الله فيها فيلجأُ إلى أهل العلم الشرعي يسألهم عن أحكام هذه النوازل [5]. وهي بهذا المعنى تخصُّ كل القضايا التي تنـــزل بالمسلم وتحتاج إلى فتوى تبينها. وتظهر في شكل أسئلة موجّهة إلى العلماء فيجيبون عليها[6]. ومن سنن الكون ومستجدات التطور أن تواجه الإنسان أحدَاثٌ تتطلب حلولاً منطقية تحفظ الحقوق وتصون المصالح وتريح الضمائر، وكان على

---

[1]– عبد السلام الأسمر بلعالم، أعلام فقه النوازل بمنطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الملتقى الوطني الرابع، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية، 19-20 أفريل 2010، ص 16.

[2]– مثل مخطوط جوهرة المعاني، ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية.

[3]– أمثال عمر بن عبد القادر التنلاني وعبد الرحمان بن عمر التنلاني.

[4]– محمد بن أحمد الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العصرية، 2004، ص 309.

[5]– مصطفى الصمدي، فقه النوازل عند المالكية، مكتبة الرشد، 2007، ص13.

[6]– عبد السلام الأسمر بلعالم، المرجع السابق، ص 17.

السلف الصالح التصدي لما استُجدَّ من مشاكل مشكِّلين بذلك ثروة فقهية مهمة، سايرت تطور المجتمع الإسلامي عُرفت بالنوازل[1]، وقد تعددت تسميتها فسميت بالأجوبة أو الفتوى النازلة، المسائل، الأحكام[2].

ويحدد لنا الشيخ الزجلاوي معنى المسائل بأنها الأجوبة عندما قال: « وبعد فهذه مسائل في الفقه وفقني الله لجمعها من أجوبة والدنا رحمه الله»[3]. ويورد محمد بن عبد الرحمان التنلاني في النوازل بمعنى الأجوبة حيث يقول: «... لما وقفت على أجوبة محققة النقول مهذَّبة الفصول لبعض فقهاء بلادنا»[4].

2. مجالات النوازل التواتية:

لقد تعددت انشغالات المكلَّفين فمن مجال العبادات والمعاملات إلى الاشتغال بالمسائل الفكرية العقدية حيث سُئِل الزجلاوي عن معنى "لا إله إلا الله" فأورد في نوازله : «فمن أجوبته في التوحيد قوله في لا إله إلا الله إن كل أحد يعرف معناها وهو ما كان إله إلا الله»[5]، ومن القضايا الفكرية المسائل اللغوية فقد سُئل الشيخ محمد محمد بن عبد الرحمان التنلاني عن حكم إعراب آكلُه من قولنا: «زيد الخبز آكله ؟». ومسألة أخرى في إعراب (شيخنا) من قول القائل: «شَيْخنا فلان سلام عليك أو نحوه هل يعرب أنه منادى بإسقاط حرف النداء فيكون منصوبا ؟ وعن "ال" من قولهم وقد ناهزت(الخمسة) أعوام»[6]، وهناك سؤال آخر موجّه لمحمد بن عبد الرحمان التنلاني عن قول الفقهاء هذا خَلف ما معناه وضبطه[7]. ووجه سؤال آخر في مجال الحديث " عن قراءة السنَد عند سردأحاديث البخاري"[8].

3. اهتمام التنلانيين بالنوازل: عُرف التنلانيون بأجوبتهم التي جاءت في شكل فتاوى وأحكام شرعية أخذ بها العلماء وهذا راجع لدراستهم الفقهية وتتبعهم لفتاوى أهل عصرهم بتوات والأزواد وفاس والجزائر، فنوازل الغنية البلبالية تبرز جانبهم العلمي وتعكس جملة من الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بتوات[9].

ولقد قسّمت اهتمام التنلانيين بالنوازل إلى ثلاثة أدوار وهي:

---

[1]– عيسى بن علي العلمي، النوازل، ج2،تح: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1986، ص 03.

[2]– عبد السلام الأسمر بلعالم، المرجع السابق، ص 17.

[3]– نوازل الزجلاوي، خزانة المطارفة، أدرار، الورقة 01.

[4]– البلبالي محمد بن عبد المالك، غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنلاني، خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغا، أدرار، الورقة 01.

[5]–نوازل الزجلاوي، الورقة 01.

[6]– الغنية البلبالية، الورقة 06.

[7]– نفسه، الورقة 07.

[8]– السند: ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل أو الوادي والجمع إسناد وكل شيء أسندت إليه شيئاً فهو مسند، وقد حرص العلماء على الاعتناء بالسنَد فقال ابن المبارك لولا السند لقال من شاء ما شاء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 220/3. وكما قال عبد الرحمان بن عمر في "فهرسته" «السند في العلم خصيصة لهذه الأمة وسنة من السنن الماضية وخصلة من الدين، شريفة سامية »، عبد الرحمان بن عمر، المصدر السابق، ص 94.

[9]– الغنية البلبالية، الورقة 08.

3-1. القضاء: عرف القضاء بتوات بقوته وتنظيمه بإيجاد هيئات قضائية تفصل في مشاكلهم كالطلاق والنفقة فكان من أكبر العوامل التي ساعدت أهل توات على تنظيم حياتهم الاجتماعية واستقرارهم في قصورهم[1].والقاضي قصورهم[1].والقاضي بإقليم توات يمثل أعلى سلطة قضائية داخل توات وكانت له مكانة كبيرة لأنه من الشخصيات العلمية الكبيرة وينحدر من أسرة كبيرة [2]، ذات نفوذ قوي لدى الأوساط التواتية الأمر الذي دفع مشايخ توات إلى رضاهم التام على اختياره [3]، وتعيينه خصوصا في القرن الثامن الهجري الذي شهد توافد العلماء على الإقليم مثل الفقيه أبو يحي المنياري في(815 هـ/1412م) فاتفق شيوخ توات وقورارة على توليته قضاء الجماعة فضبط القوانين واتخذ الموازين، ومن هنا نفهم أن هذه الوظيفة ذات وجه سياسي إذ هي تضبط أمور المجتمع[4]. ولهذا فالوصول إلى القضاء يتم بعد حياة من البحث المستمر عن العلم والمعرفة وممارسة التدريس وكان البعض يداوم صحبة قاضٍ معروف ويخدمه بمساعدته في الفتوي وبهذا يكون قد قطع شوطا كبيراً في هذا المجال[5].

ومن العائلات التي اشتغلت بالقضاء في إقليم توات نجد العائلة التنلانية حيث تقلّد أحد أفرادها مهمة القضاء وهو عمر بن عبد القادر التنلاني العالم الإمام والشيخ الهُمَام تصدّر للتدريس والإفتاء فكان مرجع الناس في حلّ المشكلات، وإليه المفزع عند وقوع المعضلات الأمر الذي جعلهم يختارونه لتولي القضاء سنة (1133هـ/1720م) فقبل عن مضض لّما رأى المصلحة فأظهر العدل وأحسن السيرة[6].

وقال عنه تلميذه عبد الرحمان بن عمر: « وابتلي في آخر عمره بالقضاء كالمُكرِه عليه لَمَّا لَمْ يجد من يقوم مقامه في العلم والعدل بعد أن دُعي إليه غيرَ مرّة فاستعفى فأُعفي، فلما مات الأمير إسماعيل [7] وكثرت الخصومات و لم يرتضوا غيره وخاف من الهرج والفتن فقبل ذلك».وهنا يظهر لنا تخوف العلماء من تحمل هذه المسؤولية التي تلقى على عاتقهم.

3-2. العلماء المشتهرين بالفتوى:

أ/عبد الرحمان بن عمر التنلاني: تصدّر هذا الأخير للإفتاء في الديار التواتية فكان المرجع فيما حلّ من نوازل بالإقليم فوصفه صاحب جوهرة المعاني في قوله:"منتهى رياسة الفقه بالديار الصحراوية". كما وصفه بالمجتهد حيث قال: «وكان من مجتهدي وقته في المذهب المالكي» [8]. ومما يدل على هذا الأمر هو أن مخطوط "غنية المقتصد

---

[1]- سرير ميلود وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 162.

[2]- إذا تتبعنا تاريخ توات نجد أن العلم والقضاء كان وراثة داخل الأسر الكبيرة فعند موت الأب يخلفه ابنه في القضاء أو في التدريس.

[3]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 57.

[4]- محمد باي بلعالم، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليمنا التواتي، ص ص (3-4).

[5]- أحمد الحمدي، المختار الكنتي الكبير، منشورات البيت، الجزائر، 2009، ص 74.

[6]- ينظر: محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، الورقة 23.

[7]- السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف العلوي حكم المغرب 55 سنة تميّز عهد بالاستقرار توفي سنة 1139هـ. ينظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، 2001، ج5، ص 1996.

[8]- محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني ، الورقة 23.

السائل" الذي يجمع العديد من القضايا الفقهية من استشاراته وإجاباته عن النوازل [1]. كما أخذت فتاواه القسط الوافر من مخطوطي "الجامع" ، "غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنلاني" اللذان جمعهما الفقيه محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي في شكل مراسلات ومحاورات بين الشيخ عبد الرحمان وابنه محمد، نورد مثالاً على ذلك: حيث جاءت فيها مسائل تخص بلاد السودان بحكم علاقات الجوار بين الإقليمين «وسأل الابن أباه[2] عن رجل أتى بعبيد من السودان ذكورا وإناثا ونوى بهم التجارة وأتى عليهم عيد الفطر فهل عليه زكاة فطرهم وإن لم يتحقق إسلامهم للحكم بإسلامه إذ لا دين لهم يدينون به وما الحكم في الصلاة عليهم إن ماتوا »[3]. هذه النازلة تبرز لنا العلاقة التجارية بين توات وبلاد السودان فأهم سلعة يجلبها التواتيون من السودان هم العبيد وتشير كذلك إلى أنَّ هؤلاء العبيد لا يدينون بالدِّين الإسلامي.

وقد كان الشيخ عبد الرحمان بن عمر أحد الرجال الأربعة الذين انتهت إليهم شورى القضاء في توات حيث قام القاضي عبد الحق بن عبد الكريم بتشكيل مجلس استشاري مكوَّن من أربعة علماء [4]. من بينهم عبد الرحمان بن عمر الذي لم يبخل بإسداء النصح له [5]، فذكر صاحب جوهرة المعاني هذا الأمر في قوله: «لم يزل قاضي الجماعة عبد الحق معتمدا على فتاويه» [6]. وقد نصح الشيخ عبد الرحمان القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكراوي بقوله: «إذا خاطبتك بالمقول فاقرع باب نظرك فإنك مسؤول وأسأل الله لك التوفيق»[7].

ب/ عمر بن عبد الرحمان المهداوي التنلاني: هو صاحب زاوية مهديةكما تقدم ذكره، وأحد تلاميذ العلامة أمحمد بن عبد الله الونقالي، تولىَّ أمر الفتوى والتحكيم فأحسن في الفتوى أيَّما إحسان، بالإضافة إلى إعانة الضعفاء والصلح بين الناس وفض النـــزاعات [8].

3_3 العلماء الذين ألفوا في النوازل:

ساهم التنلانيون في تأليف النوازل وجمعها ومن أهم الذين برعوا في هذا المجال نذكر منهم: محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني البحر الفهامة ورئيس المهرة... كان رحمه الله إماما في المذهب [9]، أخذ عن والده الشيخ عبد الرحمان بن عمر وعن الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي، اشتغل بالعلم مما جعل الناس يعتمدون على فتواه،

---

[1]– ينظر: الغنية البلبالية، كلها.

[2]– الابن: هو محمد بن عبد الرحمان التنلاني/ أباه: هو عبد الرحمان بن عمر.

[3]– محمد بن عبد الكريم البلبالي، غاية الأماني، الورقة 01.

[4]– هؤلاء الأربعة هم: الشيخ محمد بن الحاج عبد الله، وعبد الرحمان بن عمر وعبد الكريم الحاجب والشيخ محمد بن العالم الزجلاوي.
للتوسع ينظر: محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص 56.

[5]– عبد الرحمان بعثمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر، مذكرة ماجستير، ص 30.

[6]– محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، الورقة 25.

[7]– نفسه.

[8]– محمد عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات، ص89.

[9]– محمد بن عبد لكريم، جوهرة المعاني، الورقة 31.

درّس وأفتى في حياة والده مما يدل على نبوغه وإجازة والده له [1]. ورغم فقدانه لبصره إلا أن بصيرته ظلّت حاضرة حاضرة فكانت الفتوى تصدر منه بخط كاتبه العلامة المحفوظ الأشاني كما ذكرنا في الفصل الثاني [2]. وللشيخ محمد محمد بن عبد الرحمان رسالة من جنس النوازل سمّاها "إفهام المقتبس في ثبوت التحبيس بخط المحبّس" ورسالته هذه أفردها لتقرير جواب حول قضية من حبّس حبساً على أولاده وكتبه بخطه وبقي إلى أن مات لعدم رشد المحبّس عليهم وذكر أنه كان يصرف غلاته عليهم ويزيد من ماله وتسلّمه ورثته من بعده، ثم إن بعض ولده أدان ديناً فباع بعض الحُبُس فقام فيه غيره من الأولاد فادّعى المشتري فساد الحبس وأنه لا يثبت بخط المحبس معتمدا على فتوى مُفْتٍ له بذلك لعدم إشهاد المحبس غيره عليه وذلك المفتي هو الشيخ العلامة محمد بن العالم الزجلاوي، وكان جواب الشيخ محمد بن عبد الرحمان بثبوت الحبس بخط المحبّس، ثم أنه دار بين العالمين محاورة علمية نتجت عنها هذه الرسالة أراد مؤلفها أن يقيّد فيها ما عنده في المسألة ليعرضه على ذوي الألباب فيبيّن الخطأ من الصواب وقسمها إلى أربعة فصول الأول في صحة إقرار المقر في الصحة سواء كان لوارث أو غيره، والفصل الثاني في أن الخط إقرار وشهادة على صاحبه، والفصل الثالث في أن إشهاد المحبَّس ونحوه على نفسه بالتحبيس في الصحة لا يعدُّ توليجاً، والفصل الرابع في بيان إن الإشهاد للغير لا يحتاج إليه المحبّس الذي أشهد نفسه على تحبيسه [3].

اعتمد محمد بن عبد الرحمان في رسالته على نصوص علماء المذهب من قول مالك وأصحابه إلى المتأخرين كالزرقاني والبناني والتتائي وأصحابه بشكل منقطع النظير تتجلى فيه ملكة الفقيه المدعم بالحجج العقلية والقواعد الأصولية والفقهية، فلم يترك متكأً يمكن الاعتماد عليه إلا وجاء به [4].

ثانيا: مساهمتهم في اللغة وآدابها.

❖ دور عمر بن عبد القادر في الدرس اللغوي بتوات:

من الذين اهتموا بمجال اللغة بتنلان هو عمر بن عبد القادر التنلاني الذي تصدّر للتدريس خلال القرن 12 هـــ، وذلك بعد عشرين عاما من تأسيس مركز تنلان من قبل أحمد بن يوسف الجد . وذلك من خلال رحلته إلى فاس وتصدره للتدريس بالمدرسة المصْباحية وبجامع القرويين، بالإضافة إلى تتلمذه على عدّة علماء معروفين بتضلعهم في اللغة والنحو بحاضرة فاس نذكر منهم العلامة النحوي محمد بن زكري الفاسي [5]، ومحمد

---

[1]– عبد السلام الأسمر بلعالم، المرجع السابق، ص26.

[2]– السيد المحفوظ الأشاني: ولد بقصر أولاد أوشن من تلاميذ محمد بن عبد الرحمان التنلاني، كان كثير النسخ والتأليف، يراجع: سليماني علي، علماء من أحفاد مولاي سليمان بن علي، الندوة الرابعة للولي الصالح مولاي سليمان بن علي، 14 ماي 2009، ص 06.

[3]– محمد بن عبد الرحمان التنلاني، رسالة إفهام المقتبس في ثبوت التحبيس بخط المحبّس، خزانة مولاي سليماني علي، أدعا، أدرار، صفحات متفرقة.

[4]– عبد السلام الأسمر بلعالم، المرجع السابق، ص ص(26-27).

[5]– هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن زكري من أعلام فاس توفي عام 1144هـــ. للتوسع ينظر: أبي العباس أحمد المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002، ص 165.

العربي بن محمد مقلب الفاسي [1]، وإدريس المشاط [2]، كما ساهم الشيخ عمر بن عبد القادر في تكوين العديد من العلماء ساهموا في النهضة اللغوية داخل الإقليم نذكر منهم عبد الرحمان بن عمر التنلاني وعبد الرحمان الجنتوري، وهم كذلك ساهموا في المجال اللغوي، ومما قاله فيه صاحب الدرة الفاخرة: «أحد الأعلام والأئمة المجتهدين في المذهب، له ترجيحات كان عالما بالنحو والفقه والحديث واللغة والعروض» [3]. ومن خلال ما ذكره صاحب الدرة الفاخرةيمكن أن نلتمس بعض المعطيات التي تدل على نبوغه وهي كالتالي:

- بلوغه درجة الاجتهاد في مجال الفقه، والاجتهاد عند علماء الأصول له شروطه مثل التضلع في اللغة العربية والتبحر في النحو.
- كما أنه كان عالما باللغة والنحو.
- كما أنه عالم بعلم العروض. والاهتمام بعلم العروض يدل على الاهتمام بالشعر.
- أما إسهاماته في فاس فتتضح من خلال تدريسه للغة العربية في المدرسة المصباحية بفاس.
- جلوسه للتدريس بجامع القرويين، مع العلم أن حلقته اللغوية كانت أكبر الحلقات آنذاك. وفي حياة شيوخه اللغويين الذين ذكرهم في رحلته.
- وعن مدى اهتمامه باللغة والمسائل النحوية يتضح لنا الأمر أكثر من خلال رحلته إذ أورد فيها بعض المسائل اللغوية النحوية [4]. وبعد رجوع الشيخ إلى تنلان جعل منها حاضرة تعج بالدروس اللغوية وتشد لها الرحال من إقليم توات حيث تتلمذ على يده العديد من الأعلام اللغويين أمثال :عبد الرحمان بن عمر التنلاني، عبد الرحمان الجنتوري، محمد بن أب المزمري صاحب التآليف اللغوية الكثيرة [5].

❖ **دور الشيخ عبد الرحمان بن عمر في الدرس اللغوي بتوات:**

وذلك من خلال اختصاره لكتاب الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي [6] هذا الكتاب الضخم الذي يعتبر من أجلّ ما كتب في علم إعراب القرآن الكريم، فجمع العلوم الخمسة الإعراب والتصريف

---

[1]– أبو عبد الله محمد العربي بن محمد بن مقلب الفاسي، فقيها متضلعاً في القراءات السبع. ينظر: حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، ج5،، ص 1961.

[2]– إدريس بن المهدي المشاط المنافي توفي 1142هـــ، نفسه، ج5، ص 2024.

[3]– عبد القادر المهداوي، الدرة الفاخرة، ص 02.

[4]– عمر بن عبد القادر التنلاني،رحلته في طلب العلم،خزانةباعبد الله، أدرار.

[5]– ينظر ترجمته في: ضيف الله بن محمد بن أب المزمري، الرحلة لزيارة قبر الوالد مخطوط بخزانة أحمد بن ديدي، تمنطيط، أدرار.

– عبد الرحمان بن عومر،فهرسة شيوخه،ص136.

– محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1/ص89.

[6]– السمين الحلبي: هو شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفي سنة 756هـــ ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون،ج1 ص 191.

قال عند الزركلي«عالما فقيها ولي القضاء، ينظر الزركلي، الأعلام ج6 ص 349 ».

واللغة وعلم المعاني والبيان فاختصره عبد الرحمان التنلاني في (522) صفحة، وأراد من خلاله أن تحصل المنفعة وأن يستفيد منه طلبة العلم.

منهجه وطريقته في تلخيص الكتاب:

ابتدأ كتابه بمقدمة مقدماً نفسه للقارئ ذاكراً نسبه ومولده ومكانته العلمية كحفظه لكتاب الله تعالى وتحصيل ما تيسر من علومه، ويتضح لنا من خلال ذلك نبوغه اللغوي ويبرز لنا شيء مهم أنه كان يُعتمد على هذا الكتاب في التدريس حيث قال في مقدمته «لتحصل به المنفعة» [1]. وجاء في آخر المخطوط «كان الفراغ من نسخ هذا المختصر المنقول من خط مختصره ضحى يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادي الثاني سنة ثمانية وثمانين ومائتين و ألف» [2]. ويظهر من خلال الكتاب مدى تأثُّر التنلاني بالسمين في مذهبه وطريقة عرضه للمادة العلمية مع العلم أن لكل منهما طريقته الخاصة في الكتابة وفقا لبراعته واتساع ثقافته مع تباعد الأزمنة بينهما واختلاف بيئاتهما.

ب/ طريقة التنلاني في التلخيص: للمؤلِّف طريقة خاصة في معالجة النصوص والآيات في الكتاب الأصل، أحيانا يخرج عن لفظ السمين وهذا توضيحا منه واختصارا وتارة ينسب الأقوال إلى أصحابها وتارة يتغافل عن ذلك وبعد ذكر الآية يتطرق مباشرة إلى الجانب اللغوي مبيّناً مدلول اللفظ لغويا ويشير إلى أهم الاختلافات وكأنه يعتمد على المعاجم اللغوية للتوضيح وينتقل بعد ذلك إلى الجانب الإعرابي فيبين موقع تلك الجملة من الإعراب ثم ينتقل إلى الجانب الصرفي وهو أهم شيء في الدراسة مشيرا إلى اللفظة واشتقاقها ثم وزنها [3]. أما معالجة سور القرآن فإنه لم يخرج عن الطريقة الأصلية والمعروفة لدى علماء التفسير فالسور جاءت على شكل عناوين ذات الحجم الكبير. أما عن الاستشهاد بالأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين فهي مختصرة وأحيانا نادرة. وفي مجال بيان معاني الألفاظ نجد أن التنلاني في مختصره يلجأ إلى التمثيل والاستشهاد من أجل إيضاح ما عسر فهمه فيستدل ببعض الآيات ليوضح المعنى، وهنا يدل على درجة حفظه وعلمه كيف لا وهو العالم المتجول[4].

أهم ما يستنتج من مختصر الدار المصون:

- من خلال الكتاب نلاحظ أن التنلاني لم يكن موقفه موقف المتأثر الذي ينقل الأقوال جملة وتفصيلا بل كان يناقش الآراء ويهتم بالأشياء المهمة في الكتاب كاختصار كل ما يجد فيه إسهاباً.
- أما في المسائل النحوية فإنه أسقط إعراب الجمل واكتفى ببيان محلها من الإعراب، فبين التي لها محل من الإعراب كالجملة الواقعة خبرا و حالا[5].

---

[1]– عبد الرحمان بن عمر التنلاني، مختصر الدر المصون في علم الكتاب المكنون، خزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار الورقة واحد.

[2]– نفسه.

[3]– نفسه الصفحة الأخيرة.

[4]– مزيلخ عاشور،الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني ومنهجه في تلخيص كتاب الدر المصون للسمين الحلبي، مجلة التراث العربي ، ع السنة 27، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، 2007، ص06.

[5]– نفسه.

- إن هذا المختصر يدل على المكانة العلمية للشيخ عبد الرحمان بن عمر ومعرفته لعلوم الدين واللغة والفقه والتفسير. فنجده يبدي رأيه أمام أقوال بعض المشارقة ، وهذا الكتاب يدل على بحثه وتعميقه في الدراسات النحوية واللغوية ودروسه التي كان يقدمها لطلبته.
- يعتبر الكتاب حلقة وصل بين المغرب وبلاد الشام وهو يدل على التواصل بين المنطقتين.
- يدل الكتاب على شيء مهم وهو إطلاع التواتيين على كتب المشارقة وتداولها في مدارسهم.
- اهتمام أهل توات بعلوم القرآن وهي الأصل فالقرآن الكريم احتل المرتبة الأولى في الحركة التعليمية داخل توات.
- اقتصر عبد الرحمان بن عمر على الفنون الثلاث الإعراب واللغة والتصريف، واستغنى عن علم البيان والبديع لقلة من يتعاطاها في ذلك العصر كما يدل المختصر أنه من الكتب التي كانت تدرس في الزوايا التواتية[1].

كتاب مختصر النوادر[2] للشيخ عبد الرحمان بن عمر:

وهو كتاب في الفقه والمعاملات لابن أبي زيد اختصره الشيخ في مجلد متوسط الحجم، وهو يخص تلميذه الشيخ محمد بن مالك القبلاوي، مبتور الأول والموجود منه بعض الأبواب مثل باب الصلاة، الصيام، القضاء، الشهادات، الوصايا. وفي آخره كتب الشيخ محمد بن مالك انتهى ما وُجد بخط عبد الرحمان بن عمر مما انتخبه من النوادر[3].

- يدل الكتاب على اهتمام عبد الرحمان بن عمر بالفقه وباللغة بالإضافة إلى أن الكتاب كان يتدراس به داخل داخل الزوايا التواتية. ويفهم من خلال هاته المؤلفات أن الشيخ عبد الرحمان بن عمر كان يحبِّد طريقة الاختصار ليسهل عليه فهم الكتاب والتعامل معه وتدريسه. كما يتجلى دوره في الاهتمام باللغة العربية ومجالاتها من خلال:
- تكوينه لتلاميذ متضلِّعين في اللغة العربية مثل ابنه محمد وعبد الله.
- مساهمته في تكوين الشخصية اللغوية لمحمد بلعالم الزجلاوي صاحب كتاب ألفيه الغريب.
- مساهمته في تكوين الشاعر التواتي محمد المبروك البوداوي الجعفري.

❖ **دور أبي الأنوار التنلاني في خدمة الدرس اللغوي بتوات:**

يعتبر الشيخ أبو الأنوار التنلاني من العلماء الذين ربطوا العلاقة بين إقليم توات وبلاد السودان وذلك من خلال سفره إلى بلاد التكرور قاصدا التدريس [4]. مما يدل على على إسهامه اللغوي في بلاد التكرور حيث إن الدروس اللغوية تحتل الصدارة في العملية التدريسية فبدونها لا تفهم العلوم الأخرى من فقه وتفسير وحديث فهي

---

[1]– محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمان بن عمر التنلاني، ص 54.

[2]– المخطوط بخزانة محمد باي بلعالم القبلاوي الفلاني، أولف، أدرار.

[3]– محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص55.

[4]– عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة،ص06.

الأداة الفاعلة في ذلك. بالإضافة إلى محاوراته اللغوية مع محمد بن أب المزمِّري وتتجلى في سؤال وجهه لأبي الأنوار فنستدل على ذلك أنه كان مرجعا للفتوى والمفتي لابد أن يكون متضلعا في اللغة العربية.

❖ **دور عبد الله بن عبد الرحمان في خدمة الدرس اللغوي بتوات:**

واصل هذا الشيخ مسيرة والده العلمية من خلال المحافظة على مركز تنلان كمركز إشعاع علمي حيث تربع للتدريس والتأليف فتنقل في عدة أماكن طلبا للعلم ورحل إلى تيميمون قصد التدريس بها [1]. ومن آثاره تأليفه لمنظومة شعرية سمَّاها "تحفة اللبيب في طلب مرضاة الحبيب"[2]وهي قصيدة في باب الإعتذار توجَّه بها إلى ابن عمه عمر بن عبد الرحمان المهداوي (صاحب زاوية مهدية) فراسله بقوله: «... هذا وأنه وقع مني إليك ما أوجب عنه أن اعتذر وإلى مرضاتك أن أسعى».

ونظَّم قصيدة في ذلك مطلعها:

سلام يدوم ما تردد بالرقص مغنٍ وما رنَّت بلابلُ في قفـــص

ويعقوب ذلك السلام برحمة مع البركات تستزاد بلا نقـــص

وفي الأخير قال:

ولئن أسأتُ في التأدب مخطـــئا فهب هفوتي لمدحي واغفر نقصي

عليك سلام من مليكك مرسَلٌ يوافك ما غنت بلابل في القفص

ونلمس من خلال القصيدة أحد الأغراض الشعرية وهو المدح حيث يقول:

لقد صنت نور العلم بالدرس والتفتي كما صنته بالفم والوقف والفحص [3]

بالإضافة إلى شرحه لأرجوزة بن أبَّ المزمري المسماة: "بالمورد العنبري على المنظومة المسماة بالعبقري" وقد كان هذا الشرح متداولاً داخل الزوايا العلمية في توات [4]. ومن جملة الأشعار التي تركها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الرحمان قصيدة في الشعر السياسي والتي تتحدث عن الحملة الصليبية على مصر بقيادة نابليون بونابرت(1801/1798م) وضربهم للأزهر بالقنابل واتخاذه اصطبلا للخيول. فجاءت غيرة هذا الشاعر على معقل الإسلام فكان من الأوائل الذين تفاعلوا مع هذا العدوان الظالم حيث جادت قريحته بنظم قصيدة سمِّيت بـــ: «الحلة الفاخرة في طلب فتح مصر والقاهرة»، فجاءت على إيقاع بسيط افتتحها بقوله:

الله أكبر جل الخطب عيـــانا وقد أتينا ومنا أصل بلـــوانا

يا رب قاعدة الإسلام حل بها أمر عظيـــم لهالنا وأشجـــانا

الروم أخزاهم الإله قد ملكوا مصر العتيق وجزَّءوه سهمانا

الكفر قد خفقت أعلام رقبته ودينا قد بدأه اليوم نقصـــانا

---

[1]– عبد القادر المهداوي، الدرة الفاخرة، ص

[2]هذه القصيدة تحتوي على 21 بيتا. ينظر، عبد العزيز سيد اعمر "قطف الزهرات"،ص ص95-96.

[3]– نفسه ص95.

[4]– عبد العزيز سيد أعمر، المرجع السابق،ص104.

يا غمه لبني الإسلام نالهـــم بهذه النكبة الصماء خســـرانا

الشاعر هنا يوجه استغاثة مدوية ويبدي خوفه على معقل الإسلام ويصور هول الفاجعة وبعد ذلك شرع في تعداد مظاهر الخسارة والخراب التي حلت بمصر فلا أحد يذهب إلى المساجد والمدارس لهول الفاجعة وخوفا من العدو وحتى المصاحف والكتب لم تسلم من يد الدمار، أما المساجد فقد عاثوا فيها فساداً وحولوها إلى كنائس يعبد فيها الصليب.

من للمساجد يا غوث يعمـــــرها من للمدارس يستجيب لهفانا
من للمصاحف والكتاب التي جمعت بالأزهر الرحب يكفلنها يقظانا
من للمشاهد في سفح المقطم مـــن لمشهد السبـــط يحفظنه إعلانا
انتشرن المسوخ في وسط مسجدنا ويعتريه من أهل الكفر نشوانا
ويعبدن الصليب في مساجدنـــــا ما مثلها نكبة في الدهر تغشانا

وبعد ذلك لجأ الشاعر إلى الله عز وجل يسأله النصر والتأييد وأن يفتح عليهم قاعدة إسلامية تنسيهم أحزانهم، ومن خلال تضرعه تظهر لنا صورة الصوفي المتعبد التمسك بالله وبرسوله الكريم وذلك في قوله:

إن لم تعافِ وتعفُ يا رحيم فمن للمؤمنين مؤيـــــدا ورحمـــــانا
إنا استجرنا بك اللهم يا صمد فألف جمع العدا عن قطر مصرانا
وافتح على المسلمين بعدُ قاعدة تفوق مصر عمـــــــارة وبنيانا
لتكبت الروم والإسلام في فرح ينسيهم ما مضى والأمـــر برهانا

وفي الأخير ختم الشاعر قصيدته بجملة من الأدعية كعادة الكثير من الشعراء طالبا العفو و المغفرة:

ظلمنا أنفسنا والعفو منك لنا فضلا فليس إلى سواك شكوانا
منَّا الجفاء ومنك الحِلم يا أملي أسبل على عبدك المغتر إحسانا[1]

تعتبر القصيدة نوعاً من أدب المقاومة أو الشعر السياسي الذي ينظَّم في شأن من شؤون السياسة والحكم وهي نوع من الشعر التحرري الذي ارتبط بظهور حركات التحرر في الوطن العربي فجاء هذا النوع محرضا وداعيا إلى التحرر من قيود الاستعمار[2]. كما تُظهر لنا القصيدة تطلع أهل توات إلى ما يحدث في الوطن العربي، فرغم بعد المسافة إلا أن الغيرة الدينية على الإسلام وأهله كانت حاضرةً في هذه القصيدة. وهي تبرز لنا الحالة التي وصل إليها الأزهر الشريف من خراب ودمار ودعوة الشاعر عبد الله بن عبد الرحمان التنلاني إلى إنقاذه.

[1]– ينظر مخطوط القصيدة بخزانة با عبد الله أدرار.

[2]– أحمد جعفري، أدب المقاومة في توات دراسة في أعلام والمظاهر، الملتقى الوطني الرابع ، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث، 19.20/أفريل/2010،ص55.

❖ **دور محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني في خدمة الدرس اللغوي.**

جعل هذا الأخير من مركز تنلان شعلة علمية تستهوي قلوب الراغبين في العلم رفقة أخيه عبد الله، حيث واصل المسيرة العلمية لوالده وشيخ والده عمر بن عبد القادر التنلاني. ومما حلاه به صاحب جوهرة المعاني [1] «العالم العلامة البحر الفهامة... كان اماما في المذهب حافظا له متفننا في النحو و المنطق والبيان والعروض...» وهذا الأمر جعله يتربع للدرس اللغوي داخل زاوية تنلان. بالإضافة إلى تميزه بالفصاحة في علم القراءات والتجويد وهذا الأمر يدل على إلمامه بعلوم اللغة وفنونها.

يعود سبب اهتمام التنلانيين باللغة و بالدرس اللغوي داخل إقليم توات لكون اللغة العربية تحتاجها العلوم الشرعية فالمشتغل بالتفسير مثلا لا بد أن يكون ملماً بعلوم اللغة كما أن الذين ترجموا لهؤلاء والأعلام يفتتحون بقولهم: «كان محدثا فقيها مفسرا لغويا نحويا عروضيا » فهذه السداسية تكشف عن الإلمام لمجموعة من العلوم. فاللغة أداة للإدراك والفهم فلغة القرآن هي العربية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَاناً عَرَبِياً لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ ﴾[2].

كما أن الإمام الشاطبي اشترط في الأصوليّ معرفة العربية بقوله: «الاجتهاد إذا تعلق بالاستنباط من النصوص فلا بد من اشتراط العلم بالعربية، وألفاظ الشارع المؤيدة لمقتضياتها عربية فلا يمكن من ليس بعربي أن يفهم لسان العرب»[3]. وبما أن العلماء التنلانيين اشتغلوا بالفتوى [4] أوجبت عليهم الإلمام بعلوم اللغة، فالمفتي يُشتَرط فيه أن يكون عالما بالنحو والإعراب، وإذا ما رجعنا إلى كتب النوازل وجدناها تحفل بالمسائل اللغوية حيث سُئل الشيخ محمد بن عبد الرحمان التنلاني عن حكم إعراب آكله من قولنا زيد الخبز آكله؟ [5]. وهذا دليل على اعتنائه باللغة العربية والإعراب[6].

ثالثاً: التأليف والتدوين التاريخي عند التنلانيين.

يعتبر الإقليم التواتي بما يحتويه من عشرات الخزائن وآلاف المخطوطات الخزَّان الحقيقي للتراث المخطوط في الجزائر عامة، إذ تشير آخر الإحصاءات في هذا المجال أنه وحتى سنة(1962) كانت بالإقليم قرابة العشرين ألف مخطوط موزعة على أزيد من (100) خزانة ومكتبة محلية بالإضافة إلى عشرات النسخ التواتية المتواجدة في خزائن مدن مالي وموريتانيا والنيجر وغانا ونيجيريا والمغرب وتونس ومصر [7]، حيث انتقلت هذه النسخ بفعل

---

[1]– محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، ص31.

[2] ــ سورة الزخرف، الآية 20.

[3]– الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات، تح أبي عبيدة بن حسن آل سلمان، دار ابن غضان المملكة العربية السعودية، ج5،ط01،1997،ص124.

[4]– ينظر: فتاويهم في الغنية البلبالية، خزانة كوسام، أدرار.

[5]– الغنية البلبالية، الورقة 6 ظهر.

[6]– ينظر كذلك ملمح من نوازل محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني في مخطوط، البلبالي محمد بن عبد الكريم، الكتاب الجامع لفتوى أبي زيد التنلاني، خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغا أدرار، الورقة 01-02.

[7]– أحمد جعفري، أبحاث في التراث، ص83.

المبادلات الثقافية والتجارية بين شمال وجنوب القارة الإفريقية [1]. كما شكلت الأقاليم التواتية بحكم موقعها الاستراتيجي جسر تواصل وعطاء بين مختلف هذه الشعوب، وانعكس الأمر إيجابيا على واقع المنطقة إذ عرف إنسانها كيف يستغل الظروف ويشارك القطبين الشمالي مثل تونس وليبيا [2] والجنوبي بعواصمه التاريخية كتمبكتو، كانو، شنقيط[3]، فكان الحضور التواتي أقوى فهي من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء وكانت همزة وصل بين شمال وجنوب القارة الإفريقية، وهذا الأمر جعلهم يطّلعون على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب[4].

❖ التاريخ والسير والتراجم:

لقد اهتم أهل توات بعلم التاريخ وكان لهم إسهام كبير في مجال السير والتراجم، إذ اهتموا بالتأريخ لبعض الأحداث التي جرت في بلادهم وحفظت لنا خزائن توات بعض المخطوطات في هذا المجال وإن كانت قليلة بعض الشيء مقارنة بكتب الفقه واللغة العربية. والتاريخ يعرفنا بأخبار الأمم السابقة كما قال ابن خلدون: «فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال» [5]. ويضيف ابن الأحمر لعلم التاريخ بقوله:« فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحُسن نظر وتَثبُّت يُفْضيَان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط»[6]. ومن بين المخطوطات التي اهتمت بمجال التاريخ والسير والتراجم نجد ما يلي:

❖ فهرسة الشيخ عبد الرحمان التنلاني:

بحكم العلاقات بين توات وبلاد المغرب تطلع أهلها إلى العديد من الفنون من بينها الفهارس [7] والإثبات حيث شاع هذا الفن خلال العهد العثماني، فكان العالم يسجل فيها مروياته في الحديث بالسند، والكتب أمن قرأها، كما يسجل شيوخه الذين درس عليهم. ومن الناحية الشكلية فإن الفهرس يُكْتَب إِمَّا كسجل تاريخي شخصي وإِمَّا لمنحه إجازة لأحد العلماء الراغبين[8].

✓ وصف مخطوط الفهرسة:

---

[1]– للتوسع ينظر: عبد الجليل التميمي، الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث، مج التاريخية المغربية، ع21،22، أفريل 1981، تونس، 19.

[2]– أحمد جعفري، أبحاث في التراث، ص87.

[3]– إن المغاربة و التواتيين كانوا من أنشط التجار في السودان الغربي خصوصا تمبكتو فحسب الحاخام موردا خاي: كان بها 600 تاجر من توات، و60 إلى 50 من فاس يراجع: عبد الواحد إكمير، الحضور المغاربي الأوروبي في إفريقيا الغربية، مج المستقبل العربي، ع 282، 2002 ص 136.

[4]– فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 113.

[5]– ابن خلدون، المقدمة، ص15.

[6]– إسماعيل ابن الأحمر، روض النسرين في دولة بني مرين، تح عبد الوهاب بن منصور، المطبعة المالكية، ط2، ص15.

[7]– عمل الفهرسة: يتضمن الحديث عن العلم والعلماء ومجالس الدرس وأسماء الكتب وذكر الأسانيد، وهو يرتبط أكثر بالطرق الصوفية، ينظر: فقيقي محمد الكبير، الحياة الاجتماعية والثقافية في مصر من خلال رحلات المغاربة أثناء القرن(18.17م) مذكرة ماجستير تاريخ حديث، جامعة بشار، 2008،2009، ص 72.

[8]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص32.

يعتبر مخطوط فهرسة عبد الرحمان التنلاني من أهم المصادر التاريخية التي اهتمت بالحركة العلمية والعلاقات الثقافية بين توات وبلاد المغرب وبلاد السودان. استهل المؤلف كتابه بالبسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد ذلك قال: يقول راجي عفوه مولاه الكريم عبد الرحمان بن عمر التواتي منشأً ومولداً الأموي أصلاً ومحتداً...»[1].

✓ **التفاعل الثقافي بين توات وبلاد المغرب والسودان من خلال الفهرسة:**

اهتم مخطوط فهرسة التنلاني برصد الحياة العلمية والثقافية في توات والمغرب وبلاد السودان، وسلّط الضوء على بعض الغموض الذي اكتنف تاريخ توات. ومخطوط الفهرسة أعطانا صورة واضحة عن المراكز العلمية النشطة في توات وما جاورها. فاهتم المؤلف بالترجمة للشيوخ الذين درَسَ عليهم وبيَّن المؤلفات التي اشتغلوا بها والعلوم التي درسوها، وكيفية تدريسهم لها.

✓ **المراكز العلمية من خلال الفهرسة:**

المراكز التواتية:

- **زاوية تنلان:** وهي مسقط رأس الشيخ وبها تلقى علومه الأولى وزاوية تنلان حاضرة علمية فما من عالم في توات خلال القرن 12 هو إلا تزود من علومها، حيث شهدت الزاوية نشاطا كبيرا بعد عودة الشيخ عمر بن عبد القادر من فاس، فتوافد عليه الطلبة للأخذ عنه أمثال عبد الرحمان الجنتوري وعمر الرقادي وابن أب المزمري.
- **الزاوية الرقادية:** شهدت الزاوية الرقادية نشاطاً كبيراً، بفضل دروس الشيخ عمر الرقادي والطريقة التي اتبعها في التدريس والمصنفات التي اعتمد عليها وقد انسجم المؤلف مع الجو العلمي بالزاوية، حيث تعلق بشيخها وداوم على زيارتها وجلس للتدريس من مجلس شيخها فقدّم دروسا بها، ولازم شيخه في حله وترحاله[2].

المراكز التكرورية:

- **مركز أروان:** رصدت لنا الفهرسة جانبا من جوانب الحياة العلمية التي كانت شهدتها مدينة أروان، حيث تواجد بها العديد من العلماء الذين تصدروا للتدريس، كما قصدها الطلبة من توات أمثال عبد الرحمان بن عمر صاحب الفهرسة التي أعطتنا معلومات هامة عن سير التعليم في أروان من خلال ترجمته للشيوخ الذين أخذ عنهم وأجازوه. ويمكن إدراج هذه الرحلة إلى التكرور ضمن الرحلات العلمية من أجل الاستزادة من العلوم، فشيخه الرقادي هو الذي أرشده إلى إكمال دراسة الخزرجية على الشيخ أحمد بن صالح السوقي، ومن هنا راح المؤلف يجسد لنا طريقة شيخه في التدريس ويوضح لنا مدى التقدم العلمي الذي كان يعرفه التعليم في أروان. فالمخطوط أعطانا صورةً واضحةً عن العلاقات بين التكرور وبلاد المغرب فشيوخها أخذوا العلم في بلاد المغرب ورجعوا إلى

[1]– توجد نسخة من هذا المخطوط بخزانة سليماني علي، أدغا، أدرار.

[2]– فهرسة التنلاني صفحات متفرقة.

بلادهم حاملين معهم رصيداً ثقافياً وعلمياً مهماً، وذلك نلتمسه من خلال أسانيد الإجازات [1] التي أدرج فيها بعض الأسماء العلمية المغربية.

المراكز المغـــربية

- **مركز سجلماسة:**

كانت سجلماسة من أهم الحواضر العلمية التي عرفت نشاطا كبيرا خلال القرن (12هـ/18م) ، مما جعل الطلبة التواتيين يشدُّون الرحال إليها بغية الاستفادة من علمائها، ولكونها أقرب المناطق إلى بلاد توات، بالإضافة إلى طريق الحج الذي يربط سجلماسة بتوات، مما سهل الاتصال بين القطرين كما أن ركب الحاج السجلماسي الذي كان يمر بتوات ، كان يحمل معه علماء كانوا يجلسون للتدريس في محطات الاستراحة مما جعل طلبة توات يتسابقون لحضور مثل هذه المجالس للاستفادة منها. وهذا ما حصل للمؤلف مع شيخه محمد بن عبد الله الدرعي الذي أجازه في العديد من المصنفات، لكنَّ هذا الأمر لم يشف غليل المؤلف مما دعاه أن يشدَّ الرحال إلى سجلماسة من أجل الأخذ عن شيوخها[2].

❖ **مؤلَّف الدرة الفاخرة:**

من بين أهم تآليف التنلانيين نجد مخطوط «الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية» [3] من أروع ما ألف في باب التراجم بإقليم توات. لمؤلفه عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف (وقد تقدم ذكره بات التراجم). وهو موجود بخزانة عبد القادر بن وليد بقصر باعبد الله، أدرار وتوجد منه نسخة بخزانه الشار الطيب، كوسام، أدرار.

وصف المخطوط: جاء المخطوط في(26) صفحة بخط مغربي واضح يقول مؤلفه « سميت هذه المجموعة بالدرة الفاخرة قي ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الأدريسيين والعلويين ... محمد بن عبد القادر ابن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف التنلاني أصلاً المهداوي داراً أو منشئاً وكان الفراغ منه صبيحة يوم الأحد الثالث عشر صفر الأبرك عام 1250 ». وقد تضمَّن المخطوط تراجم الأعلام التنلانيين وعلماء توات بصفة عامة، ثم أتى على ذكر الصالحين والأولياء بتوات وتنجورارين. وهنا تكمن أهمية المخطوط في أنه مصدر من مصادر التأريخ لمنطقة توات وعلمائها.

❖ **مخطوط التقييد المجموع:** لقد اهتم التنلانيون بفن آخر من الفنون وهو علم تركيب المداد[4] الذي يهتم بفن الخط والوارقة، فوجد مخطوط في هذا الباب لمؤلفه الشيخ سيدي يوسف بن عبد الحفيظ بن محمد بن عبد الحميد

---

[1]– الإجازة لا تخلوا من فوائد إخبارية فهي عرض واسع للعلوم الإسلامية وكشف للكتب التي راجت واشتهرت فأصبح العلم لا يتم إلا بها، للتوسع ينظر: مولاي بلحميسي الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر، الشركة الوطنية، 1981، ص34.

[2]– فهرسة التنلاني، صفحات متفرقة.

[3]– يوجد المخطوط: بخزانة بن الوليد عبد القادر، با عبد الله ، أدرار.

[4]– علم المداد:«هو علم يبحث في تركيب أنواع المداد من السواد والحمرة والصفرة وسائر الألوان» ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ج1، ص419.

بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف التنلاني التواتي [1] سميَ هذا المخطوط بـــ: «التقييد المجموع لمن في هذا الفن مولوع». جاء المخطوط في أربع ورقات وسبع لوحات من الحجم الصغير، ومع هذا فقد تضمن معلوماتٍ قيمة ودقيقة في بابه، إحتوى المخطوط على مقدمة وثمان كيفيات في عقد الألوان يقول في مقدمتها «...يقول العبد الفقير الحقير الذليل عبيد الله تعالى يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني ... أما بعد فإنه لما منَّ الله تعالى عليَّ بتعلم الخط وشغل بالي به أردت أن أقيد لنفسي تقيداً لعقد بعض ألوان المداد مما قيده لي بعض الطلبة ومما سمعته من بعضهم من الممارسين لذلك... وسميته التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع» [2]، ويعني بـــ«الفن المولوع [3]» أي علم تركيب المداد لأن أهل توات يهمهم هذا الأمر إذ كان لديهم إسهام كبير في تأليف ونسخ المخطوطات وهذا الأمر بحاجة إلى خط واضح ومقروء وكل هذا يعتمد على نوعية المداد الذي يُكتَب به، ويبدوا أن المخطوط موجه بالدرجة الأولى إلى النساخ والمؤلفين

ويختتم المؤلف مقدمته بقوله:« والله أسأل أن يكون من العمل المتقبَّل المرفوع وأن ينفع به من قرأه، أو نظر إليه بعين الرضا خير المنفوع محتويا على تنبيهين... وتتمة وكيفيات ثمان، كل كيفية في عقد لون من الألوان» وبعد هذه المقدمة شرع المؤلف في عرض كيفياته الثمانية في صناعة الألوان تفصيلا وجاءت مقسمة على الشكل الآتي: الكيفية الأولى في عقد المداد الأسود – الكيفية الثانية في عقد لون من الحمرة– الثالثة في عقد لون آخر من الحمرة– الرابعة في عقد الزنجفور– الخامسة في عقد الزرنيخ وسحقه– السادسة في عقد الزنجار– السابعة في عقد اللون الأزرق– الثامنة في عقد الزعفران حتى يصير ملونا كالذهب .

أما الخاتمة فجاءت في شكل نصيحة توجيها لضرورة تعلُّم الخط وإتقانه قال فيها: واعلم أن الخط الحسن حكمةً ومعرفةُ هذه الألوان تعين بحول الله وقوته عليه وبه فسَّر قوله تعالى:«ومن يوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً» فليحث اللبيب على تعلمه وتعليمه ولقد أحسن القائل حيث قال[4]:

تعلَّم قوام الخط يا ذا التأدب ولازم له التعليم في كل مكتب

فإن كنت ذا مال فخطُّك زينة وإن كنت محتاجا فأقل مكسب [5]

ويتضح لنا من خلال المخطوط أهمية اعتناء أهل توات بالخط فلولا الخط المقروء لبعض المخطوطات لما تمكَّن الباحثون من رصد بعض الأحداث التاريخية لإقليم توات فالمخطوطات أهم شاهد على تاريخ ومكانة

---

[1]– جاءت ترجمته في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

[2]– المخطوط محفوظ بشكل جيد في خزانته، الشاري الطيب، كوسام– أدرار.

[3]– يعتبر يوسف بن الحفيظ أول من تنبه إلى ضرورة الاعتناء بالخط وانفرد بهذا الفن في الإقليم التواتي.

[4]– ينظر، يوسف بن عبد الحفيظ، التقييد المجموع، كله.

[5]– يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني، التقييد المجموع، ص01.

الإقليم، والكاتب هنا يحثُّ على تعلم الخط وأشار إلى مهنةِ النسخ التي كانت مكسبا لمن يمتهنها. ومما يدلُّ عليها كثرة النسَّاخ والمخطوطات المنسوخة[1].

المبحث الثاني: الرحلات عند التنلانيين .

التعريف بالرحلة:

الرحلة هي فن نثري وصفي مدوَّن في سفر بأسلوب مميز يشمل تاريخ الخروج و الوصول إلى كل مدينة، مع إعطاء لمحة وافية عنها وعن رجالها مع ذكر مراحل السفر و الأودية ومراكز ورود الماء[2]. وتتنوع الرحلة بتنوع الأغراض والأهداف نذكر منها:

- الرحلات الدينية الحجازية لأداء فريضة الحج.
- الرحلات العلمية من أجل طلب العلم[3]
- الرحلات الشخصية لغرض الفرجة.
- الرحلات الاستكشافية والغرض منها محاولة البحث عن المجهول يقوم بها المغامرون.[4]

فوائدها وأهدافها:

دعا علماء المسلمين إلى القيام بالتِّرحال والتنقل من مكان إلى آخر طلباً للعلم ومحاولة معرفة أحوال الأمم الماضية والحاضرة[5] فقد قال الله عز وجل في محكم تنـــزيله: «قُلْ سِيرُوا فِي الأرض ثُمَّ انظروا كيف كان عاقبة المكذبين »[6]. ومن بين المكاسب الهامة التي يجدها الراحل هي التعرف على الأوطان التي يزورها، واحتكاكه برجال العلم والعلماء الذين يمثِّلون تلك الأوطان [7] وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته:«الرحلة في طلب ولقاء الأساتذة مزيدة كمال في التعليم» ويضيف قائلا:«... فالرحلة لا بد منها في العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[8].

---

[1]– النسخ وتسمى الوراقة عرفها ابن خلدون في مقدمته: «وجاءت صناعة الوراقين المعانين للأنساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين »: عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط1، 2004، ص 442.

– الوراقة مهمة نسخ الكتب وتصحيحها ونشرها بين الناس والوراق يقوم بهذا الأمر وقد يكون الناسخ ينظر: يحي وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، بيروت دار المغرب الإسلامي، ط1، 1998،ص 65.

[2]– عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص 71.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص382.

[4]– جورج غريب، أدب الرحلة، دار الثقافة، بيروت، ط3،1989، ص58.

[5]– العربي القلي، الرحلة بين النبل والجشع الإنساني، مجلة الهجرة والرحلة، ع(03)، تصدر عن مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية جامعة منتوري قسنطينة، أفريل، 2010 ص 45.

[6]– سورة «الأنعام»، الآية، (02).

[7]– العربي القلي، الرحلة بين النبل والجشع، مج الهجرة والرحلة، ص46.

[8]– ابن خلدون، المقدمة، ص614.

وتكتسي الرحلة أهمية بالغة عند الجغرافيين، والمؤرخين لكونها تمد المؤرخ بمادة دسمة وحية عن المكان والزمان المراد دراسته، بحكم أنها رصد حقيقي لشاهد عيان فالرحلة عند المغاربة تعتمد الأسلوب العلمي السليم القائم على المشاهدة الواقعية والبعد عن الخيال، فهم شهود عيان للأحداث الواردة في كتبهم، إلى جانب التعمق في العديد من القضايا أي الوصف الدقيق لأبسط الأشياء [1]. بالإضافة إلى تدوين المعلومات بحسب تاريخ حدوثها فساهم أهل توات في مجال الرحلة حيث خلف العديد من العلماء رحلات لهم دونوا فيها كل ما رأوه في طريقهم وصولا إلى البلد المقصود.

- **أهم الرحلات بإقليم توات:**

تعتبر الرحلة مصدراً من مصادر التاريخ فمن خلالها يمكن رصد بعض الأحداث والوقائع التاريخية [2] ومن بين الرحلات التي عرفها الإقليم التواتي نذكر منها رحلة الإمام المغيلي مع تلميذه سيد عمر الشيخ الكنتي وقد ذكرها صاحب كتاب "الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد [3]"ورحلة عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التمنطيطي وقد سماها تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز[4] كما ترك التنلانيون العديد من الرحلات نذكر منها:

أ/ الرحلات الحجازية: نذكر منها رحلة عبد الرحمان بن عمر إلى الحج [5]وكذلك رحلة حجازية للشيخ عمر بن بن عبد الرحمان المهداوي[6].

وصف مخطوط رحلة عبد الرحمان بن عمر للحج.

في سنة(1187هـ / 1773م) دعا عبد الرحمان بن عمر أهل توات إلى الذهاب إلى الحج وبعث تلميذه أبو عبد الله الفلاني إلى تيدكلت يخبر الفلاَّنيين[7] بالاستعداد لهذه الرحلة ويبدو أنَّ عبد الرحمان بن عمر كان كان شيخ ركب الحجيج في ذلك الوقت حيث جاء في رسالته إلى قبيلة فُلاَّن: «... البررة الفلانيين الأطهار وحفظنا وإياكم من يعرف الليل والنهار ... من أراد أن يدايِنَ ربَّه فليتهيَّأ لزيارة النبي المختار وله إن شاء الله بحمد عافيته في دار القرار»[8].

---

[1]– عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 87– وأيضا حسين محمد فهيم، أدب لرحلات، عالم المعرفة الكويت، 1978، ص12.

[2]– الصديق الحاج أحمد، الرحلات العلمية ودورها في التفاعل الثقافي بين حاضرتي توات وفاس خلال ق 12، الملتقى الوطني الأول، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، ص238.

[3]– مخطوط– خزانة الحاج أحمد الكنتي: زاوية كنتة– أدرار.

[4]–قام بتحقيقها ونشرها، عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، عبد الكريم بن أحمد رحلته في طلب العلم، دار الغرب، وهران2008.

[5]– من الرحلات موجودة: بخزانة بن الوليد عبد القادر با عبد الله– تيمي– أدرار.

[6]– هذه الرحلة لم نعثر عليها وإنما ذكرها الذين ترجموا له.

[7]– لقد روى باي بلعالم عدة روايات لأصل الفلان و هي قبيلة عربية وعلمية للتوسع ينظر: محمد باي بلعالم،قبيلة فلان في الماضي والحاضر، دار هومه، الجزائر، 2004.ص12.

[8]– أبو عبد الله الفلاني، رحلته، المورقة 03.

انطلقت الرحلة يوم الجمعة 10 جمادي الآخر سنة (1188هـ/ 1774م) حيث يقول في رحلته «خرجنا من بلادنا يوم...» و لم يحدد من أين انطلقت.أمَّا مصاريف الرحلة فقد تكفَّل بها كل من عمر بن عبد الرحمان المهداوي[1] وابن عمه إدريس بن عمر [2]حيث قال: «وذلك لمـــَّا تحرَّكت لذلك همة الإخوان في الله سيد عومر بن سيدي عبد الرحمان وابن عمه سيدي إدريس»[3].

مرّ الركب على عدة قصور كان يزور من خلالها قبور أولياء الله الصالحين فزار الركب قرية الجديد وزاوية الرقادي من أجل زيارة واليها. ثم إلى قصر بوعلي لزيارة العلامة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.وكل قرية ينـــزل بها إلا ويصف ما وجده بها من ماء ونبات وكانت المحطات التي يقف بها هي الزوايا التي تتكفل بالإطعام وإيواء المسافرين.

وبعدها دخل الركب إلى تيدكلت إلى قرية تيمقطن [4] ثم إلى زاوية أبي الأنوار التنلاني [5] ثم إلى أولف الشرفاء وزاوية تقرافت [6] ثم إلى منطقة دابدر [7] فنـــزلوا بزاوية أولاد موسى ثم توجهوا إلى زاوية أبي نعامة شيخ ركب الحجيج[8] ببلاد توات ومنها رحلوا إلى عين صالح.

وبعد مسيرة طويلة نزل ركب الحجيج بفزان [9] بقرية يقال لها «آبار» وكان ذلك يوم السبت التاسع من شهر شعبان فاستقبلهم أهلها وفرحوا بهم وأخبروهم برخاء مصر وما سوف يَلْقونه بالطريق من خصب وذلك من أجل التخفيف عليهم والرفع من معنوياتهم. ووصف الشيخ عبد الرحمان جزءً من العملية التجارية بين الركب وأهل هذه القرية إذ أخرج الرجال والنساء التمر والزرع والدجاج فقدموها للركب، وأخذوا منه الحناء والكحل واللباس :«وهي من أعظم رغبتهم لقلة اللباس عندهم»[10].

وفي الطريق ورد على الركب أحمد البكاي بن الشيخ أبي نعامة قافلاً من الحج مع جماعة من أهل عين صالح[11] وأخبروهم بانخفاض سعر السوق في الحجاز بعد الغلاء الشديد وبعد مرور الركب بالعديد من قرى فزان

---

[1]– عمر بن عبد الرحمان، صاحب زاوية مهدية.

[2]– إدريس بن عمر بن عبد القادر توفي عام 1182هـ/ 1768م ينظر: عبد العزيز سيد أعمر، قطف الزهرات، ص81.

[3]– عبد الرحمان بن عمر، رحلته للحج، الورقة 01.

[4]– تيمقطن: قصر يقع إلى الشمال الشرقي لدائرة أولف يبعد عنها حوالي 16 كلم.

[5]– زاوية أبي الأنوار تسمى اليوم زاوية مولاي هيبة وهو ابن ابنة أبي الأنوار يراجع: عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص 76.

[6]– تقرافت فهي من قرى أولف.

[7]– دابدر إقليم يأتي بعد أولف ويشمل(زاوية أبي نعامة الكنتي).

وزاوية (أولاد سيدي موسى الكنتي) يراجع: عبد الرحمان بعثمان فهرسة شيوخ عبد الرحمان بن عمر، ص41.

[8]– نسبة إلى الشيخ ابن عبد الرحمان الملقب بأبي نعامة القبلاوي ولد سنة 1060هـ – 1650م أسس زاوية بأقبلي يجتمع فيها حجاج التكرور وحجاج توات للانطلاق نحو الحجاز يراجع: محمد حوتية توات والأذواد، ج1،ص 281.

[9]– فزان منطقة كبيرة جدا في صحراء ليبيا فيها قصور عظيمة، أناسها أغنياء ينظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2 ص ص 146–147.

[10]– عبد الرحمان،رحلته للحج، الورقة 09.

[11]– نفسه، الورقة 10.

ووصفها وأهلِها نزل الركب بقرية زويلة قاعدة فزان في القديم وزاروا بها سبع قبات وداخل عليهم رمضان هناك ، فاجتمع طلبتها على الشيخ عبد الرحمان بن عمر حيث قال: «... اجتمع عليَّ طلبتها مع طالب من الحمر يسئلون عن مسائل منهم من يسأل امتحانا ومنهم من يسأل مستفيداً و لم يقع لنا ذلك فيما قبلها» [1]. وقد كان بهذه الرحلة محطات علمية بين الشيخ عبد الرحمان بن عمر وبين الفقهاء الذين التقاهم في طريقه. وأثناء الرحلة تعثر الشيخ عبد الرحمان وسقط من الراحلة وأصيب لكنه واصل مسيرته إلى الحجاز

وبعد أداء مناسك الحج قَفَل الركب عائداً إلى توات عبر القاهرة التي دخلها في 12 صفر سنة (1189هـ/1775م)[2] وجال الشيخ عبد الرحمان على بعض المزارات بالقاهرة كقبر الإمام الشافعي والسيدة نفيسة رضي الله عنهم، وابن وهب وابن القاسم [3]. وأثناء إقامته بالقاهرة ضَافه أهلُها وأكرموه وأقبل عليه الفقهاء حيث قال: « وأقبل عليَّ الفقهاء واعتقدوا فيَّ ما لست له أهلاً يأتون أفواجا للدعاء ويقدمونني للصلاة إذا حضرت الصلاة»[4].

وفي يوم الأحد 29 صفر(1189/ 1775م) عام طَفْقَشٍ[5] بحساب الجُمَل توفي الشيخ عبد الرحمان بن عمر بالقاهرة. وخُتِمَت الرحلة بذكر ناسخها المحفوظ بن السيد محمد بن الحاج محمد بن الحسان حيث قال: "انتهت رحلة شيخنا وقدوتِنا ووسيلتنا إلى ربنا أبو زيد شيخ الوسيلة بن عبد الرحمان بن عمر"[6].

ب/ الرحلات العلمية:

1 – رحلة أبي حفص عمر الأكبر إلى فاس. تحتوي الرحلة المخطوطة على 13 ورقة مكتوبة الوجه والظهر عدا الورقة الأولى التي جاءت مكتوبة الظهر أما الورقة الأخيرة فجاءت مكتوبة الوجه فقط.كُتبت المخطوطة بخط مغربي متوسط الحجم، مقروء والمخطوطة موجودة بخزانة باعبد الله، أدرار.

نسبة المخطوطة لصاحبها:

هناك عدة مصادر تذكر نسبة الرِّحلة إلى عمر بن عبد القادر منها: رحلته حيث جاء في المقدمة بعد البسملة والتصلية: «قال الشيخ الإمام العالم العلامة أحيد دهره وفريد عصره الجامع بين الحقيقة والشريعة شيخُنَا أبو حفص سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر»[7].

- نسبهَا إليه تلميذه عبد الرحمان بن عمر التنلاني في فهرسة شيوخه[1].

---

[1]– هذا الأمر يدل على مكانة الشيخ عبد الرحمان بن عمر العلمية حيث كان مقصدا للفتوى، نفسه، الورقة 10.

[2]– عبد الرحمان بعثمان، فهرسة شيوخ عبد الرحمان بن عمر، ماجستير، ص42.

[3]– عبد الرحمان بن عمر، فهرسته، الورقة 18 .

[4]– نفسه الورقة 18.

[5]– عام طفقش هو عام 1189ه بحساب الجمل ط= 09. ف=80. ق= 100. ش= 1000 فيكون عام 1189ه. حيث رثاه تلميذه محمد بن المبروك البداوي بقوله: وفي عام طفقش في اليوم الموفي لطك صفر مضى أجل النضيف. يراجع: سيد أعمر عبد العزيز، المرجع السابق، 101.

[6]– عبد الرحمان بن عمر،رحلته، الصفحة الأخيرة.

[7]– عمر بن عبد القادر التنلاني، رحلته في طلب العلم، الورقة 01.

- نسبهَا إليه صاحب الدرة الفاخرة عبد القادر بن عبد الرحمان المهداوي[2].
- نسبهَا إليه صاحب جوهرة المعاني فيما ثبت لديَّ من علماء الألف الثاني[3].
- نَسبها إليه صاحب قطف الزهرات من أخبار علماء توات[4].
- نَسبها إليه صاحب الغصن الداني في ترجمة وحياة عبد الرحمان بن عمر التنلاني[5].

مقدمة صاحب الرحلة:

الحمد لله الذي شرَّف العلم وجعل له أهلا والصلاة والسلام على مَن طاب فرعاً وأصلاً وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار وبعدُ: فقد كنت في حال صِغَرِي شغوفا بالعلم مولعاً بطلبه منشغلاً بقراءة «الشيخ خليل» و« ألفية بن مالك» مقبلا على ذلك متشوقاً إلى شيخ يحلُّ لِي ألفاظهما ويوقِفُني علَى معانيهما فلم يتفق لي ذلك لكون البلد شاعرة من العلماء[6] إلى أن شرح الله صدري وتوجَّهتْ همتي للسفر لـــ: سلجماسة أو لمدينة فاس قصدا لذلك فثنيت عِنَان عزيمتي وصرفت لذلك وجهتي، وقد ورد في طلب العلم أحاديث كثيرةً عن النبي«صلى الله عليه وسلم » قال: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهَّل الله به طريقا إلى الجنة» [7]. ويواصل صلَّى الله عليه وسلم قوله: «إن الملائكة لتضع أجنِحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب» [8] إلى غير ذلك من الأحاديث. فسافرت لطلب العلم من توات لمدينة فاس سنة سبع عشرة مائة وألف (1717هـــ/ 1705م) وأقمت فيها مشتغلا بالقراءة والإقراء إلى آخر سنة تسع وعشرين ومائة وألف (1129هـــ/ 1716م) نحو ثلاث عشرة سنة وحين وصلت إليها اشتغلت فيها بالقراءة[9].

العلاقات الثقافية بين توات وفاس من خلال نص الرحلة: أهمُّ ما يمكن إبرازه من خلال هذه الرحلة هو التفاعل الثقافي بين إقليم توات وحاضرة فاس نجملها في النقاط التالية:

- حِرْص الطلبة التواتيين على التوجه إلى فاس حاضرة المغرب خلال القرن (12/11هـــ).
- كانت المدرسة المصباجية وجامع القرويين أحد المراكز العلمية التي درَّس فيها علماء توات أمثال محمد السالم البرباعي و عمر بن عبد القادر صاحب الرحلة.
- كان جامع القرويين بمثابة المرحلة النهائية التي يكمل فيها الطلبة دراستهم.
- تتلمذ عمر بن عبد القادر في القرآن على محمد السالم البرباعي التواتي بفاس.

---

[1]– عبد الرحمان بن عمر التنلاني، فهرسة شيوخه، الورقة 02.

[2]– المهداوي، الدرة الفاخرة، الورقة 04.

[3]– محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، الورقة 23.

[4]– عبد العزيز سيد أعمر، قطف الزهرات، ص83

[5]– محمد باي بلعالم، الغض الداني، ص 08.

[6]– عن شغور البلاد من العلماء أنه بعد رجوعه من فاس تهافت الطلبة على زاوية تنلان لأخذ عليه حيث درَّس معظم الفنون بها.

[7]– ابن ماجة، أبو عبد الله محمد القزويني، سنن ابن ماجه، ج1، دار إحياء الكتب العربية، ص 81.

[8] ـــ نفسه.

[9]– عمر بن عبد القادر، رحلته إلى فاس، الورقة 01.

- تتلمذ عمر بن عبد القادر في علم اللغة على محمد العربي بن مقلب الفاسي، وأحمد السقاط، ومهدي بن عبد السلام الفاسي ومحمد بن زكري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله السجلماسي[1].
- تتلمذ عمر بن عبد القادر في علم الأصول على أمحمد بن محمد ميارة الفاسي[2].
- تتلمذ عمر بن عبد القادر في علم المنطق على محمد بن أحمد المسناوي الفاسي.
- تتلمذ عمر بن عبد القادر في علم الفقه على محمد بن أحمد المسناوي ومحمد بن زكري، والحسن بن رحَّال المعداني [3] ومحمد العربي بن أحمد بردلة ومحمد المشاط الفاسي[4].
- تتلمذ عمر بن عبد القادر في علم الحديث على محمد ابن المسناوي ومحمد بن زكري وأحمد بن المبارك، وعلي الحريشي الفاسي ومحمد عبد السلام بناني الفاسي.
- تتلمذ في التفسير على يد محمد بن أحمد المسناوي والحسن بن الرحال المعداني.
- تتلمذ في علم التوقيت على يد محمد بن عيسى ومسعود جموع الفاسي وأحمد بن شنتوف المنجم.
- تظهر الرحلة شخصية عمر بن عبد القادر المحب للعلم فلم يكتف بشيخ واحد بل تعددت في الشيوخ وهذا المساهم في تكوين شخصيته العلمية.
- يمكن اعتبار هذه الرحلة من كتب التراجم والسير ففي ثناياها قام بالتراجم للعديد من العلماء وذكر طريقتهم في التدريس والبحث والمسائل الفقهية.

2 -رحلة عبد الرحمان بن عمر إلى التكرور:

أورد هذه الرحلة في فهرسة شيوخه كانت هذه الرحلة من أهم المحطات العلمية زارها خلال فترة دراسته فالتقى بعلماء أجلاَّء وأخذ عنهم ويكفي أن نرصد بعض الأحداث المهمة التي ورد ذِكْرها :

ترجمته للشيخ أحمد بن الصالح السوقي[5]: ذَكَر أنَّه التقى به في أروان خلال رحلته إلى التكرور مع شيخه فأخذ عنه الخزرجية. ثم تطرق إلى كيفية تدريسه حيث يستغرق النهار كله في الدرس ولا يستريح إلا عند القيلولة وقال إنَّه استفاد منه أكثر مما استفاد من شيخه محمد ابن أبَّ في دراسة للخزرجية.

ذكر أخلاقه: اهتم عبد الرحمان بن عمر بذكر أخلاق شيخه فأخلاق الشيخ جزءٌ كبير في تحصيل التلميذ حيث وصفه بأنَّه حَسَن التعامل مع طلبته وأهل البوادي فكان يصبِر على جفائهم ومع ذلك يُدَاعِبهم ويضاحكهم

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله السجلماسي أصلا الفاسي مولدا رحل إلى الحجاز ومات بالمدينة المنورة سنة 1141هـ، ينظر: الكتاني فهرس الفهارس، ج2/850.

[2]- ترجم له صاحب الرحلة .

[3]- ثاني شيوخ صاحب الرحلة الذين ترجم لهم.

[4]- محمد المشَّاط من أسرة عريقة بحضرة فاس من البيوت المشهورين بالحضارة وكان فيهم العلم والمروءة والصلاح. الكتاني، سلوة الأنفاس ومحاذاة الأكياس، ج2 ،ص 229.

[5]- قال عنه عبد الرحمان بن عمر: «شيخنا العالم الصالح الحافظ المشارك أبو العباس أحمد بن صالح السوقي التكروري كان عالما متواضعا حليما». ينظر: فهرسة شيوخه ص43.

وأيضا: عبد الرحمان بعثمان، فهرسة شيوخ عبد الرحمان بن عمر، مذكرة ماجستير، ص ص 143-144.

ويباحثهم. إذ كان يعامل الشيخ عبد الرحمان معاملةً خاصةً لمـــا رأى فيه من حسن أخلاقا[1] وفي الأخير قام الشيخ السوقي بإجازة عبد الرحمان بن عمر في جميع مروياته [2].

ذكره للشيخ طالبن بن السيد الوافي بن طالبن[3]:

يقول عبد الرحمان بن عمر: "ومنهم شيخنا الفقيه المشارك سيدي طالبن بن القاضي السيد الوافي بن طالبن كان حافظاً لكتاب الله فقيهاً مشاركاً في عدة فنون لقيتُه ببلدة مدينة أروان" ، فقرأ عليه أوائل بعض الكتب فأجازه الشيخ طالبن بن الوافي إجازة طويلة مذكورة في الفهرسة[4].

ذكره للشيخ أبي العباس أحمد بن الحاج الأمين القبلي الغلاوي[5]:

أفرد لهذا الشيخ ترجمة خاصة فقال:"ومنهم شيخنا الإمام العالم العلامة الفقيه المشارك أبو العباس بن الحاج الأمين القبلي ثم الغلاوي كان رحمه الله عالماً عاملاً فاضلاً جواداً شجاعاً مهاباً متواضعاً " أخذ في بلاده على الفقيه السيد المصطفى بن بيان الغلاوي. وأخذ القراء عن الأستاذ التنوجوي [6] من تلاميذ الإمام المشهور سيدي أحمد لحبيب اللمطي وفي الأخير طلب من أبي العباس أن يـــُجيزه فأجازه .

أوجه التفاعل الثقافي بين توات والتكرور من خلال الرحلة : يمكن أن نرصد مظاهراً للتفاعل الثقافي بين توات والتكرور من خلال نص الرحلة في النقاط التالية:

- كانت بلاد توات أهم طرق الحجيج من أهل السودان حيث يقول عبد الرحمان التنلاني عندما طلب الإجارة من شيخه أبي العباس الغلاوي: "ولما سمعت به قادماً مع الركب لبلاد تدكلت رحلت للقائه استَجيزه والتَمِس منه ومن بركته ".
- تظهر شخصية عبد الرحمان بن عمر المحب للعلم والعلماء فكان لا يفوت الفرصة أيْنما وُجد.
- رَصَدتْ لنا الرحلة طريقة التدريس في بلاد السودان بالإضافة إلى المؤلفات التي تُدرَّس فهي متشابهة مع بلاد توات والمغرب الأقصى.
- الرحلة ترجمت لنا لمجموعة من علماء السودان خلال القرن (12/11هـــ).
- تظهر لنا الرحلة العلاقاتِ المذهبية والفكرية لبلاد السودان وبلاد توات فكلاهما على المذهب المالكي.

3ـــ رحلة عبد الرحمان بن إدريس إلى الجزائر العاصمة:

---

[1]– عبد الرحمان بن عمر، فهرسته، ص43.

[2]– محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص ص 35-36.

[3]– طالبن الملقب بسنبير(وتعني العربي الكبير بالسودانية)

قاضي أروان وكان من كبار الفقهاء توفي عام 1180هـــ ينظر: البرتلي،فتح الشكور، ص 102.

[4]– عبد الرحمان بن عمر، فهرسته، ص48.

[5]– أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي التواتي شيخ ركب بلاد التكرور حتى يصل إلى توات ينظر، البرتلي، فتح الشكور، ص48-59-50.

[6]– أحمد بن محمد التنوجوي عالما نحويا قارئا: ينظر البرتلي، فتح الشكور، ص59.

من بين الرِّحلات التي وقفنا عليها للتنلانيين رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس بن عمر التنلاني، فذكر الشيخ عنوان الرحلة في مقدمة المخطوط فبعد حَمْدِ الله والتصلية على رسوله ذكر المحطَّات التي مرَّ بها والقبائل التي تحاور معها في طريقه، وصولاً إلى الجزائر ومن هنا يمكن أن نضَع لها عنواناً مناسباً وهو: "رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التنلاني إلى الجزائر العاصمة سنة 1231هـ/1816م".

وصف مخطوط الرحلة إلى العاصمة:

مخطوط الرحلة موجود بخزانة بن الوليد عبد القادر بقصر باعبد الله أدرار، وهي منقولة من نسخة المؤلِّف، خطُّها مغربيٌّ واضح عدد أوراقها 6 ورقات، أوراقها جيدة ولا أثر للتآكل عليها ما عدا الصفحةُ الأخيرة فهي غير واضحة كغيرها، بها بعض الكلمات والأحرف مشطوبة ومكتوبة في الهامش.

التعريف بالرحلة: بعد المقدمة شرَع المؤلف في ذكر خروجه من زاوية تنلان فقال [1]: « وبعد فلمَّا قدَّر الله سفري لمحروسة ثغرِ الجزائر وكان سفري لها في أول شهر شعبان المنير أحد شهور إحدى وثلاثين ومائتين وألف، خرجت من بلدتنا زاوية تنلان، ثالث الشهر المذكور وفي ثامنه دخلت بلدة تيميمون [2] قاعدة قرى / قرارة [3]/ وأقمت فيها تسعة أيام».

وفي يوم 18 شعبان قصد مدينة أمزاب (سهل مزاب وقاعدته مدينة غرداية) فسجَّل فيها مناقشته لعلماء بني مزاب ورأيه فيهم فقال: "وخرجت في العاشر وهو الثامن عشر منه قاصدا غرداية وهي حوالي بني امزاب ورافقيني شعانبة متليلي [4]البرازكة و نعم الرفقة هم مع حرارتهم م رأيتُ فيهم من الخدمة والطاعة والشفقة ما لا أظنُّه ولا يخطر ببالي كأني بينهم مثل الأمير في رعيته".

وفي طريقه دخل لكليع ثم وصل متليلي [5] يوم الاثنين الثالث من رمضان، وفي التاسع من رمضان بعد الظهر وصل أول قصور مزاب وهو العطف [6] ثم دخل القصور الأخرى واجتمع مع فقهائها، واختار مكانة إقامته في قصر أتليك (مليكة العليا) بحكم وجود المالكية بها وخرج من غرداية يوم الثامن عشر رمضان مع عرب النوائل حتى دخل مناطقهم وأشاد بصفاتهم حيث قال: "وخرجت منها قبل طلوع الفجر بكثير يوم التاسع وهو الثامن عشر من رمضان مع عرب النوائل [7] وهم أكثر قبائل العرب رجالا وماشية وخيلاً ومساكنهم ما بين مدينة قسنطينة[8] والجزائر وبوسعادة[1] .وواد الجريد أمزاب و ورقلة ولقرارة ونِعْم العرب هم كثَّر الله من عرب المسلمين

---

[1]– زاوية تنلان تقع في الشمال الشرقي لمدينة أدرار التي أسسها أحمد بن يوسف التنلاني.

[2]– كتبت في النسخة"تمون" وهي تيميمون تابعة للتقسيم الإداري لولاية أدرار.

[3]– جاء في النسخة: "قرارة" أي قورارة إحدى الأقاليم الثلاث المشكلة لتوات.

[4]– شعانبة متليلي ويسمون البرازقة وهم أكبر جماعات الشعانبة.

يراجع: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 164.

[5]– إحدى قرى مدينة غرداية .

[6]– إحدى قرى مدينة ميزاب.

[7]– أي عرب بني نايل ويقطنون ولاية الجلفة اليوم.

[8]– في الأصل جاءت بدون (تاء) قسنطين.

المسلمين أمثالهم..." وبعد يومين خرج إلى مدينة التطري [2] مع رجال من بني امزاب فقال: "وهي أول عمالة صاحب الجزائر" وأقام بها يومين وبعدها دخل إلى البُلَيدة[3] فوصفها بقوله: "حازت جميعُ المحاسن وهي عروس ذلك الإقليم"، وبعدها دخل متيج [4] (سهل متيجة) الذي منه سمع هدير البحر وتلاطم أمواجه إلى أن وصلوا إلى الجزائر العاصمة فنـــزل بفندق الجزائر [5] بباب عزُّوز فاكترى فيه بيتاً وأقام فيه ذلك اليوم وفي غدِهِ يوم الخميس اجتمع الشيخ بقاضي المالكية وهو الحَسَنُ بن قاضي المالكية الحاج مصطفى الجزائري أصلاً وداراً. ومن هنا تبدأ أحداث الرحلة في مدينة الجزائر التي أقام بها سبعة وثلاثين يوما.

- **الحملة الانجليزية – الهولندية على مدينة الجزائر شوال 1231/هـــ أوت 1816م:**

ذكر الشيخ عبد الرحمان بن إدريس في رحلته الهجوم الإنجليزي على مدينة الجزائر الذي وافق يوم الأحد من شهر أوت حيث نزلت سفن العدو الإنجليزي بقيادة (اللورد إكسموت الإنجليزي) حيث قال: "نزلت سفن عدو الله بدر لنجليز [6] قرب الجزائر في البحر وهي أربعون سفينة وكل سفينةٍ فيها مائة مدفع كبير وكل مدفع عمارته قنطار بارود ونزلوا بعيدا من المدينة بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر وأقاموا يومهم ذاك "

- **التظاهر بالصلح:**

وفي ضحى صبيحة الثلاثاء بدَّلوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بعد أن كانت سوداء، والأعلام البيض هي أعلام الصلح والعافية بخلاف السود فهي أعلام الحرب هذا هو اصطلاحهم رسالة قائد الأسطول : اللورد إكسموت إلى الداي عمر: وكتب كتابا مضمونه اعلم إني جئتك ناصحا ومصلحا أنظر هذا سلطان المغرب أحسن منك نسبا وأقوى مالا وأعظم جندا وأكثر بلادا.

كان مع جميع النصارى صلحا وعافية وهو على دينه، وهم على أديانهم، وأنظر صاحب تونس [7] وهو ضدك وأخوك صالحا مع جميع النصارى وصاحب طرابلس كذلك كل واحد على دينه وكلهم صلحا وعافية وما فيهم من عادى النصارى وكأن الجهاد ما فرض إلا عليك.

---

[1]– جاءت(بسعادة) وهي إحدى ولايات الشرق الجزائري.

[2]– بايلك التيطري عاصمته المدية.

[3]– من المدن التي أسسها الأندلسيون في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي.

[4]– متيجة أرض فلاحية خصبة و تضم اليوم بلديات قريبة من العاصمة .

[5]– يشير هنا إلى انتشار ظاهرة الفنادق و النزل داخل الجزائر العاصمة مما يدل على الحركة الاقتصادية الداخلية.

[6]– هذا ما جاء في الرحلة والظاهر أن الذي يحمل هذا الاسم هو الأميرال بدرو نافاروا الإسباني الذي شن الهجمات على السواحل الجزائرية 1508 ولعله بقي في الذاكرة الشعبية أن كل من يهاجم الجزائر يسمى (بدر) ينظر ثلاث رحلات مغاربية، تح مصطفى ضيف، محفوظ بوكراع، الجزائر، لان ،2009، ص231والمقصود هنا اللورد اكسموت وإسمه «إدوارد بيلاو» ولد يوم 19 أفريل 1757 بإنجلترا وتوفي عام 1833. ينضر: وليم سبنسر،لجزائر في عهد رياس البحر، تر عبد القادر زبادية، ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب.ص160.

[7]– حاكم أيالة تونس وهو محمود بن محمد تولى الحكم سنة(1814 إلى 1824م). ينظر: أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية ج2، تح، محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1978، ص385.

ولو كنت عاملا لاقتديت بمثلك ولا تظن إني مثل النصارى الذين تعرفهم وكنت تلاعبهم مثل افرانصيص[1] وإصبانيول[2] وأفلاميك[3] وجنويز[4]....بل أنا بدر صاحب افلنكطر [5] عندي ألفي قلاع جئتك منها بأربعين»

ثم حذره من معاملة الأسرى المسيحيين معاملة العبيد وأن ذلك لا يرتضيه عاقل، ثم طلب منه الصلح وإن أبى فالحرب وأمره أن يستشير كبراء دولته ورؤساء الجند ومدة الرد ساعتان. وعندما بلغ الكتاب إلى الداي عمر باشا وجد أكابر البلد مفترقين في الجنات لأن هذه الواقعة وقعت في فصل الخريف [6] وعادة البلد إن كل من عنده جنات يكون سكناه فيه ذلك الوقت.

- **تأخر الجواب وحرق السفن الراسية بالمرسى:**

تعطل الجواب عن النصارى ودخل بسفنه لداخل مرسى الجزائر وأراد الذين هناك يضربونه بالمدافع فخلف لهم القائد عليهم يسمى (علي قائد المرسى) لو مد أحدكم يده للضرب لقطعتها له قيل أن النصراني رشاه على ذلك بخمسين قنطار وقيل بخمسة وعشرين وقيل بخمسة عشر قلما استقر النصراني بوسط المرسى كان أول ما بدا به أسقط الماء الداخل لشرب البلد وما يتطهرون به برمي ساقية الماء بثلاثة مدافع[7] وبعد ذلك قام بقصف المدينة المدينة بالبارود، وعدد الكور التي رمى بها إحدى وأربعين ألف كورة على ما أخبر به الشاوش الذي عقد الصلح مع صاحب الجزائر. وفي الأخير قام بإحراق السفن التي كانت متواجدة بالمرسى وهي أربعة عشرة سفينة.

- **الخسائر التي أحدثتها الحملة:**[8]

وحرق السفن وهو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء، وذلك لشدة القصف... يا لها من ليلة شابت فيها الولدان وسقطت فيها الحوامل واشتد فيها البكاء و العويل وعظم فيها الكرب والهم والغم ويبدو أن الشيخ عبد الرحمان بن إدريس قد هاله الأمر وترك في نفسه بصمات الحزن، فأسهب في وصف تلك الفاجعة المؤلمة، و لم يعرف بماذا يشبهها.

- **الصلح وشروطه:**

- وعلم صاحب الجزائر أنه لا طاقة له به فطلب منه العافية فأجابه إليها على شرط أنه يرد إليه كل أسير عنه وهم محسوبين لديه في زمامه ثلاثة عشر مائة أسير، وإثنين وثلاثين أسير منها من قبيلة كذا وكذا...

---

[1]– يقصد بهم الفرنسيين.

[2]– يقصد بهم الإسبان.

[3]– يقصد بهم الهولانديين.

[4]– حكام جنوة وهي مدينة إيطالية.

[5]– يقصد إنجلترا.

[6]– حسب التوقيت المحلي المعتمد في شمال إفريقية بما يسمى الأشهر الفلاحية يبدأ فيه الخريف يوم 30 أوت.

[7]– يبين هذا الأمر إحدى أسباب هزيمة الجزائر، وهي خيانة القائد "علي" الذي منع الرماة من حماية المدينة وهذا بسبب الرشوة التي تلقاها من قبل العدو .

[8]– لقد تحدث عن الخسائر التي خلفتها الحملة عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، بيروت، دار الثقافة، 1980، ص318.

- إن النصارى خذلهم الله كانوا العام قبله فدوا أولادهم من صاحب الجزائر وعددهم إحدى عشر مائة أسير كل أسير بألف ريال، فشرط عليه أن يرد إليه جميع ما وقع به الفدي.

- إن يطلق لهم صاحب الجزائر وهران وعنابة يكيلون منها الزرع ولا يدخل الأتراك بين النصارى، وأرباب الزرع من أهل الفلاحة.

وفي الأخير أجاب حاكم الجزائر إلى كل الشروط مقابل رفع الحصار على الجزائر.

➢ **الخراب الذي أُلْحِقَ بالمدينة:**

- شرع صاحب الرحلة يعدد الخسائر التي أحدثتها الحملة الانجليزية على الجزائر. فمن بين الخسائر المادية تهديم حوالي 500 دار وتحطيم أسوار المرسى التي هي الحصن الحصين للجزائر.

- أما برج الفنار الذي أعطاه بعدا وطنيا وإقليميا حيث قال «وهذا البرج مما يقع افتخار الجزائر به على سائر مراسي الإسلام فإنه لا يوجد له نظير وهو العدة الواقية في تحصين الجزائر وحفظها »[1]. وهذا البرج قد لحقه الدمار وعظمت عليه حسرة الإسلام.

- أما الجامع الكبير للمالكية قد هدم نهائيا و لم يبق إلا معالمه، ومات من المسلمين ثلاثة مائة وإحدى وأربعين رجلا وسبعة وأربعين أكلهم البارود والكور.[2]

كما شاهد أشلاء الرجال بعد انتهاء القصف رأس الرجل وكتف آخر وكرش آخر بمصارينه، وكل ساعة يجدون مفصل آخر «الله تعالى يرحم جميعهم».

➢ **أوضاع الجزائر بعد حملة اكسموت:**

ذكر صاحب الرحلة مجموعة من المشاهد التي رآها بعد انتهاء الحملة ويمكن أن نجملها في النقاط التالية:

- طلب الداي عمر من باي وهران أن يرسل له سفينة ولما وصلته وجهها للسلطان العثماني محمود الثاني[3] الذي الذي كاتبه بما جرى بينه وبين النصارى، وطلب منه أن يبعث له بمراكب وهذا الآخر يدل على تحطم الأسطول الجزائري.

- عمل الداي على إصلاح ميناء مدينة الجزائر، فحمل الحطب لطبخ الجير وذلك بمساعدة قبائل الجزائر وشرع صاحب الرحلة في ذكر التفاصيل في كيفية تقسيم العمل بين الأفراد.

- قام الداي بتكليف مجموعة خاصة من المعلمين لبناء (المسجد الكبير المنسوب للمالكية) وقبة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، وقبة مسجد الحنفية الذي عند سوق الحوت.

- مصير قائد المرسى القبطان علي الذي قتله الداي ونكل به شر تنكيل، وجعله عبرة لغيره.

---

[1]– عبد الرحمان بن إدريس، الرحلة، ص08.

[2]– الكور وتسمى القنابل حيث أورد عبد الرحمان الجيلالي إن الكرات الحديدية بلغت نصف مليون، أما القنابل النارية فبلغت 980 قنبلة للتوسع. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص324.

[3]– هو ابن السلطان عبد الحميد الأول ولد فيه رمضان سنة 1199هـ/ 1785م. ينظر فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تح إحسان حقي ،بيروت دار النفائس ، ط2، 2003، ص398.

- تعطل مصالح أهالي الجزائر فلا بيع ولا شراء، وعامة أهلها في حالة رعب وقلة أمان وكثرة السرقات وقطّاع الطرق الذين يعترضون طريق القوافل في مناطق الجرائد وقسنطينة وتلمسان وكثرت الشائعات القائلة برجوع النصراني إلى المدينة من جديد .

- وصف الداي عمر[1] بالشجاع ولو أن أحد يموت فبأجله المقدر له ما عاش ذلك اليوم، لكنه ضحى بكل ما لديه وخرج ينادي بأعلى صوته «الجهاد يا أمة محمد».

- دخول النصارى لمدينة الجزائر (ينتظرون أخذ الأسرى فعاثوا فيها فسادا، ويفتخرون بما قدموه ويقولون هذا الموضع هدمه أهل سفينة كذا، وذلك نكاية في أهالي الجزائر، والعرب والأتراك يتفرجون).

- وجه قائد النصارى إنذار شديد اللهجة للداي عمر وعدد له مفاخره واعتزازه بنفسه، وتوعده بأنه يقهر كل من وقف في طريقه،وذكره بأن الحرب خداع وعليه أن يكون من أهل المكر والخداع حتى يحرز النصر.

- بين صاحب الرحلة إحدى أسباب الضعف داخل الدولة العثمانية وتكالب الإنجليز عليها حيث قال«... حتى أن سيدك وسلطانك صاحب إسطنبول قاتلته عام أول فما مضت ثلاث ساعات حتى أذعن وأطاع وأقر بالغلبة».

وفي الأخير ختم رحلته بقوله: «وهذا تحقيق ما وقع بين صاحب الجزائر الباشا عمر وبين بدر الإنجليز طاغية إنجلترا دمره الله وقطع دابره».

- **أهم ما يستنتج من الرحلة:**

- تعد هذه الرحلة إحدى المصادر التاريخية للحملة الانجليزية.

- يعتبر صاحب الرحلة شاهد عيان ومصدر موثوق وذلك من قوله: «فإني ما كتبت ولا نكتب إلا ما شاهدته بعيني أو أخبرني به ثقة».

- تثبت صاحب الرحلة من الأخبار التي ينقلها، وذلك من خلال العبارات التي يوردها حيث يقول: «ومدة ذلك على التحقيق أحد عشر ساعة، غير سدس.وبقائه مستيقظا ويورد الأحداث بالساعة والدقيقة ومن ذلك ما قاله«فلما كان بعد صلاة الصبح»، وعندها لا يتأكد من صحة المعلومة يورد جميع الروايات التي أخبر بها.

- إن بعض الأحداث كان ينقلها عن طريق الثقات كقاضي المالكية سيدي الحسن، وشيخ القراء بالجزائر وهو عبد السلام الجبلي المغربي. وفي الأخير ذكر «بعضه مشاهدة وبعضه بطريق الخبر والسلام».

- بعد تتبعنا لهذه الرحلة تبين لنا أن الطريق الذي سلكه عبد الرحمان بن إدريس هو نفسه الطريق المؤدي اليوم إلى الجزائر ونفس المحطات التي نزل بها، وهي نفسها اليوم.

---

[1]– عمر بن محمد باشا: أصله من جزيرة متلان وكان لا يتكلم اللغة العربية وبعد عشر سنوات من وصوله للجزائر، بلغ رتبة آغا وتقلد منصب حكومة البلاد(28 ربيع الثاني 1230هـ) / 10 أفريل 1815م ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق،ج3 ص318 وأيضا: أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب إشراف الجزائر، تح أحمد توفيق المدني،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، ط1، 1974، ص128.

- أبرز لنا صاحب الرحلة بعد مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر خلال العهد العثماني وإن كانت خفية ومثال على ذلك قبائل بني ميزاب التي كانت تمتهن التجارة في الجزائر العاصمة حيث قال«وعندهم من صنوف الأموال مالا يوجد عند غيرهم من أهل الصحراء وتلك همتهم ودينهم»[1].

- تعتبر رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس للجزائر إبان فترة الحكم العثماني من أهم المراحل في حياته العلمية فكان لها الأثر البالغ في تكوينه العلمي بما احتوته من معطيات للراحة والأحداث والنقاشات والحوارات العلمية التي دارت بينه وبين علماء البلدان التي مر بها مثل (بني ميزاب) وتلك القبائل التي أكرمته ونزل ضيفا عليها لأيام، كما أن هذه الرحلة قد أظهرت لنا تلك المكانة العلمية التي امتاز بها بين العلماء الذين التقى بهم، فما من محطة نزل بها ألا ولقي الحفاوة من أناسها.

- والمتتبع لهذه الرحلة يجد أن أحداثها كانت متسلسلة تسلسلا دقيقا في مرحله الذهاب. و لم يذكر لنا شيئا في طريق العودة.

- من خلال هذه المرحلة كنت أعتقد أن أهل توات لم تكن لهم أي صلة أو علاقة تربطهم بمدينة الجزائر ومركز الحكم أنذاك لكن تبين لي العكس فها هو عبد الرحمان إدريس التنلاني شد الرحال إليها لكي يجتمع مع قاضي المالكية لكن للأسف لم يدون لنا ما وقع بينه وبين قاضي المالكية آنذاك ومن خلال كلامه في هذه الرحلة يبدو أن قاضي المالكية كان يزوده ببعض المعلومات التي كانت تجرى في داخل القصر.

[1]– عبد الرحمان بن إدريس، رحلته، صفحات متفرقة.

الخاتمة

عرفت منطقة توات انتعاشاً من الناحية الأدبية والفكرية ابتداءً من القرن التاسع الهجري، فاعتنت بالحركة العلمية والأدبية وعملت على إنمائها وتطورها، وما بُنيَ من زوايا ومساجد يشهد بالفضل لأولئك العلماء الأجلاء الذين صرفوا وقتهم وقضوا عمرهم في البحث والدراسة، وليس أدل على ذلك من قيمة تلك المؤلفات وأهميتها البالغة حيث ضمَّت حصيلة علومهم وخبراتهم وتجاربهم في ميادين الثقافة والمعرفة، فنشطت حركة العلم والتعليم فحرص النَّاس على انشغالهم بالعلم وطلبهم للمعرفة وصار منهم العلماء والقضاة الذين اهتموا بجمع وتأليف الكتب التي كانت تبحث في العديد من المجالات، خصوصاً علوم اللغة لأن اللغة هي المادة الأساسية في العملية التعليمية، فالدرس اللغوي من نحو وصرف وبلاغة وعروض له حضور قويٌّ بالمنطقة خلال القرن الثاني عشر هجري وما تركه علماء تنلان خير دليل على ذلك .

ومن خلال تناولنا للمساهمة العلمية للتنلانيين يظهر لنا تأثيرهم في إقليم توات خلال القرن الثاني عشر الهجري، وبالخصوص في المجال العلمي فقد خلَّفوا لنا العديد من المؤلفات في مختلف العلوم كما شمل تأثيرهم الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، والمتتبع لفتاويهم الشرعية واجتهاداتهم الفقهية يقف على مدى عظمة مساهماتهم الدينية والاجتماعية، فقد كان أهل توات يقصدونهم في أمور عديدة منها: الزواج والطلاق ومشاكل المياه والفقارات والأراضي .

وعلماء تنلان نجدهم كثيري التدريس والوعظ في كل مكان حلُّوا فيه، فقد عملوا على نشر المذهب المالكي في المناطق التي زاروها وبالتالي يصعب حصر تلاميذهم ومؤلفاتهم التي ألّفوها، فقد درَّسوا بتوات وأقاموا بها زوايا للعلم كما تتلمذ بعضهم بمراكز العلم بفاس وسجلماسة وبلاد السودان الغربي، وكان لهم تلاميذ وأتباع بأروان وحاضرة المبروك في بلاد التكرور.

وأهم ميزة انفرد بها العلماء التنلانيون خلال القرن الثاني عشر الهجري أنهم كانوا موسوعيين فنجدهم متضلعين في علوم اللغة والفقه والحديث مع نبوغهم في فنون الأدب والرحلات والتاريخ. ومن هنا نقول إن الزوايا التنلانية تعتبر نموذجاً للدعوة والإرشاد والفتوى بإفريقيا والمغرب الإسلامي في ذالك الوقت، وكل هذا بفضل علمائها الذين كان لهم دورٌ كبيرٌ نذكر منهم: عمر بن عبد القادر الذي جعل من الزاوية التنلانية مركزاً علمياً خلال القرن الثاني عشر الهجري حيث تخرج على يديه العديد من الأعلام الذين استنارت بنور علومهم سماء توات. أما العالم الأكثر شهرة صاحب التآليف الكثيرة فهو عبد الرحمان بن عمر التنلاني مصباح العلوم بتوات قال عنه صاحب الدرة الفاخرة: « عالم العصر ... كان صالحا مجتهدا نوازليا عجيبا فاضلا في فنون كثيرة وتخرج عنه الأعيان»[1].

أما المؤلفات التي تركها هؤلاء الأعلام فتظهر أهميتها في كونها المرجع الأساسي داخل الزوايا التواتية في ذلك الوقت وإذا نظرنا للعلوم التي اشتغلوا بها نجد أن اهتمامهم انصب حول العلوم الشرعية بالإضافة إلى علم التاريخ والرحلات، ففي مؤلفات التنلانيين العديد من الإشارات التاريخية الهامة التي تفيد الباحث خاصة أن المنطقة

[1] – عبد القادر المهداوي، الدرة الفاخرة، الورقة 06/05.

التي عاش فيها هؤلاء لا يُعرف الشيء الكثير عن تاريخها، ويعتبر كتاب "التودد" لأحمد بن يوسف التنلاني من أهم الكتب التاريخية حول المنطقة وهو بدون شك يمد الباحث بمعلومات قيّمة عن الزاوية التنلانية وتاريخ نشأتها وتطورها، كما خصَّص فصلاً للحديث عن القبائل التي نزحت للمنطقة، وبالنظر إلى مؤلفاتهم فإنَّ اللغة التي يستعملونه سليمة ذات أسلوب سهل ممتنع، وشعرهم لا تكلُّف فيه وما يميزه أنه عبارة عن مقطوعات وقصائد صغيرة ذات أغرض مختلفة حيث جاء نظمها في مناسبات مختلفة.

يعتبر أعلام تنلان ظاهرة ثقافية من حيث الاهتمام بالتاريخ وفن الرحلات حيث ترك لنا عبد الرحمان بن عمر العديد من الرحْلات منها رحلته للحج إذ تضمّنت العديد من الأحداث والشواهد التاريخية، بالإضافة إلى رحلة عمر بن عبد القادر التنلاني إلى فاس لطلب العلم حيث سجَّل فيها جزءً من الحركة العلمية بالمغرب الأقصى خلال القرن الثاني عشر الهجري، كما ترك عبد الرحمان بن إدريس التنلاني رحلة إلى الجزائر العاصمة تضمّنت معلومات تاريخية مهمة عن الحملة الإنجليزية على الجزائر المعروفة "بحملة إكسموت" وهي تعتبر من المصادر التاريخية لتاريخ الجزائر الحديث.

ورغم كل هذا تبقى حياة هؤلاء الأعلام مشوبةً ببعض الغموض الذي لا يمكنه أن ينجلي إلا بتظافر الجهود وذلك بالعمل على جمع وتحقيق التراث التواتي من كل الخزائن والمكتبات العالمية بغية توضيح الرؤية حول علماء توات الذين أوقفوا حياتهم لنشر الإسلام والإصلاح الاجتماعي ، فمعظم آثار هؤلاء تعتبر الآن في حكم المفقود والبحث عن آثار هؤلاء غير ميسر لشخص يستعمل إمكاناته الخاصة الضئيلة نظراً لاتساع الرقعة الجغرافية لتحركات هؤلاء الأعلام، وبالتالي صعوبة المنطقة من الناحية المناخية فهي صحارٍ وقفار وعرة، ومن هنا ادعو الباحثين والمهتمين بالتراث لدراسة مؤلفات هؤلاء الأعلام دراسة جادة وتكوين موسوعة تاريخية تهتم بسيَّرهم على شاكلة موسوعة "الأعلام" للزركلي، وموسوعة "أعلام المغرب" لمحمد حجي وغيرها كثير.

وبالرغم من أنّ إقليم توات لم يشكّل وحدةً سياسية ثابتةً إلاَّ أن علماء المنطقة عرفوا كيف ينظِّمون ويسيرون هذا المجتمع بتشكيل ما يعرف بحكم الجماعة، فكان أمر المجتمع موكَّل إلى القضاة الذين يسهرون على راحة واستقرار مجتمعهم. أما من الناحية الاجتماعية فإنَّ الإقليم عرف تنوعاً من ناحية الفئات الاجتماعية من بربر وعرب وزنوج كل واحد منهم له أسبابه الخاصة للتواجد بهذا الإقليم، وكل طبقة كان لها دورها الخاص في هذا المجتمع الإسلامي، فالإسلام غرس في نفوس أهله المحبة والتعاطف التي لمسها كل من زار الإقليم أو احتك بسكَّانه وهذا بشهادة الأوربيين الذين زاروا المنطقة.

ومن خلال عرضنا للإطار التاريخي والجغرافي والحضاري للإقليم والتحدث عن سكان المنطقة وبعض عاداتهم وتقاليدهم اتضح لنا أن هذا الإقليم ارتبط تاريخياً بحواضر المغرب الإسلامي وبلاد السودان بواسطة التجارة التي من خلالها نسجوا علاقات ثقافية وحضارية ومدُّوا جسوراً للتواصل بين شمال وجنوب القارة الإفريقية، وقد أثبتت الأبحاث والدراسات التاريخية أن العلاقة بين شمال القارة وجنوبها كانت ثابتةً ومتطورةً عبر الأجيال وكنتيجة للامتزاج الاجتماعي عن طريق المصاهرة جرت دماء الشمال في الجنوب ونتج عن تلك التطورات أجيال من

الصعب تصنيفها بأنها تنتمي إلى الشمال أو الجنوب وكما يقول بوقيل: «إنَّ دماء هؤلاء الذين قدموا من الصحراء من الأراضي الممتدة إلى شمالها ما زالت تجري في عروق بعض شعوب السودان وكذلك فإن دماء السودانيين قد تركت آثارها في بعض أهل الواحات في الصحراء وفي أهل المدن في المغرب»[1].

ومن هنا يظهر لنا أن منطقة توات كان لها دوراً بارزاً في نشر الإسلام بالقارة الإفريقية وهذا من خلال الزوايا المنتشرة بها ومن خلال علمائها الأجلاء.

[1]– أبو سعد عبد السلام، العلاقات الثقافية بين الشعوب الأفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها، ملتقى التواصل الثقافي ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس، 1999، ص ص (17-18).

الملاحق

ملحق الخرائط:.....

1

[1] الصديق الحاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص170.

1

[1] الصديق الحاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص174.

ملحق الخرائط:.....

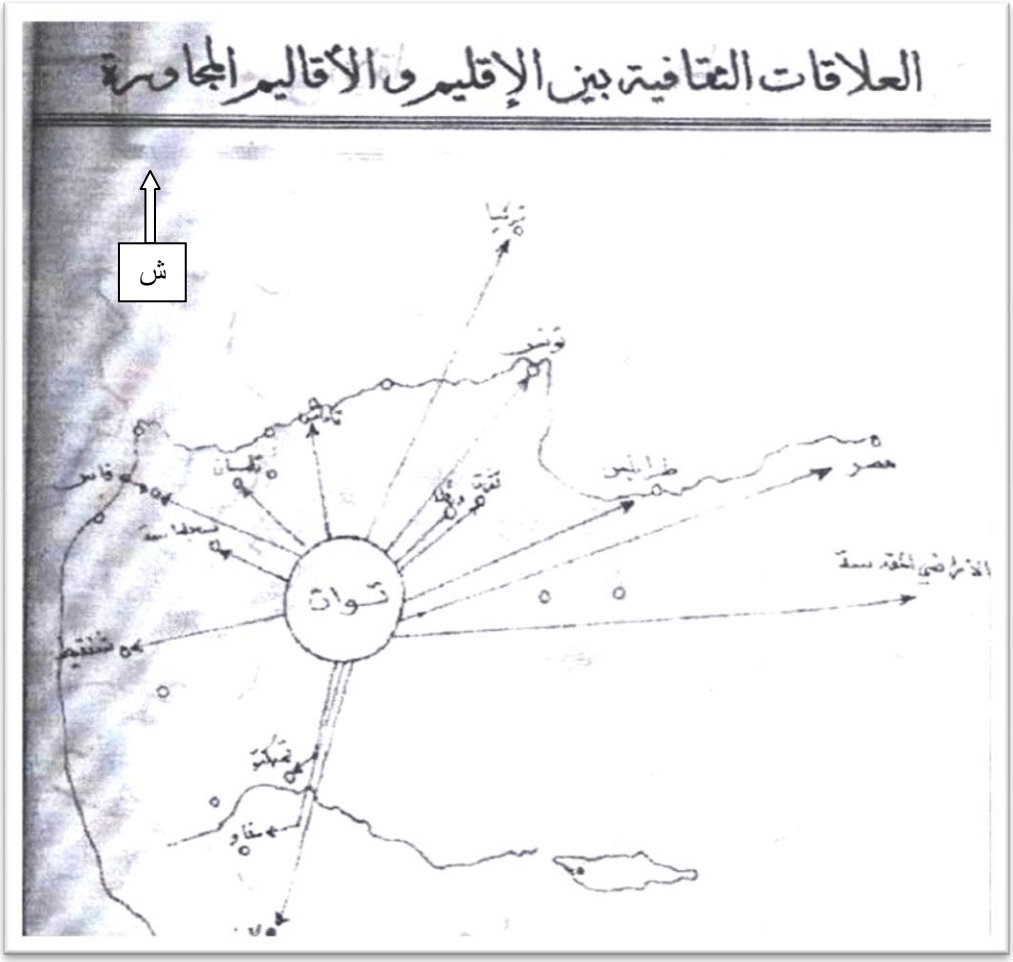

1

[1] الصديق الحاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص168.

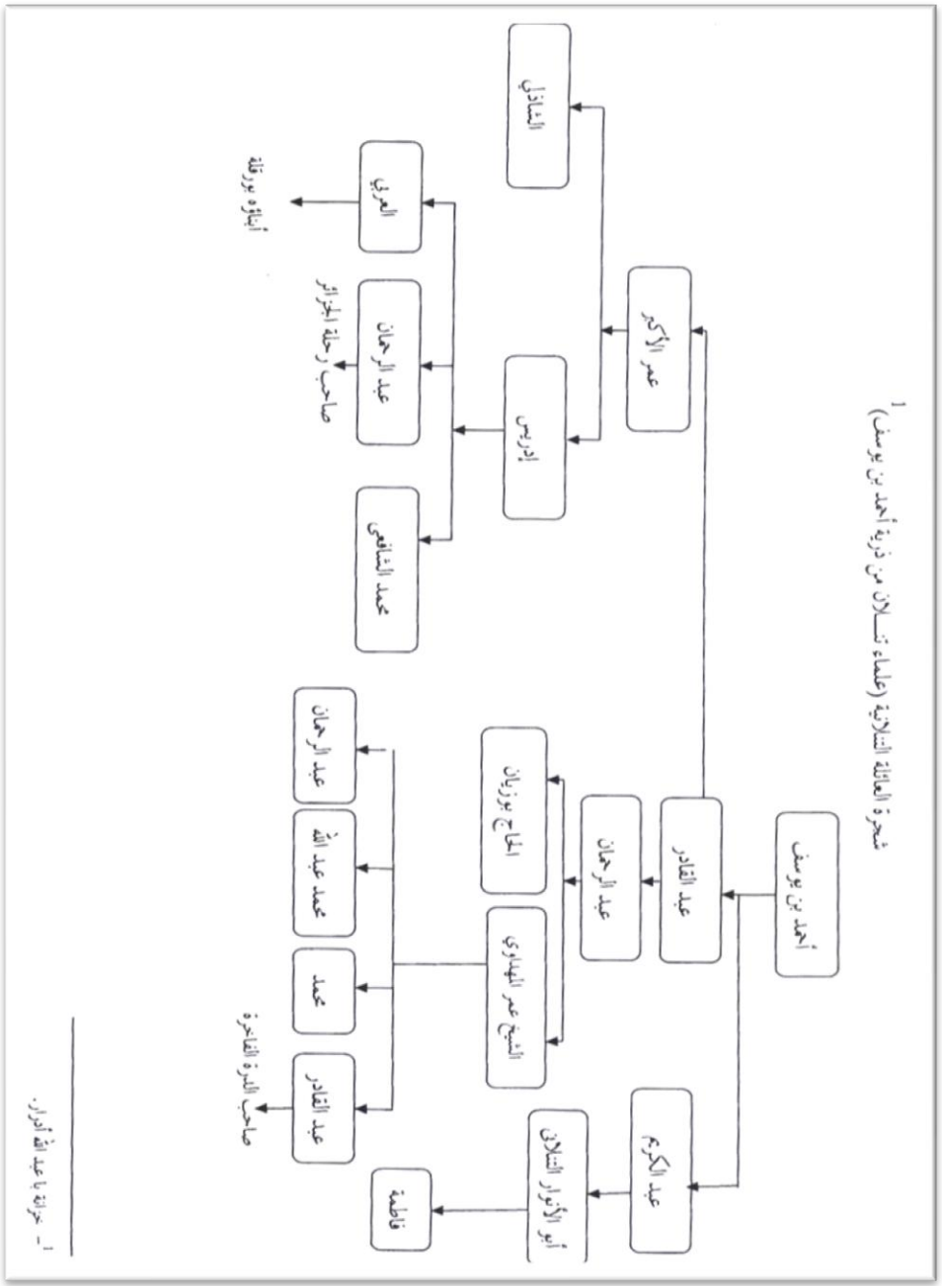
شجرة العائلة الثلاثية (علماء تسلان من ذرية أحمد بن يوسف)[1]
أحمد بن يوسف
عبد القادر
عبد الكريم
عمر الأكبر
عبد الرحمان
أبو الأنوار الثلاثة
الشاذلي
إدريس
الشيخ عمر المهداوي
فاطمة
الشاذلي
العربي
عبد الرحمان
الحاج بوزيان
عبد الرحمان
محمد عبد الله
محمد
عبد القادر
محمد الشافعي
صاحب رحلة الجزائر
أصل تسمية بوزقلة
صاحب الدرة الفاخرة
1- خزانة باعبد الله أدرار.

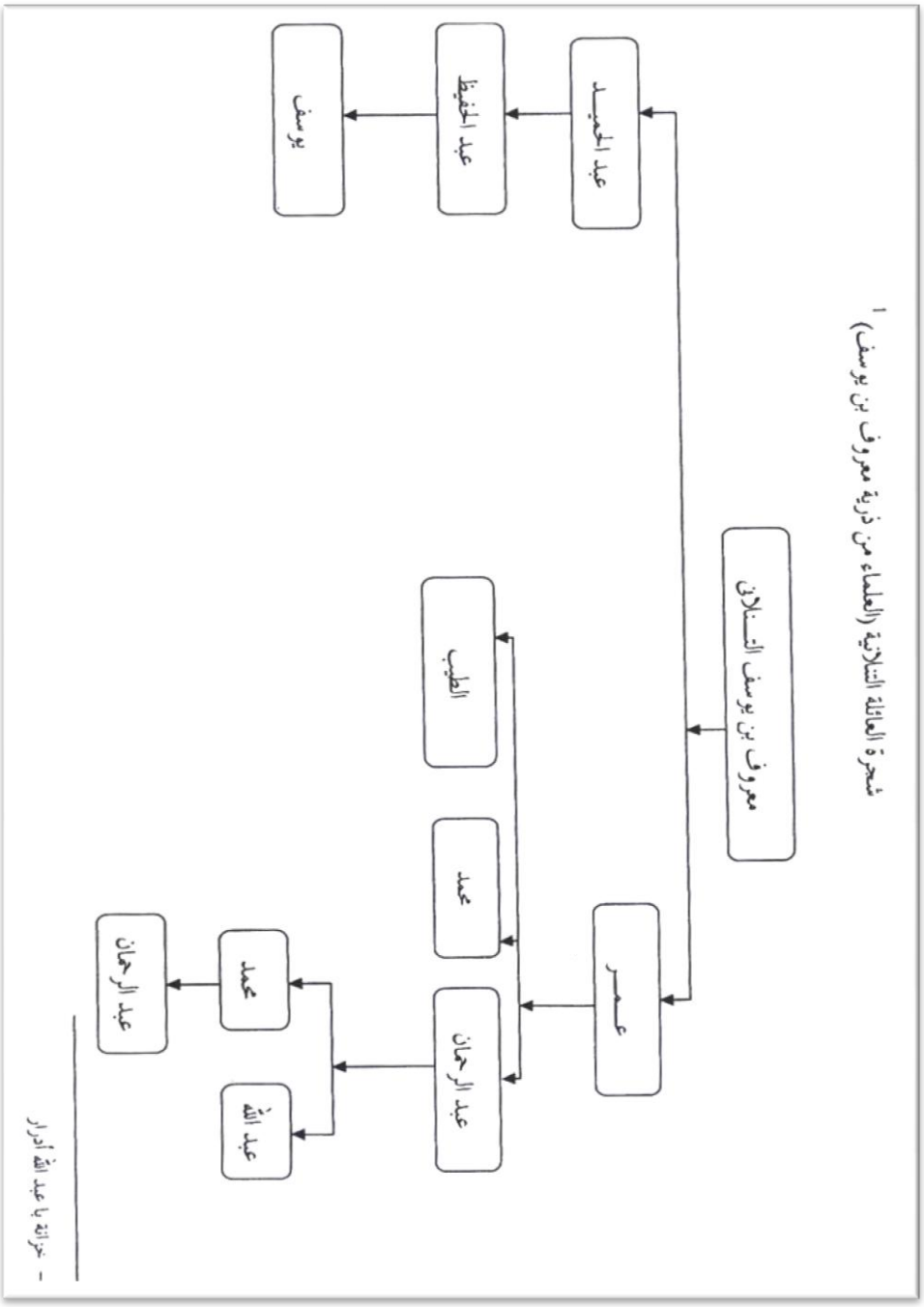
شجرة العائلة التلاتية (العلماء من ذرية معروف بن يوسف)[1]
معروف بن يوسف التنلاني
عبد الحميد
عبد الحفيظ
يوسف
عمر
عبد الرحمان
محمد
عبد الله
محمد
عبد الرحمان
الطيب
- خزانة با عبد الله أدرار

الورقة الأولى من مخطوط رحلة عبد الرحمان بن إدريس إلى الجزائر[1]

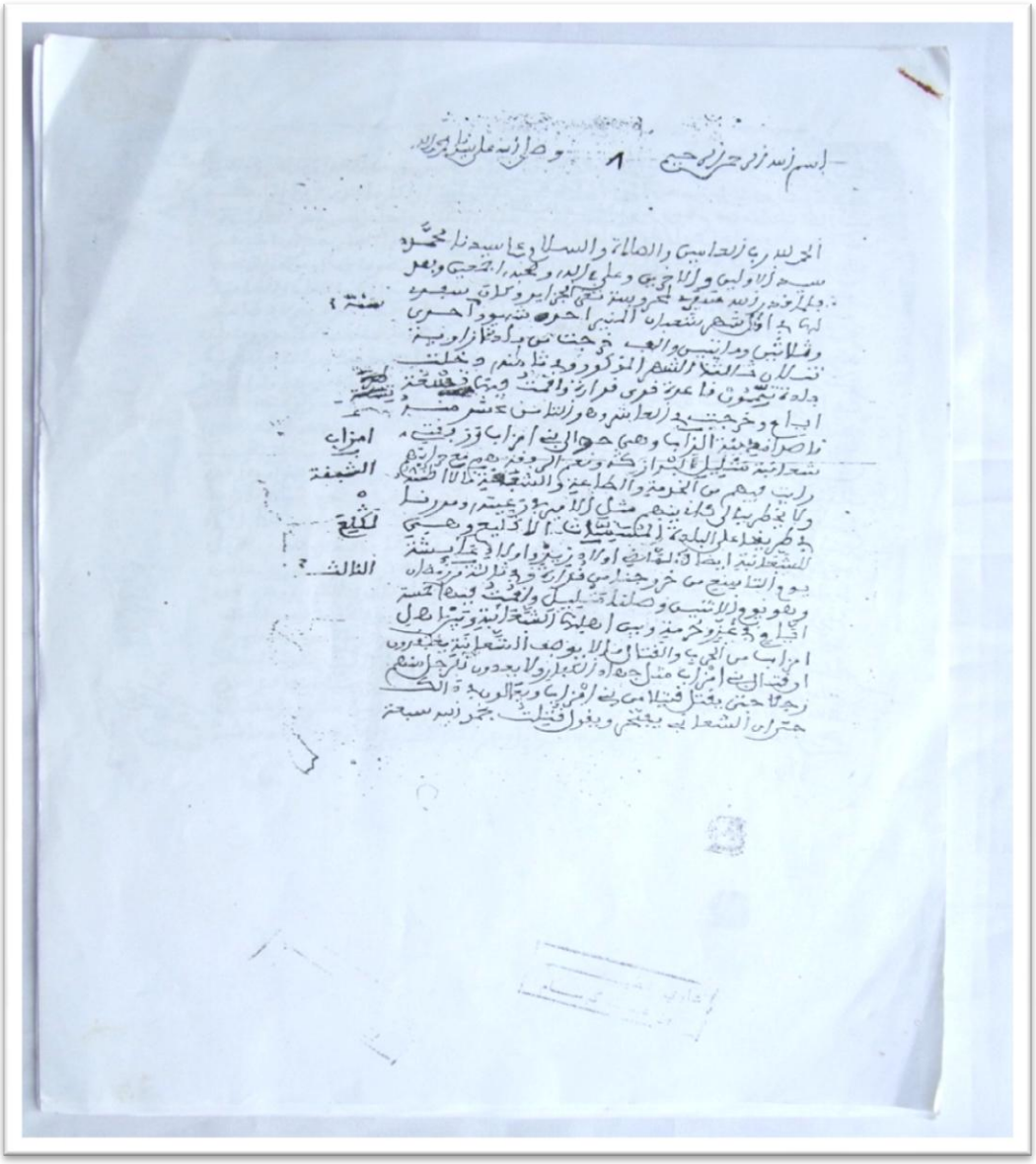

[1] – خزانة بن الوليد با عبد الله أدرار..

الورقة الأولى من رحلة عبد الرحمان بن عمر إلى الحج[1]

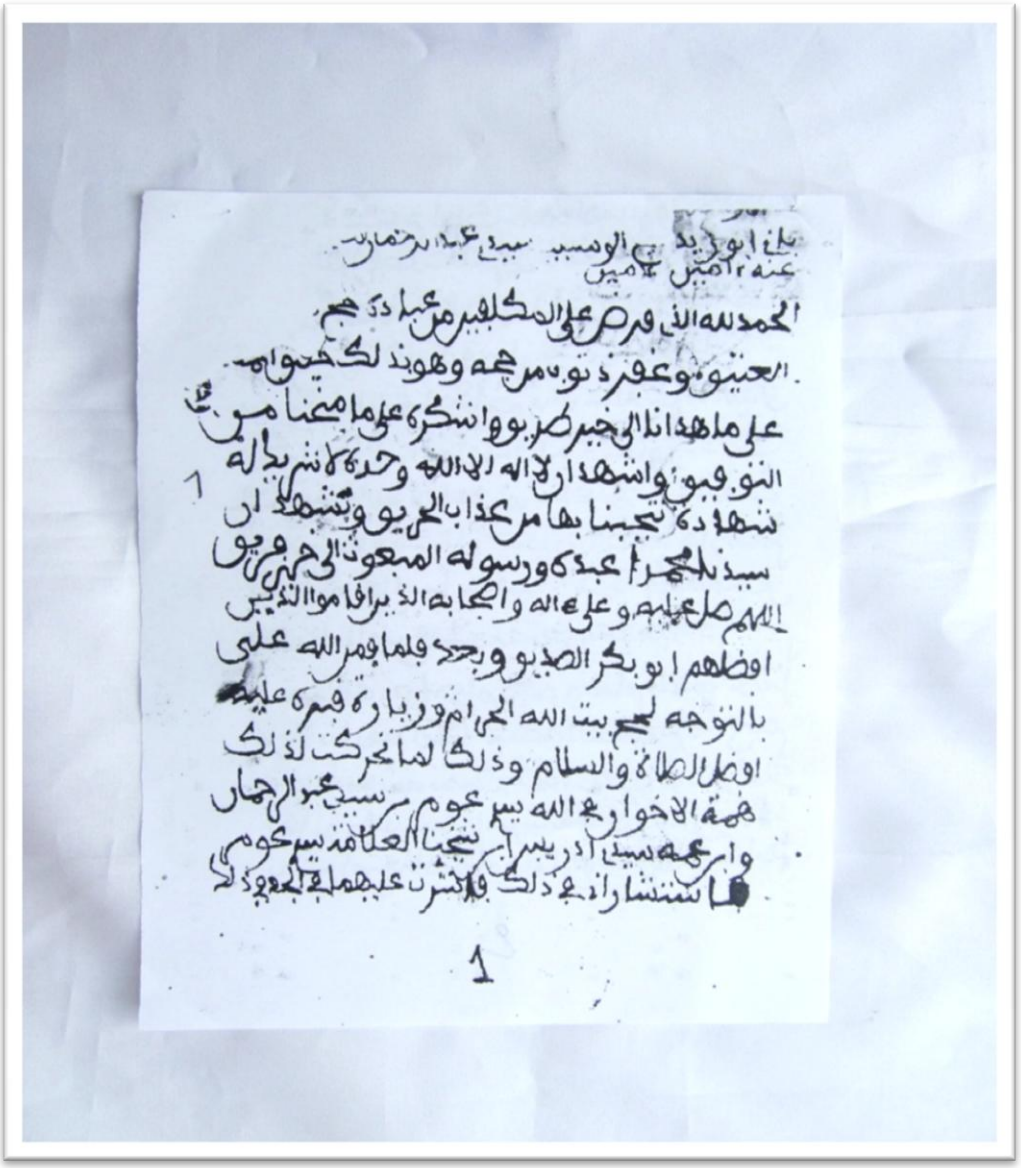

[1] – خزانة با عبد الله أدرار.

الورقة ما قبل الأخيرة من مخطوط الدرة الفاخرة [1]

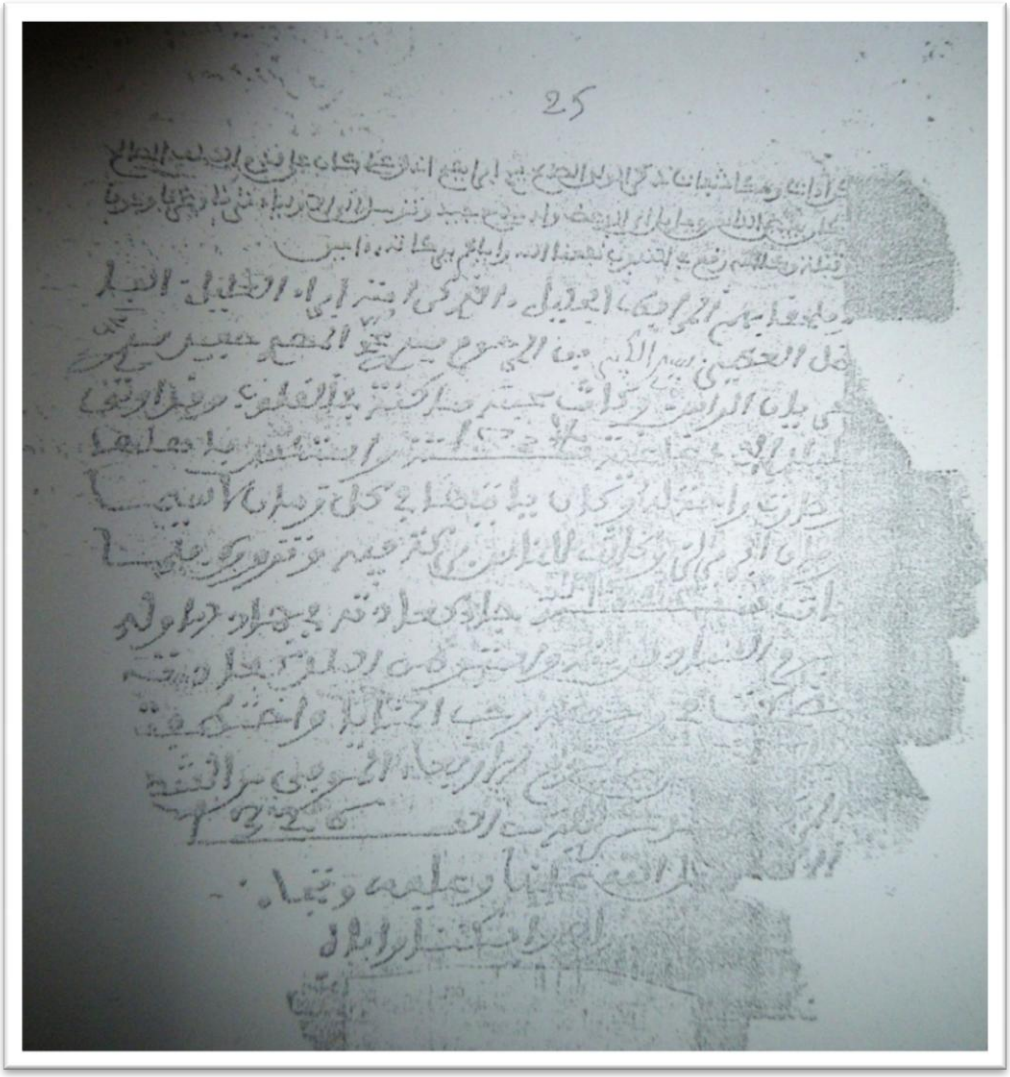

[1] – خزانة با عبد الله أدرار.

الورقة الأولى من مخطوط الغنية البلبالية [1]

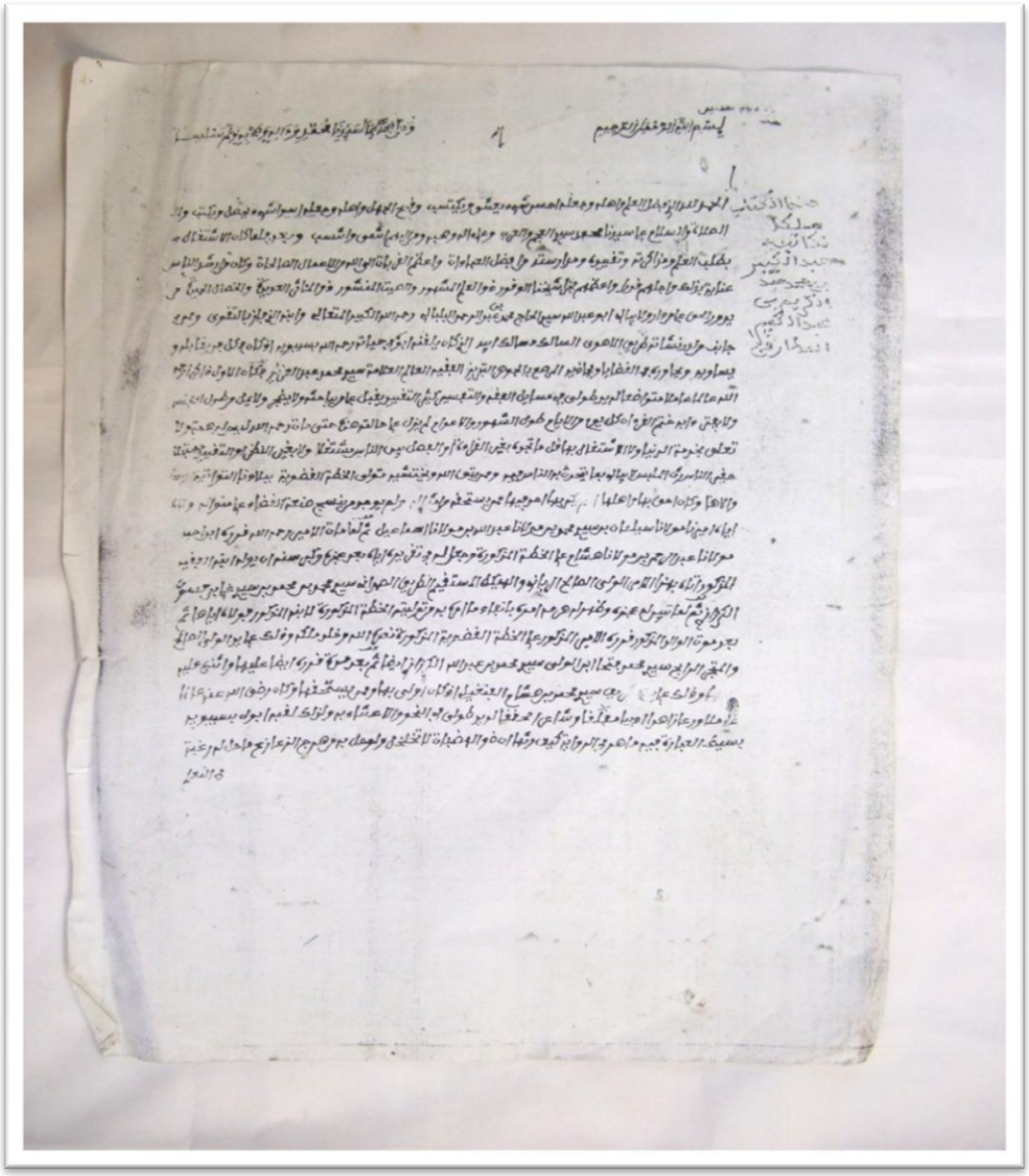

[1] – خزانة المطارفة أدرار.

قصيدة في ذكر المكانة العلمية لتنلان [1]

أيـــا تنيلان يـــا منبع العـــلم ... ومهد الأســـرار والنـــور بلا غيم
تدفق منك العلم بالجهر والسر ... ورسى عند الأنصار بالفتح والنصر
بملوك قصرهم ومنها لتمـــرتي ... وكســـام منـــارة في تيمي تحيـــتي
بدعـــا ولي عـــــالم متبحـــر ... بالونقالي مشهـــور علم مدى الدهر
من بحرك نال كل علم بلا درس ... في لحظة قد غـــرف بجلوس بمجلـــس
ومنهم سرى في كل حي وقرية ... وشعشع في تمنـــطيط من غير مريـــة
عند عال البكري بجمهم قد علا ... بذاك وقبل كـــان وفيهم وما فـــلا
ومنك زوايا أنشئت شاع ذكرها ... فهي امتـــداد واضـــح لك أصلـــها
فمهدية سمت منك فـــاح طيبها ... ولازالت في الأيـــام تزهو أنـــوارها
وزاوية مولاي سيدي هيبـــــة ... مؤسسها أبـــو الأنوار أعـــني بهـــمة
وهاهي أيضا بالبيض قد علت ... كعلم ذي القـــرى نيرانه مـــا طفت
يحوط بها رجال حبهم قـــد نما ... مع الشيخ في التعليم عـــزهم سمـــا
وقد كان في الأسلاف ودهم بالصفا ... و لم ينقطع مدى الأيام منهم فلا جفا
شيخها سفير عنك شيد صرحها ... وحصّن بالإكرام والسر ســـورهـــا
سيدي من حج البيت وزار المصطفى ... بالحسن يدعـــى في الملإ بـــلا خفـــا
تطرّز بالتقى مع العلم والسخـــا ... كذا البش للترحيب في الضيق والرخا
وحين يأتيـــك في الحين زائـــرا ... يـــزداد علو النور حيـــنا بـــلا مـــرا
فيجتمع الأحفاد كل بلا أســـا ... وتأتي الأضيـــاف في الصبح والمســـا
أمد له في العمـــر بالعفو والهنـــا ... مـــع خفـــة الأســـقام رب إلهـــنـــا
لينتفع الأولاد والحـــب بالمـــنـــا ... من العلي الأعلى بجـــاه شفيعـــنـــا
مَحمد ناظم وقصـــده ظاهـــر ... يريد قرى من بحـــركم وهو زاخـــر
بتمرتي قاطـــن ونسبه أنصـــار ... وبلبـــالي أتى عـــنهم مـــســـطـــر
وفي فتح جاد الأولى رسم تاريخنا ... برمز حـــروف بلتش و تـــدوينـــا
وحمدنا للمولى الكـــريم بديعنـــا ... بمـــدد خـــالص بتـــوفيق ربـــنـــا
وصلاتنا في البدء والختم قارنا ... على المصطفى خير الأنـــام نبينـــا

---

[1] – قصيدة بخزانة محمد بن محمد عبد الكريم البلبالي مبدوبي، بني تامر، تيمي أدرار.

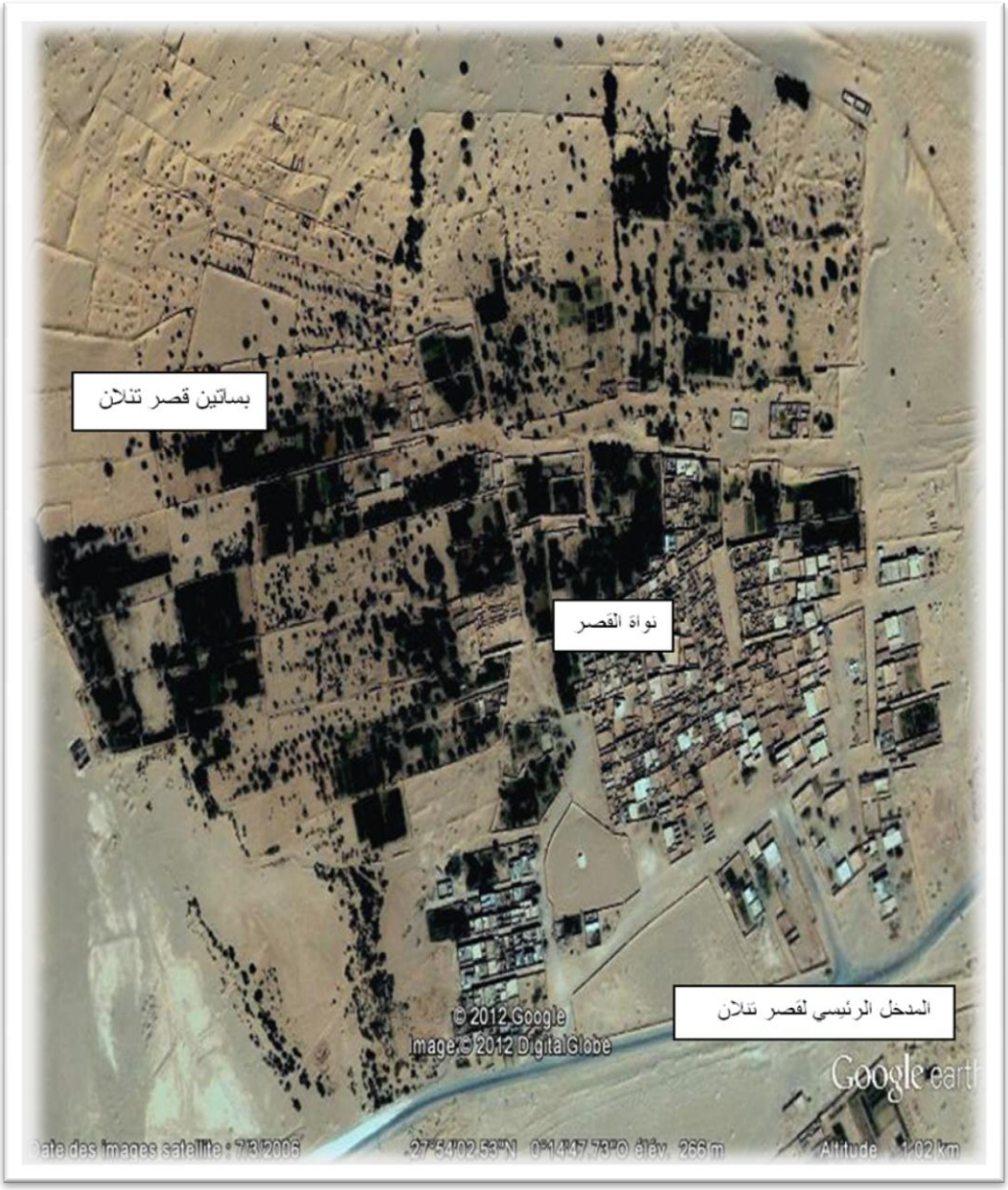

صورة بالأقمار الصناعية تمثل: قصر تنلان بتاريخ: 2006/03/07م.

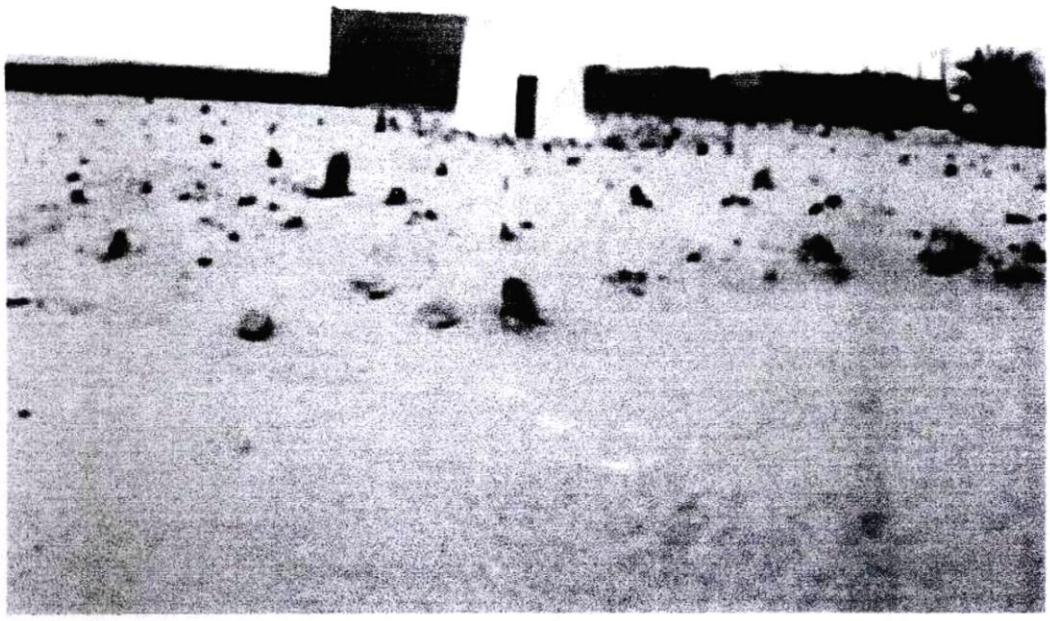

صورة تمثل ضريح أحمد بن يوسف التنلاني بقصر تنلان

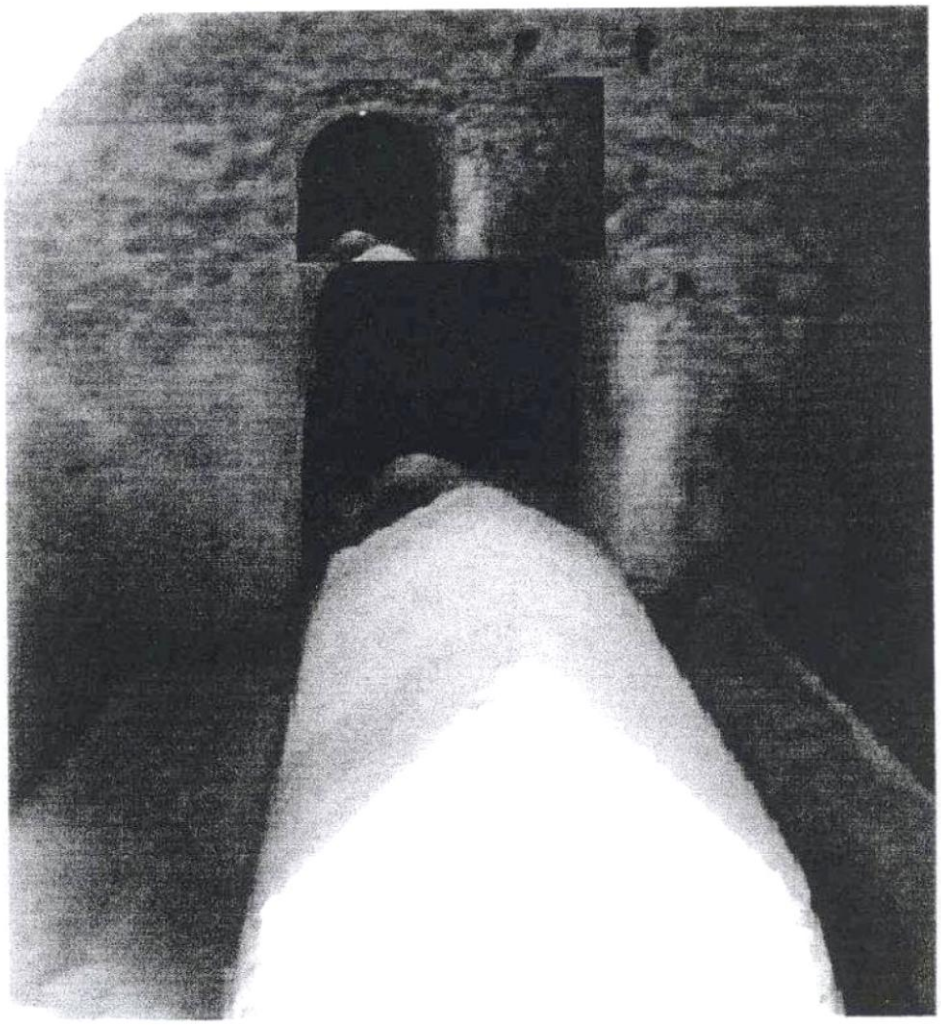

صورة تمثل قبر عمر بن عبد القادر بقصر تنلان

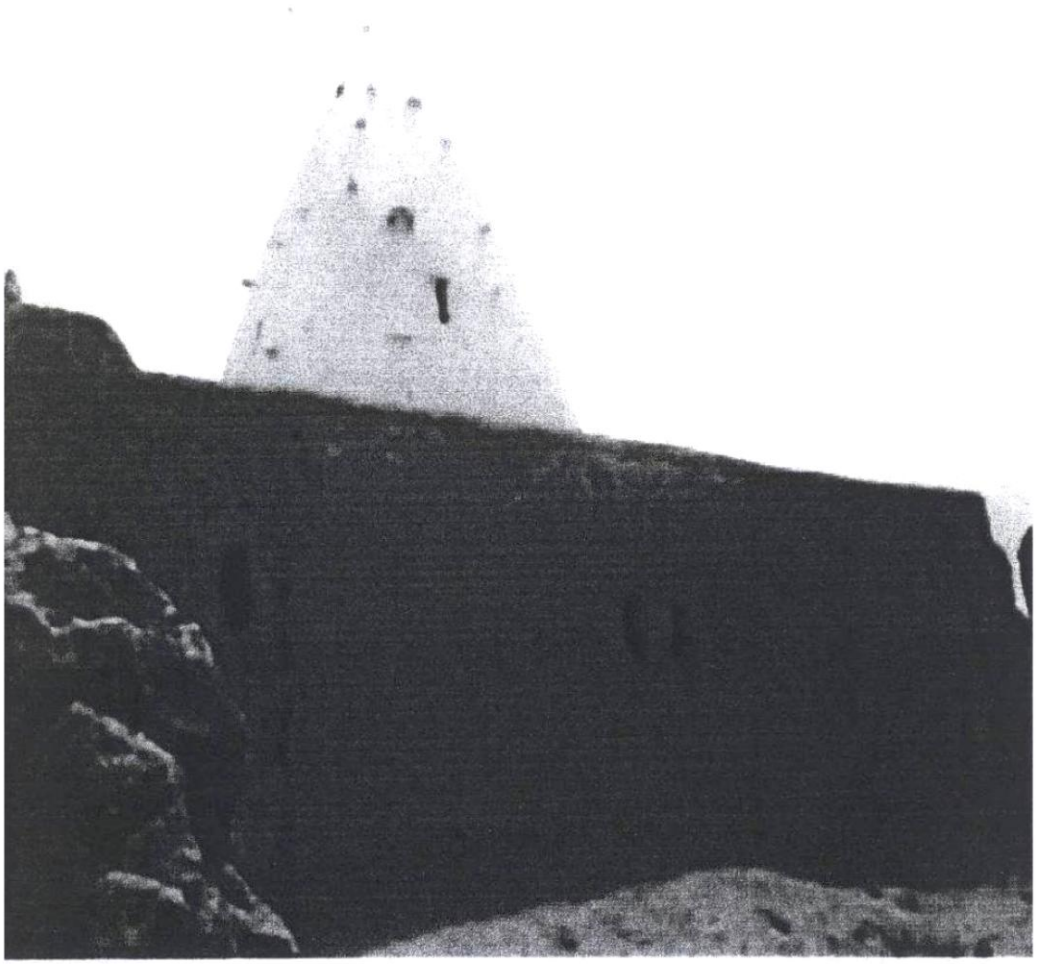

صورة تمثل ضريح عمر بن عبد القادر بقصر تنلان

صورة تمثل البساتين التابعة للزاوية التنلانية

ملحق الصور:.....

صورة من الداخل لقصبة سيد الحاج بقصر تنلان

ملحق الصور:.....

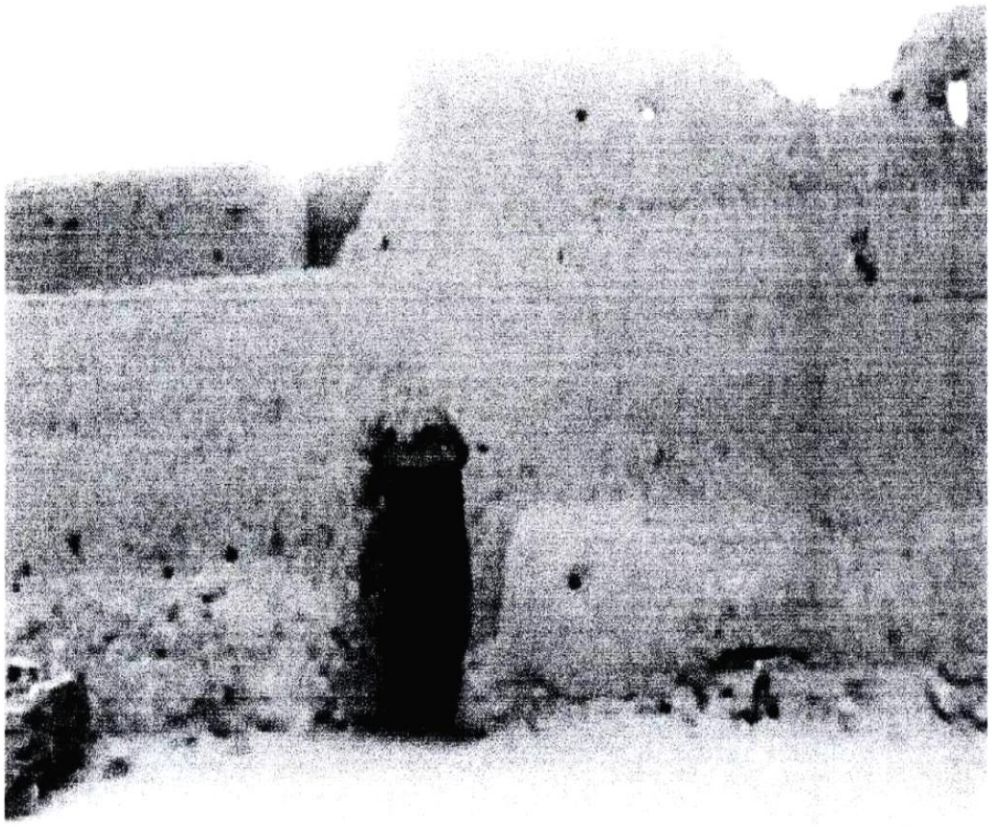

صورة تمثل مدخل لقصبة سيد الحاج

ملحق الصور:.....

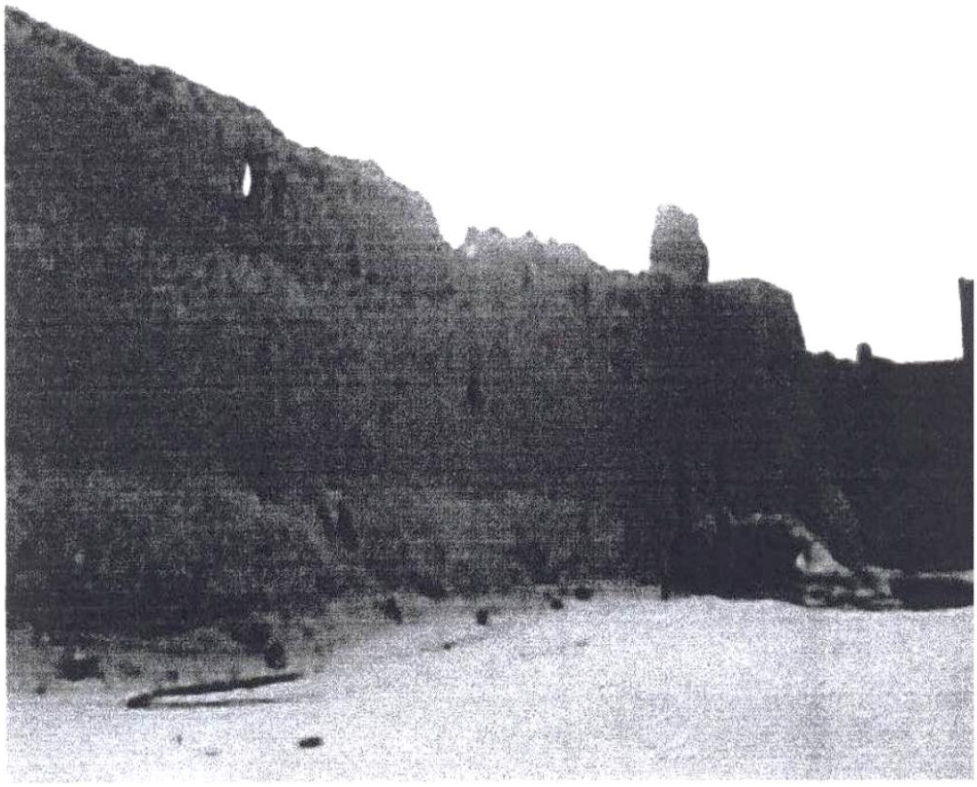

صورة تمثل الوجه الأمامي لقصبة سيد الحاج بقصر تنلان

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

الحديث النبو ي.

- **الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج14،ط01، مؤسسة الرسالة.**

1. المصادر:

1.1- المخطوطات:

1 - الإدريسي مولاي أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، خزانة الشاري الطيب كوسام، أدرار.

2 - ابن أب ضيف الله، الرحلة لزيارة قبر الوالد، خزانة تمنطيط أدرار.

3 - البلبالي محمد عبد العزيز، الغنية البلبالية، خزانة الشاري الطيب، كوسام أدرار.

4 - البلبالي محمد بن عبد الملك، غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنلاني، خزانة سليماني علي، أدغا، أدرار.

5 - البلبالي محمد بن عبد الملك، الكتاب الجامع لفتوى أبي زيد التنلاني، خزانة سليماني علي، أدغا، أدرار.

6 - ابن بابا حيدة محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، خزانة تمنطيط أدرار.

7 - البكراوي (محمد بن عبد الكريم)، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة أحمد ديدي، تمنطيط أدرار.

8 - البكراوي (محمد بن عبد الكريم)، جوهرة المعاني فيمن ثبت لدي من علماء الألف الثاني، خزانة سليماني مولاي علي، أدغا، أدرار.

9 - البكراوي (محمد بن عبد الكريم)، تقييد حول تاريخ تمنطيط، خزانة أحمد ديدي، تمنطيط، أدرار.

10 - البكراوي (محمد العالم)، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليمنا التواتي، خزانة محمد العالم، المنيعة.

11 -الجعفري (محمد بن عومر بن المبروك)، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزانة بن الوليد، با عبد الله أدرار.

12 - الزجلاوي (محمد العالم)، نوازل الزجلاوي، خزانة المطارفة، أدرار.

13 -مؤلف مجهول، تقييد لأنساب العائلة التنلانية، خزانة با عبد الله، أدرار.

14 -مؤلف مجهول، تقييد في نسب ومناقب الولي الصالح سيدي سليمان بن علي، خزانة سليماني آدغا،أدرار.

15 -المهداوي (عبد القادر بن عمر)، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، خزانة بن الوليد، با عبد الله أدرار.

16 -المهداوي (عبد القادر بن عبد الرحمان)، وثيقة حبوس زاوية مهدية، وثيقة لدى أحفاده بالمهدية ، أدرار.

17 -الفلاني (أبي عبد الله) رحلته لتوات، خزانة سليماني علي، أدغا، أدرار.

18 -التنلاني (أحمد بن يوسف)، وثيقة حبوس تنلان، خزانة تنلان، أدرار.

19 -التنلاني(عبد الرحمان بن عمر)، فهرسة شيوخه، خزانة سليماني علي، أدغا، أدرار.

20 -التنلاني(عبد الرحمان بن عمر)، مختصر الدر المصون في علم الكتاب المكنون، خزانة الشاري الطيب، كوسام، أدرار.

21 -التنلاني(عبد الرحمان بن عمر)، مختصر النوادر، خزانة محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار.

22 -التنلاني(عبد الرحمان بن عمر)، رحلته للحج، خزانة بن الوليد، با عبد الله ، أدرار.

23 -التنلاني(يوسف بن عبد الحفيظ)، التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع، خزانة الشاري الطيب،كوسام، أدرار.

24 -التنلاني (محمد بن عبد الرحمان)، رسالة إفهام المقتبس في ثبوت التحبيس بخط المحبّس، خزانة سليماني علي، أدغا، أدرار.
25 -التنلاني (عبد الرحمان بن إدريس)، رحلته للجزائر العاصمة ، خزانة بن الوليد، با عبد الله، أدرار.
26 -التنلاني (عمر بن عبد القادر)، رحلته في طلب العلم، خزانة بن الوليد، با عبد الله، أدرار.
27 -الرقادي (محمد بن مصطفى بن عمر)، نبذة عن حياة مولاي عبد الله الرقاني تقييد بالمدرسة الرقادية، زاوية كنتة، أدرار.

2.1- النشرات المطبوعة:

تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، مطبوعات القصر الملكي، 1962.

3.1- الكتب:

1. ابن الأحمر إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، تح، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط ،1991.
2. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، الرباط ، دار المنصور ، 1972.
3. ابن بطوطة . (محمد بن عبد الله) تحفة النظار في غرائب الأم صار وعجائب الأسفار، م ج4، تقديم عبد الهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية ،1997.
4. ابن خلدون (عبد الرحمان)،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6 ،ج7، لبنان، دار الكتب العلمية 1992 .
5. ابن خلدون (عبد الرحمان) المقدمة ، بيروت ، دار الفكر ، ط1 ، 2004.
6. ابن حوقل (أبو القاسم)، صورة الأرض تيدن، مطبعة بريل ، 1873 .
7. ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن ،تح ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981 .
8. البرتلي (محمد بن أبي بكر) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح محمد الكتاني ومحمد حجي، ط1، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1981.
9. أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تح أحمد توفيق المدني، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1974 .
10. الإصطخري (إبراهيم بن محمد)، مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل 1927.
11. هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ، تر محمد صقر خفاجة، دار القلم ، 1960.
12. الوزان حسن ، وصف إفريقيا ،ج2 ، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.
13. و ليم سرنبسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر عبد القادر زبادية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1981.
14. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مج 1، تح عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية 1971.
15. الكتاني (محمد بن جعفر) سلو ة الأنفاس ومحا ذاة الأكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج 1، طبعة حجرية المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 95 .

16. محمود كعت ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس، تح هوداس ودو لافوس، باريس، مطبعة بردين 1964.

17. المكناسي (أبي العباس أحمد)، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 2002.

18. العياشي (أبو سالم)، الرحلة العياشية(ماء الموائد)، الرباط، دار المغرب، 1977.

19. عيسى بن علي العلمي، النوازل، تح المجلس العلمي بفاس، ج 2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1986.

20. الفيومي (محمد بن محمد) المصباح المنير ، المكتبة العصرية ، 2004.

21. فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط2، 2001.

22. الفشتالي (عبد العزيز) ، مناهل الصفا في م آثر موالينا الشرفا، تح عبد الكريم كريم، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1972.

23. السراج (أبي عبد الله القيسي) أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمل و المآرب سيد الأعاجم والأعارب، تح محمد الفاسي، لان، 1968.

24. الرازي (زين الدين)، مختار الصحاح، تح محمود خاطر، حمزة فتح الله، دمشق، دار البصائر ،1987.

25. الرصاع (محمد الأنصاري)، فهرس الرصاع، تونس، طبعة حجرية، 1967.

26. الشاطبي، (أبو إبراهيم) ، الموافقات، تح أبو عبيدة بن حسن آل سليمان،ج 5، المملكة العربية السعودية، دار ابن عضان ط1، 1997.

27. الغبريني (أحمد بن محمد)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الجزائر، دار البصائر، 2007.

28. ثلاثة رحلات مغاربية، تح مصطفى ضريف، محفوظ بوكراع، الجزائر، لان، 2009.

2 - المراجع:

2 .1- الكتب:

1. بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عين مليلة، دار الهدى، 2005.

2. بكري عبد الحميد، سلسلة علماء توات، عبد الكريم بن محمد رحلته في طلب العلم، وهران، دار الغرب ،2008.

3. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981.

4. بلعالم محمد باي، قبيلة الفلان في الماضي والحاضر، الجزائر، دار هومة، 2004.

5. بلعالم محمد باي، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر الثلاثي، الجزائر، دار هومة، 2004.

6. بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 1، ج 2، الجزائر، دار هومة، 2005.

7. الجبوري يحيى وهيب، الكتاب في الحضارة الإسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998.

8. جوليان أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية،ج 2، تر محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج2،ط2، الدار التونسية للنشر ، تونس،1978.

9. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام،ج3، بيروت، دار الثقافة، 1980.
10. جعفري (أحمد أبا الصافي)، محمد ابن أب المزمزي حياته وآثاره ، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2004.
11. جعفري (أحمد أبا الصافي)، من تاريخ توات أبحاث في التراث، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، 2008.
12. جعفري (أحمد أبا الصافي)، الحركة الأدبية في إقليم توات، منشورات الحضارة 2009.
13. جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال ق 12ه، ط1، الجزائر، دار السبيل، 2009.
14. حوتية محمد، توات والأزواد خلال القرنين 12-13ه، ج1، الجزائر، دار الكتاب العربي ،2007.
15. الحمدي أحمد، المختار الكنتي الكبير، الجزائر، منشورات البيت، 2009.
16. طواهرية عبد الله، تذكرة الخلان، غرداية، المطبعة العربية، 2002.
17. طريح شرف(عبد العزيز) الجغرافية المناخية والنباتية،ج2، دار الكتب والوثائق القومية 1971.
18. مقدم مبروك، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي،ج1، الجزائر، دار هومة 2008.
19. نواب عواطف (محمد يوسف) الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، مطبوعات الملك فهد الوطنية، 1996.
20. نسيب محمد ،زوايا العلم و القرآن في الجزائر، الجزائر،دار الفكر،د.ت.
21. الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، منشورات مديرية الثقافة أدرار، 2003.
22. الصمدي مصطفى، فقه النوازل عند المالكية، مكتبة الرشد،2007.
23. عبد المجيد (محمد إبراهيم) آفات النخيل والتمور في العالم العربي، القاهرة المكتبة الأكاديمية، 1996.
24. العبادي (أحمد مختار) في التاريخ العباسي والفاطمي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،2002.
25. العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، المؤسسة الوطنية 1983.
26. فهيم (حسين محمد)، أدب الرحلات، الكويت، عالم المعرفة، 1978.
27. فيون ريمون، الصحراء الكبرى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968 .
28. فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرنين 18-19م، الجزائر، د.م.ج 1977.
29. سيد عمر عبد العزيز، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، الجزائر، دار هومة، 2002.
30. سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1998.
31. سرير ميلود وآخرون، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات،ج2، جامعة أدرار(عمل غير منشور).
32. سرقمة عاشور، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، وهران، دار الغرب، 2004.
33. قدوري عبد المجيد، ابن أبي محلى الثائر ورحلته الأصليت الخريت، الرباط منشورات عكاظ، 1991 .
34. قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة، الجزائر، دار الأبحاث،د. ت.
35. رشيد بليل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون، تر عبد المجيد بورايو، الجزائر، المركز الوطني للبحوث 2008.
36. شترة خير الدين، محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر، الجزائر، دار ابن الطفيل، 2012.
37. التازي عبد الهادي، جامع القرويين، مج1، بيروت، دار الكتاب اللبناني ط1، 1972.
38. غريب جورج، أدب الرحلة، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1989.

2.2- المقالات:

1. أبو سعد عبد السلام ، العلاقات الثقافية بين الشعوب الأفريقية و أثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها ، ملتقى التواصل الثقافي ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس، 1999.
2. أكمير عبد الواحد، الحضور المغاربي الأوروبي في إفريقيا الغربية، مجلة المستقبل العربي، ع 282، 2002.
3. بوسليم صالح مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنيين 12- 13 هـ بين الإشعاع العلمي والا نشار الصوفي، مجلة الواحات، ع 9، غرداية، المركز الجامعي 2009.
4. بوسليم صالح، جهود أعلام توات، الملتقى الوطني الرابع، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث، أفريل 2010.
5. بلعالم محمد باي ، التعريف ببعض الجوانب في منطقة توات الجزائرية وح ضارتها، أعمال المهرجان الثقافي الأول بأدرار، ماي 1985 .
6. بلعالم عبد السلام الأسمر، أعلام فقه النوازل بمنطقة توات خلال القرنيين 12- 13 الهجريين، الملتقى الوطني الرابع إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث، أفريل 2010.
7. برمبرة عمر، قضايا المياه بالمغرب الأوسط من خلال أدب النوازل، إنجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1995.
8. البعلاوي أحمد، حساب الجمل أو التأريخ بالحروف، حوليات الجامعة التونسية، ع 08 تونس 1971.
9. بعثمان عبد الرحمان ، مخطوط فهرسة عبد الرحمان التنلاني ، الملتقى الوطني المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، أفريل 2009.
10. بعثمان عبد الرحمان ، الدور العلمي للزاوية التنلا نية، الملتقى الوطني الرابع ، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث، أفريل 2010.
11. جمعية الأبحاث والدراسات لولاية ادرار ، دور منطقة توات في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، المهرجان الثقافي الثالث للتعريف بمنطقة توات، جانفي1988 .
12. جمعية الأبحاث التاريخية بأدرار دليل ولاية ادرار.
13. جعفري (أحمد ابا الصافي) دور الزوايا في الحفاظ على التراث المخطوط بإقليم توات بالجزائر ، مج التراث، ع 112 الإمارات العربية المتحدة، 12/ 2008.
14. جعفري (أحمد ابا الصافي)، أدب المقاومة في توات دراسة في الأعلام والمظاهر ، الملتقى الوطني الرابع، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية افريل 2010.
15. ولد الصافي يحي، حقيقة السريوع بمنطقة قورارة وبعض زوايا المنطقة وفروع قبيلة عثمان بن عفان، نشرية 2008 .
16. حويتة محمد، الفقارة كنظام للسقي بإقليم توات، حولية المؤرخ، ع 3-4، منشورات اتحاد المؤرخين الجزائريين 2005.

17. الكنتي الحاج محمد، الزاوية الرقادية الكنتية وأعلامها، الملتقى الثاني حول دور آل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية، زاوية كنتة، أدرار، ماي 2004 .

18. القبال موسى، البتر والبرانس و المظهر الاجتماعي لسكان المغرب، مجلة الأصالة، ع 24، أفريل 1975.

19. المهدي البوعبدلي، الرباط والفدا في وهران والقبائل الكبرى، مج الثقافة الإسلامية، ع 06 / 2010 (عمل أعيد نشره).

20. مزيلخ عاشور، الشيخ عبد الرحمان بن عمر و منهجه في تلخيص كتاب الدر المصون للسمين الحلبي، مجلة التراث العربي ع 27 دمشق، اتحاد الكتاب العرب 2007 .

21. الصديق الحاج أحمد، الرحلات العلمية ودورها في التفاعل الثقافي بين حاضرتي توات وفاس خلال ق 12، الملتقى الوطني المشترك بين جامعتي أدرار و تيارت، أفريل 2009.

22. العماري أحمد، توات في مشروع الحدود والتطويق الفرنسي للمغرب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 5، المغرب 1989.

23. سريد أعمر عبد العزيز، العلم عماد الدين و الإيمان و ذكر مناقب العلماء حياة الإسلام، محاضرة بزاوية مهدية أدرار.

24. سليماني علي، علماء من أحفاد مولاي سليمان بن علي، الندوة الرابعة للشيخ مولاي سليمان بن علي ، أدرار، ماي 2009.

25. القلي العربي، الرحلة بين النبل والجشع الإنساني، مج الهجرة والرحلة، ع 03، تصدر عن مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010 .

26. رزوقي عبد الله، واقع الزوايا في إقليم توات بين مقتضيات الأصالة ومتطلبات الرسالة، مج الحضارة الإسلامية، ع 14 الجزائر 2010.

27. التميمي عبد الجليل، الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس و ليبيا و غرب إفريقيا خلال العصر الحديث ، مج التاريخية المغربية، ع 22/21، تونس، 1981 .

28. بيتقة الصديق، العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات، الملتقى الوطني المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، أفريل 2009 .

2. 3- الرسائل الجامعية:

1. بهية بن عبد المومن، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال ق 18-19، ماجستير قسم الحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران 2005-2006.

2. بن سويسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات وتمنطيط نموذجا من ق 6 هـ إلى ق 13 هـ، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف محمود لعرج، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2007-2008.

3. بعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر التنلاني التواتي، دراسة و تحقيق مذكرة شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف محمد بن معمر،جامعة بشار، 2008 – 2009.

4. جاجوا حسين، دور غدامس التجاري ما بين طرابلس والسودان الأوسط والغربي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، إشراف عبد القادر زبادية، جامعة الجزائر، 1981.

5. الحمدي أحمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، رسالة ماجستير بقسم الحضارة الإسلامية، إشراف بن نعمي عبد المجيد، جامعة وهران، 1999 – 2000 .

6. عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي، ماجستير ، إشراف موسى لقبال، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2001.

7. علي ريحة، قصر ملوكة، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قر بة قسم الآثار الإسلامية جامعة الجزائر2001 /2002.

8. فقيفي محمد الكبير، الحياة الاجتماعية و الثقافية في مصر من خلال رحلات المغاربة أثناء القرن 17- 18 م، مذكرة ماجستير تاريخ حديث، جامعة بشار 2008 – 2009.

9. شبايبي ياسين، الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي، ماجستير بقسم الحضارة الإسلامية، إشراف جهيدة بوجمعة، جامعة وهران 2006 – 2007 م .

2. 4- المعاجم ودوائر المعارف:

1. ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، ج3، ج5، بيروت، د.ت.
2. الزركلي (خير الدين)، الأعلام، بيروت، دار الغرب للملايين، ط8.
3. حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، دار الغرب الاسلامي1980.
4. حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج2، الجزائر، دار الحكمة، 2007.
5. كنون عبد الله، موسوعة مشاهير رجال المغرب، ج 5، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني 1994.
6. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي ط2، 1982.
7. عبد العزيز بن عبد الله، المعجم التاريخي، الدار البيضاء، مكتبة السلام، د.ت.

2.5- المقابلات والزيارات:

1. مقابلة مع بن حسان الحاج محمد بن عبد الرحمان، قصر تنلان يوم: 2011/06/05م.
2. زيارة ميدانية لقصر تنلان، يوم: 2012/03/25م.
3. مقابلة مع عبد القادر نيكلو، أدرار يوم: 2012/04/08م.
4. مقابلة مع مبروك مقدم، أدرار يوم: 2012/05/06م.

3 -باللغة الفرنسية:

1.3- الكتب:

- Bissuel (H), Sahara Français. Alger : Librairie Editeur. Alger,1891.
- Fischer piett(E), Le Maroc géographie et organisation. Paris S.N, 1895.
- Martin (A.G.P), Les Oasis Sahariennes, Alger, 1908.

- Martin (A.G.P), Quatre Siècles d'Histoire Marocaine au Sahara de 1504 à 1904 au Maroc de 1894 à 1912, Paris, Félisc. Alcam, 1923.
- LO (Capitaine), les foggaras du Tidikelt «Travaux de Recherches Sahariennes» (Alger), T11- 2ème semestre 1954.
- Déporter, La Question du Touat ou Sahara Algérien, Alger, Fontana: 1891.
- Pottier ®, Histoire du Sahara, Nouvelle éditions latines, Paris: 1947.
- Bisson Jean, Le Gourara: étude de géographie humaine, Alger: d'Imbert 1953.

2.3-المقالات:

- Selka Abderrahmane, Notice Sur le Touat ,Bulletin de la société de géographie D'Alger de l'Afrique du Nord, 3eme trimeste1922.
- Basset ,M.A,la langue berbère dans les territoires du sud in revue Africaine , N°85,année 1945 .
- Devos (P), "Le Touat étude géographique et médicale'', Archives de l'Institut Pasteur, T XXV. N° 03-04 Sept-Déc. Alger: 1974.
- Mauny Raymond, Tableau géographique de l'Ouest Africain ou moyen âge, Mémoires de l'Institut Français d'Afrique noire, N°01-Ed. IFan, Dakar.
- Louis Voinot, Le Tidikelt étude sur la géographie l'Histoire et les mœurs du pays, Bulletin de société de géographie et d'archéologie de la province, Oran. T29. 1909.
- Hugo (H), Un Gisement de pebble Tools à Aoulef, In Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, Tome XIII-1955.

الفهارس

فهرس الأماكن والمدن

ملاحظة: أسقطت اسم توات وتنلان من القائمة نظراً لتكرارهما

- أجريفت11.
- أدغا20
- أدرار 63
- أزواد 41،56، 63،68.
- أولاد إبراهيم 20.
- أولاد أوشن 16،20.
- أولاد أحمد 10،20.
- أولاد أنقال 20،41،42،54.
- أولاد محمود 11.
- أولف 12،13،51،53،62،63.
- أولاد عيسى 20.
- أولاد علي 20،53.
- أولاد عروسة 20.
- أولاد سعيد 12.
- أوسيف 36.
- أوقديم 20.
- أوقروت 11،21،42،57.
- أروان 49،79،80،88.
- إينغر 13.
- إيران 40.
- أندلس 15.
- أنزجمير 07،10،11.
- الأندلس 46.
- أفغنستان40.
- أغيل 11.
- إقسطن 22.
- بجاية 55.
- بوزان 61.
- بودة 05،06،07،10،34،35،36.
- بوفادي 07،10،11،21،34.
- بوعلي 84.
- بوسعادة 90.
- بن دراعو 10.
- بني وازل 10.
- بنهمي 21 .
- بني تامرت20،26.
- البليدة 90.
- بربع 20.
- برينكان 12،23.
- الجزائر 21،31، 57،
58،68،89،91،92،93،94.
- دلدول12.
- درعة 02.
- الهبلة 12،21.
- واجدة 34.

- واد نون 02.
- واينة 20.
- ودغا20.
- وهران 93.
- ورقلة 08،13،40،90.
- الزاب 06،21.
- زويلة 85.
- زاوية بلال 11.
- زاوية أبي نعامة 84.
- زاوية حينون 13.
- زاوية الشيخ المغيلي 11.
- زاوية كنتة 07،10،11،60.
- حاج قلمان 12.
- حيحة 12.
- الحجاز 52،83،85.
- طلمين 12،35.
- طرابلس 26،91.
- اليمن40.
- كانو 78.
- كوسام 61.
- كبرتن 11.
- كرزاز 53.
- لحمر 11.
- ليبيا 05،25،78.
- لغمارة 10،36.
- مالي 02،06،14،77.
- المبروك63.
- مهدية20،35،36،51،57،61،62،70
75.
- موريتانيا 77.
- مراقن 20.
- المطارفة 12.
- ميمون 20.
- ملوكة 20،54.
- المنصور11.
- مصر 25،75،77.
- المعيز 12،35.
- متليلي 89.
- المغرب 02،03،05،06،14،15،40،7.
- المغرب الأقصى 16،21، 25،31،41،
65،47.
- النيجر 63،77.
- نيجيريا 77.
- نيسابور40.
- النفيس 11.
- عزي20،22.
- عين صالح 07،13،84،85.
- عريان الراس 06،
- فاس 30،43،45،47،60،68،
71،72،79،85،86،87.
- فيجيج 18.
- فنوغيل 07،10،11،36.

- فزان31،84،85.
- سجلماسة 02،05،06،49،52،80،86.
- السبع 12.
- الساهلة 12،22.
- سالي 07،10،11.
- السودان 05،06،09،14،16،17،18،
21،23،24،25،41،63،65،70،74،78،
89.
- سوى 48.
- سلا 58.
- القاهرة 85.
- قسنطينة 90،93.
- قصر الخال 13.
- قصر العرب 13.
- القصر الكبير 10.
- قصبة الشرفاء 13.
- ريغ 40.
- رقان 05،06،07،10،11،13،17.
- الرباط 58.
- شنقيط 78.
- شروين 12،34.
- تامست 07،10،11،12،21،23،36.
- تبلبالت 08.
- توكي 21.
- تونس 77،78.
- تاريدالت20.
- تيدلكت 06،07،08،12،13،21،34،
63،64،84.
- تيط 05،13،22.
- تيطاف 11،62.
- تبلكوزة 11،12.
- تيدماين 11.
- تدمايت 07،09،12،13.
- تدالت 21.
- تيمادنين 06،11.
- تيمقطن 84.
- تيمي 05،06،07،10،26،59.
- تيميمون 05،06،07،12،34،36،
53،75،89.
- تلمسان 20،93.
- تمنطيط 05،06،07،10،16،17،25،
26،27،42،56.
- تندوف 08.
- تماسخت 11.
- تينجورارين06،09،11،12،21،26،40،
49،60،80.
- تتزروفت 07.
- التكرور30،49،51،63،74،80،87،
88.
- تمبكتو 18،78.
- تينركوك 11،21.
- تينولافت 11.

- تكدا 18.
- تعرابت 11.
- تقانت 12.
- تسابيت 06،09،12،17،35.
- تاسفاوت 11.
- الخلفي 11.
- غانا 77.
- غرداية 89.
- غدامس 06.

فهرس الأعلام

- أبو يحي المنياري 69
- ابن الأحمر إسماعيل 78.
- ابن أب المزمري 49-53-60-64-72-75-79-88.
- ابن الخطيب لسان الدين 58.
- ابن يبكى (ابن عبد الله) 55.
- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله) 58.
- إبن خلدون (عبد الرحمان) 78-82.
- ابن زكرياء التواتي 36.
- ابن سعيد عبد الرحمان 16.
- أبي العباس أحمد السجلماسي 57-112.
- أبي زيان امحمد بن عبد الرحمان التنلاني 47.
- ابن زكريا الزواوي 55.
- ابن حوقل(أبو القاسم) 12.
- إدريس بن عمر التنلاني 111-112-117.
- إدريس المشاط الفاسي 44-72
- أبو الأنوار بن عبد الكريم التنلاني 63-64-74-75-84.
- أبو العباس الحلبي الشافعي52 .
- أبو عبد الله الفلاني 30-51-83.
- أبو عنان المريني 57.
- أحمد بن يوسف التنلاني 33-36-37-39-40-41-42-47-56-58-61-71.
- أحمد بابا التمبكتي 42.
- أحمد جعفري 54.
- أحمد البكاي 85.
- أحمد بن هلال السجلماسي 52.
- أحمد بن أبي محلى السجلماسي 42.
- أحمد بن صالح السوقي 49-79-88.
- أحمد بن عبد العزيز الهلالي 49-70.
- أحمد بن شنتوف (المنجم) 87.
- أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي 88.
- أحمد لحبيب اللمطي88.
- امحمد بن دين الله التيطافي 63.
- امحمد بن عبد الله الونقالي 44-54-61-70.
- بابا حيدة 07-10-15-16-19.
- هارون الرشيد 22.
- هيرودوت 04
- الزجلاوي (محمد العالم) 29-50-68-71
- الحاج بلقاسم 35-36.
- الحاج محمد بلكبير 36.
- الحسن الوزان 09.
- الحسني محمد المأمون 57.

- الطاهري (مولاي أحمد الإدريسي) 03-08-19-56.
- طالبن بن الوافي طالبن 88.
- الطيب بن عبد الله البلبالي 19.
- يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني 50-54-81.
- يحي بن يدير التدلسي 26.
- كنكان موسى 02.
- موسى بن مسعود 26.
- محمود كعت 14
- محمد الأنصاري03 .
- محمد بن أحمد المسناوي الدلالي 44-47.
- محمد بن حميدة الزجلاوي 48.
- محمد بن أحمد لمطارفي 47.
- محمد باي بلعالم 47.
- محمد بن مالك الفلاني القبلاوي 51-52-74.
- محمد بن مبارك03 .
- محمد بن محمد ميارة الفاسي 44-87.
- محمد بن عبد الله الأمريني 44.
- محمد بن عبد الكريم البكراوي 02-03-06-07-09-17.
- محمد بن أبي زيان القندوسي 46.
- محمد بن عبد الرحمان البلبالي 29-50-54-62.
- محمد بن عبد السلام بناني 44-87.
- محمد بن عبد الرحمان التنلاني 50-52-53-68-70-71-74-77.
- محمد بن عومر الجعفري 02.
- معمر بن سليمان المعراج
- محمد المبروك البوداوي 50-74.
- محمد عبد العزيز البلبالي 24-29-54-55.
- محمد العربي بن مقلب الفاسي 44-72-87.
- محمد السالم البرباعي التيماوي 43-87.
- محفوظ بن محمد الأشاني 53-71.
- معروف بن يوسف التنلاني 33-48-49.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم 09-19-26-42-63-83.
- الإصطخري (إبراهيم بن محمد) 05.
- عبد القادر الجيلاني 63.
- عبد الحكم الوطاسي 42.
- عبد الله بن أبي بكر العصموني 26.
- العبدلاوي بن الطيب 26.
- عبد الله بن عبد الرحمان التنلاني 47-50-53-74-75-77.
- عبد الله محمد السجلماسي 44.
- عبد الله بن مهدي الفاسي 87.
- عبد الله بن طمطم 57.
- عبد الحق البكراوي 51-62-70.

- عبد السلام الجبلي المغربي 94.
- عبد الرحمان بن إدريس 47-53-89-90-92.
- عبد الرحمان بن عمر التنلاني 29-30-31-43-44-45-46-49-50-51-53-54-59-60-62-69-70-72-73-74-76-78-79-83-84-85-86-88
- عبد الرحمان الجنتوري 29-44-49-60-72-79.
- عبد الرحمان الثعالبي 93.
- عبد الكريم بن محمد 33-42-83.
- عبد القادر بن وليد 80.
- عبد القادر المهداوي 42-48-80-86.
- عبد القادر بن شقرون 48.
- عيسى بن محمد البطوي 25.
- العياشي أبو سالم 05-06-09.
- علي الحريشي 87.
- عمر الكنتي 83.
- عمر باشا 91-93.
- عمر بن عبد القادر التنلاني 29-30-43-45-49-59-60-69-71-72-77-79-85-86-87.
- عمر بن عبد الرحمان المهداوي 39-48-51-53-61-62-70-83-84.
- عمر الرقادي 49.
- عقبة بن نافع الفهري02 .
- عثمان بن عفان 20-33-35-36-54.
- الفشتالي(أبو فارس عبد العزيز) 03-06.
- سليمان بن أبي سماحة 21.
- سليمان بن علي 16-17-20-58.
- السمين الحلبي شهاب الدين 52-72-73.
- السعدي عبد الرحمان 02.
- رشيد بليل34،35.
- الشاذلي بن عمر التنلاني 46.
- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم 77.
- الغبريني (أحمد بن محمد)55.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.	**أ – هـ**
الفصل الأول: الإطار التاريخي والجغرافي والحضاري لإقليم توات.	**01**
المبحث الأول: الدراسة الطبيعية والجغرافية لإقليم توات.	**02**
1) أصل التسمية.	**02**
2) الموقع الجغرافي للإقليم.	**05**
3) التقسيم الإداري لإقليم توات.	**09**
المبحث الثاني: الإطار الحضاري لإقليم توات .	**13**
أ) **الدراسة السكانية لإقليم توات .**	**13**
❖ البنية القبلية للقصور التواتية.	**19**
إقليم توات.	**20**
إقليم تينجورارين.	**21**
إقليم تيدكلت .	**21**
ب) **الدور الحضاري لإقليم توات.**	**22**
● مظاهر الحياة الاجتماعية بإقليم توات.	**22**
● الحركة العلمية والثقافية بإقليم توات.	**24**
❖ بوادر الحركة العلمية والثقافية.	**25**
أ) دور التجارة والموقع في تنشيط الحركة العلمية.	**25**
ب) توافد العلماء وأثره على الحركة العلمية.	**25**
ج) دور الزوايا والأوقاف في الحركة العلمية.	**27**
د) أوجه النشاط العلمي بإقليم توات.	**27**
الفصل الثاني: حاضرة تنلان وعلمائها.	**32**
المبحث الأول: التعريف بالعائلة التنلاية وموطنها.	**33**
أولا: نسب أهل تنلان.	**33**

ثانيا: قدوم الفرع الأموي إلى إقليم توات.	**34**
ثالثا: فروع أبناء قبيلة عثمان بن عفان بمنطقة قورارة وتوات.	**36**
رابعا: نشأة قصر تنلان.	**36**
❖ تنلان وقصباتها.	**38**
❖ الأوضاع الاقتصادية للقصر.	**39**
• نظام السقي بالفقارة.	**39**
• الزراعة.	**40**
المبحث الثاني: تراجم أعلام العائلة التنلانية.	**41**
أولا: العلماء من ذرية أحمد بن يوسف.	**42**
ثانيا: العلماء من أحفاد معروف بن يوسف.	**48**
المبحث الثالث: زوايا العائلة التنلانية بإقليم توات.	**55**
1) التطور التاريخي لمصطلح الزاوية.	**55**
2) الزوايا بإقليم توات.	**56**
3) وظيفة الزوايا.	**58**
4-1 الزاوية التنلانية.	**58**
4-2 الزاوية المهدية.	**61**
4-3 زاوية أبي الأنوار االتنلاني (تيدكلت).	**63**
الفصل الثالث: المساهمة العلمية للتنلانيين.	**66**
المبحث الأول: مؤلفاتهم ودورهم التعليمي بتوات.	**67**
أولا: مساهمتهم في الفتوى والقضاء.	**67**
ثانيا: مساهمتهم في اللغة وآدابها.	**71**
ثالثا: التأليف والتدوين التاريخي عند التنلانيين.	**77**
المبحث الثاني: الرحلات عند التنلانيين .	**82**

التعريف بالرحلة.	**82**
فوائدها وأهدافها.	**82**
أهم الرحلات بإقليم توات.	**83**
أ – الرحلات الحجازية.	**83**
ب – الرحلات العلمية.	**85**
1) رحلة عمر بن عبد القادر إلى فاس.	**85**
2) رحلة عبد الرحمان بن عمر إلى التكرور.	**87**
3) رحلة عبد الرحمان بن إدريس إلى مدينة الجزائر .	**89**
الخاتمة.	**95**
الملاحق.	**99**
قائمة المصادر والمراجع.	**118**
الفهارس.	**127**
فهرس المحتويات.	**135**

ملخص المذكرة:

عرفت منطقة توات انتعاشاً ملموساً من الناحية الفكرية والأدبية، حيث اعتنى علمائها بالعلوم وصرفوا وقتهم وقضوا عمرهم في البحث والدراسة وليس أدل على ذلك من قيمة تلك المؤلفات وأهميتها البالغة حيث ضمَّت حصيلة علومهم وخبراتهم وتجاربهم في ميادين الثقافة والمعرفة، ومن خلال تناولنا للمساهمة العلمية للتنلانيين يظهر لنا تأثيرهم في توات وبلاد السودان وذلك من خلال:

1) المسارات التعاملية التجارية والاقتصادية مع حواضر المغرب الإسلامي وبلاد السودان.
2) المسارات الدينية من خلال إنشائهم للزوايا (زاوية تنلان – زاوية مهدية – زاوية مولاي هيبة).
3) المسارات الفقهية من خلال كتب النوازل والمخطوطات .
4) المسارات الاجتماعية عن الزواج والتعايش مع أهل السودان وبلاد المغرب، بالإضافة إلى التواصل مع أهل المشرق من خلال مواسم الحج .